نظرات في لغة القرآن

الجزء الأول

نظرات في لغة القرآن



د. حسام الدين الشحات

تحرير ومراجعة لغوية: رشاد القرشي

رقم الإيداع: ٢٠٢١/١٦٢٧٤

تدمك: ٩٧٨-٩٧٧-٦٧٩٨-٥١-٩

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٢

غلاف: عبير فاروق

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما - أمام جنينة مول - مدينة نصر

Alfouad_Publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing

نظرات في لغة القرآن

خواطر إيمانية

د. حسام الدين الشحات

الفؤاد للنشر والتوزيع

المقدمة

شخصية السورة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأبى إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون، والصلاة والسلام على رسول الله، سيد الأولين والآخرين، ورحمة الله للعالمين، الذي أرسله ربه بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون، ثم أما بعد.

فإن المتأمل لكتاب الله الكريم، يلاحظ تميز السورة الواحدة في القرآن عن غيرها من السور، لا أقول فقط في جرسها، أومفرداتها، بل في روحها وجوها، وقل إن جاز التعبير فإن لكل سورة في القرآن وحدة موضوعية، أو"شخصية مستقلة" تضافرت في تشكيلها عوامل عديدة، منها: اختيار الألفاظ، ومنها وحدة الهدف والموضوع، ومنها جرس النهايات، والفواصل، وإيقاعها، وأهمها: روح يسري في كل سورة، قد لا تملك وصفه، ولكنك ببعض تأمل تحسه، وتشعر به.

إذا يسَّر الله تعالى لك أن تستمع إلى القرآن، منصتًا بنفس صافية، في وقت هادئ، من قارئ حسن الصوت، محضرًا قلبك وروحك، فما أشك أنك ستحس، وكأنك تستمع إلى الآيات لأول مرة – رُغم أنك استمعت قبل ذلك لنفس الآيات كثيرًا– فما هذا الكلام العجيب الذي كلما استمعت إليه أوتلوته، تكشفت لك منه معانٍ جديدة، ولاح لك منه نور مبين!!

أحضر قلبك، ورتل، أوأنصت في خشوع إلى سورة من القرآن، كسورة "محمد" – صلى الله عليه وسلم – أو سورة "النجم" أو سورة "القمر" أو سورة "مريم" أو سورة "طه" أو سورة "يوسف" أو سورة "الطور" أو سورة "ق" أو ... أقول: لا يمكن أن تتغافل عن انبهارك بسياق السورة الواحدة من هذه السور، كيف لا، وقد قال أعدى أعداء هذا الدين عن القرآن: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه"، وما أصدق قول القائل: "لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد".

نركز هنا على أربعة أوجه، نرى أهميتها في إيضاح ظاهرة الثراء الأسلوبي في سور القرآن المختلفة:

أولاً: قضية العقيدة:

ولا شك أنها من أهم ما يعرضه القرآن من موضوعات: كتوحيد الله تعالى، وإفراده – سبحانه – بالعبودية، والاتباع، وغير ذلك من قضايا متعلقة به، مثل: الإيمان بالملائكة، والرسل، والكتب، وحقيقة الوحي والرسالة، والبعث، واليوم الآخر، والحساب، والجزاء... فهذه قضايا محورية، أساسية، تتكرر كثيرًا، في عموم سور القرآن – وخاصةً المكية منها – ولكنه في كل سورة يعرضها في ثوب جديد، ويتناولها بشكل مختلف – كما سنرى – يتوافق، ويعطي لكل سورة روحها الخاص، وشخصيتها المستقلة. بسم الله الرحمن الرحيم

ثانيًا: المقارنة:

يعرض القرآن في كثير من السور مقارنات ومقابلات: مثلاً، بين فريقين: فريق الحق، والإيمان، والهدى، والعلم، وعظيم جزائهم، بأصناف النعيم في الجنة، في مقابل فريق الباطل، والكفر، والضلال، والجهل، وسوء عاقبتهم، بألوان العذاب في النار، ونجد مقارنات كثيرة، بين النور والظلمات، وبين الأعمى والبصير، وبين الحي والميت... و ... و ... فبضدها تتميز الأشياء، ولكن هذا العرض يتم بأساليب متنوعة، فتارة بصيغة دعاء "اهدنا الصراط المستقيم {٦} صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين{٧}" [الفاتحة] وتارة بصيغة نفي "وما يستوي الأعمى والبصير {١٩} ولا الظلمات ولا النور{٢٠} ولا الظل ولا الحرور{٢١} وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمعٍ من في القبور{٢٢}" [فاطر] ومرة بصيغة استفهام "أفنجعل المسلمين كالمجرمين{٣٥} مالكم كيف تحكمون{٣٦}" [القلم] ومرة بتقرير حاسم "لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون{٢٠}" [الحشر].

وما ضربنا مجرد أمثلة، نورد غيرها كثيرًا، في عرضنا لتفاصيل السور، ولكن في كل سورة سنجد هذه المقارنة في ثوب جديد مختلف، فمرة في إيقاع سريع حاسم، ومرة في إيقاع متمهِّل متأن، ومرة

يفصّل، ومرة يُجمل، ومرة في شكل محاورة وجدال، ومرة في شكل تقرير ووصف، ... ومرة ... ومرة ... وهكذا، ولكنه في كل مرة يتوافق مع روح السورة وجوها الخاص بها، فإذا هو في كل مرة سياق جديد أخاذ.

ثالثًا: القصص:

يعرض القرآن في كثير من السور قصصًا لأغراض عديدة، منها: تثبيت القلوب، ومنها الاعتبار والموعظة، وغير ذلك: ".. فاقصص القصص لعلهم يتفكرون{١٧٦}" [الأعراف] وقد يتكرر القصص في أكثر من سورة بشكل لافت، وبألفاظ متقاربة، كما في قصة موسى – عليه السلام – وقد يأتي في سورة واحدة، بعرض تفصيلي لقصة واحدة، كما في سورة يوسف "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين{٣}" [يوسف] ولكن القصص في كل سورة يُعرض بطريقة مختلفة، فمرة يختصر، ومرة يطيل، ومرة يُجمل، ومرة يفصِّل، ومرة يعرض لقطة معينة، ومرة يعرض لقطة أخرى ... ومرة ... ومرة ... ولكن العرض في كل مرة يتوافق ويتكامل، مع روح السورة، وجوها، ومحاورها الرئيسة، فإذا به في كل مرة قصص جديد مبهر.

وأخيرًا: ضرب الأمثال:

يضرب الله كثيرًا من الأمثال في القرآن؛ ليقرب لأذهاننا قضايا كثيرة، لا تتضح إلا بالأمثلة، حتى يكاد يكون ضرب الأمثال سمة عامة، في كثير من سور القرآن "ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم{٣٥}" [النور] فتارة يخاطب العقل، وتارة يخاطب العاطفة، وتارة يعرض صورًا من الكون، وتارة يعرض صورًا من النفس، لكنه في كل سورة يعرض الأمثال في إطار مختلف، يتوافق مع جو السورة الخاص، ومحاورها الرئيسية، فإذا نحن في كل مرة أمام مثل جديد، نابض بالحياة.

وما ضربنا من أمثلة – وغيرها كثير – هو في حقيقته باب من أبواب الإعجاز الواضح في لغة القرآن، فلا يستطيع أحد – مهما أُوتي من فصاحة وبلاغة – أن يعبر عما يريد من معانٍ، بكل هذا الثراء الأسلوبي المتنوع، والمقصود، والهادف، فيأتي جديدًا رائعًا في كل مرة! فلا تجد – ولواجتهدت – حرفًا واحدًا في غير مكانه، ولا تلقى – ولودقَّقت – كلمةً واحدةً في غير موضعها، فالبشر حين يتكلمون أويكتبون، يستعملون ألفاظاً وأساليب، مخزونة في الذاكرة، مشتقة من بيئاتهم وثقافاتهم، وإذا صحبت أحدهم، أوداومت على القراءة له مدة من الزمن؛ فإنك – دون كثير عناء – ستتعرف على أسلوبه، ومفرداته، وطريقته في الكلام، أوالكتابة، بل وستصل بطول الألفة لعبارات يكررها بنصها كثيرًا، مما يسمى بـ"اللازمة"؛ لأن البشر لا يستطيعون أن يُغيِّروا طريقتهم في الكلام، أوالكتابة، وحتى إذا تعمَّدوا ذلك فالأمر بالغ الصعوبة، وسيبدوالكلام بالطريقة الجديدة مفتَعلًا، بالغ التكلف، لا روح فيه، كأنه جاء من بيئةٍ أخرى، وثقافةٍ مغايرة .!!

ويقول العلامة الشاطبي – عارضًا ما اصطُلح على تسميته حديثًا بالوحدة الموضوعية للسورة – في "الموافقات": "إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها تكون قضية واحدة أي: تهدف إلى غرض واحدِ، أوتسعى لإتمامه، وإن اشتملت على العديد من المعاني".

وفي إعجاز اللفظة الواحدة في موقعها، يقول القاضي ابن عطية في تفسيره (الجزء الأول ص ١٠١): "إن كتاب الله لونزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب على لفظةٍ أحسن منها لم يوجد".

وتقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ – رحمها الله – في مقدمة الجزء الثاني من كتابها "التفسير البياني للقرآن الكريم": "والقول بدلالة خاصة للكلمة القرآنية لا يعني تخطئة سائر الدلالات المعجمية، كما أن إيثار القرآن لصيغة بعينها لا يعني تخطئة سواها من الصيغ في فصحى العربية، بل يعني أن لهذا القرآن معجمه الخاص، وبيانه المعجز.

ويقول الأستاذ الدكتور توفيق علوان في كتابه "فيض الرحمن في التفسير الموضوعي للقرآن" يصف تلك الروعة الآخذة بمجامع القلوب، والتي أبهرت العلماء قديمًا وحديثًا، في السورة الواحدة (ص

٤٠٦): "نعم لم يكن أحد يحيط بهذه الميزة المعجزة من كتاب الله تعالى، عدا القلة النادرة منهم، وإنها سارية في جنبات كل سورة جامعة، أطرافها كالنسيج البديع الموشَّى، في جلال وجمال، لا تختل منه شاردة، ولا تضطرب فيه زينة ولا لون؛ إنه انتظام المعنى في جميع سور القرآن الكريم، ثم في كل سورة على حدتها، ولكل سورة عبقها وأريجها الآسر، وشخصيتها البارزة المميزة، بل نقول إنه هوالسر في إعجاز هذا الكتاب العظيم، فإنك كلما تصفحت سورة من سور الكتاب قصرت أوطالت، وجدت لها مسحة تميِّزها عن سواها، وإن هذه الصفة الغالبة البارزة، والتي تسري منها مسرى الدماء في العروق، أوالماء في العود الأخضر، إنما تبرز بغاية العظمة، والجلال، والجمال المقصود من الموضوع الذي تتناوله السورة".

وموضوع هذا الكتاب يبحث بالأدلة الواضحة، إثبات أن لكل سورة في القرآن جوها الخاص، وأسلوبها المستقل، وتعبيراتها، وألفاظها، وتركيباتها اللغوية الخاصة بها وحدها، والتي تميِّزُها عن باقي سور القرآن.

بل لا أبالغ إذا قلتُ: إن كل سورة من سور القرآن لها لغتها الخاصة، وكأنها مشتقة من لغة مستقلة، لها مفردات، وأساليب مختلفة، في كل سورة.

تحدَّى ربنا – سبحانه وتعالى – العالمين أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال جلَّ وعلا: "فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين{٣٤}" [الطور]، وقال: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا{٨٨}" [الإسراء: ٨٨] وتبين عجزهم عن ذلك، وتحدَّاهم أن يأتوا بعشر سورٍ مثله، فقال: "أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين{١٣}" [هود] وتبين عجزهم عن ذلك، وتحدَّاهم أن يأتوا بسورة واحدة، مثل هذا القرآن، فقال: "أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين{٣٨}" [يونس]، وقال كذلك بالغًا غاية التحدي، والإفحام: "وإن كنتم في ريبٍ مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم

من دون الله إن كنتم صادقين{٢٣} فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين{٢٤}" [البقرة] يتحدَّى بسورة واحدة، ولوكانت أقصر سورة – سورة الكوثر– ! وما زال القرآن يتحدى بإعجازه كل العالمين، من إنس، وجن، ومن عرب، وعجم، وما زال، وسيظل إلى يوم الدين، رافعًا رايته وحده واثقًا، مطمئنًا على صراطه المستقيم – أقول: "وحده" بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ، وبغض النظر عن حال الأمة التي نزل بلسانها، وعن موقعها من سبق، أوتأخر في ركب الحضارة!! – ينادي، ويكرر، ويستفز كل الدنيا، صباح مساء "ولن تفعلوا" فماذا فعلوا؟!! ما فعلوا شيئًا ... ولن يفعلوا.

وبحثُنا هذا يبحث ظاهرة قرآنية فريدة، في إعجازه البياني، وهي تميِّزُ كل سورة من سور القرآن، بجو خاص منفرد، لا يشاركها فيه غيرها، فتتميز بألفاظ وتركيبات، لم ترد في غيرها!.ونقصد بكلمة: "لفظة": الكلمة الواحدة بنصها، والتي ترد في سورة واحدة "وخاصةً إذا تكررت في نفس السورة عدة مرات، أولم تأت كل مشتقاتها إلا في هذه السورة فقط – وحيدة في بابها أومادتها – !" فمثلًا كلمة "الأبتر" وردت في سورة الكوثر، لكنها لم ترد ولم يرد أي مشتق من أصلها، أوجذرها الثلاثي "ب ت ر" في القرآن كله.

ونقصد بـ"التركيبة": لفظان متتاليان فصاعدًا – وقد تأتي تلك التركيبة في سورة واحدة – متكررة في أكثر من موضع، أومميزة، فلا تشبه غيرها، فتميز السورة الواحدة عن غيرها من السور، فمثلًا "فبأي آلاء ربكما تكذبان" التي تكررت في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، ولكنها لم ترد في سورة أخرى، فتميَّزت بها سورة الرحمن، وأضفَتْ عليها شخصيتها المستقلة، وطابعها الخاص.

ومعنى كلمة "سورة" في كلام العرب كما ذكر القرطبي في تفسيره: "الإبانة لها من سورة أخرى، وانفصالها عنها، وسُمِّيَت بذلك؛ لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة"، وقيل سُمِّيَت بذلك لشرفها، وارتفاعها، كما يُقال لِمَا ارتفع من الأرض سُور، وقيل: سُمِّيَت بذلك؛ لتمامها، وكمالها، من قول

العرب للناقة التامة: "سورة"، وقيل: لأنها تحيط بموضوعها، كإحاطة السُور بالأرض، أوكإحاطة السُّوار بالمعصم.

وقيل: بل اشتُقَّت من "سؤر" بالهمز، بمعنى: بقية، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

ولكن نلاحظ أن أغلب المعاني متقاربة: تدور حول الانفصال عن غيرها، والإحاطة بموضوعها، وشرف المنزلة، وارتفاعها.

وسوف نرى أن كل سورة من سور القرآن ـ طالت أوقصرت، تقدمت أوتأخرت – تتميز من حيث: البناء اللفظي، والأسلوبي عن غيرها، فتنفرد بلفظ، أوألفاظ، تميزها وحدها، وتعطيها طابعها الخاص، وأن أغلب سور القرآن تتميز بتركيبات، وأساليب بيانية، تميز كل سورة.!

وظاهرة أخرى في بعض سور القرآن – خاصةً طوال السور – وهي: وجود آيات بعينها، ذات وقع خاص، أوما اصطلح البعض على تسميتها "آيات محورية" وسوف يجد القارئ الكريم بعضًا منها في ثنايا الكتاب، ورغم أن بعض إخواني ممن اطلع على موضوع البحث وتفاصيله، نبهني إلى أن من الأفضل عدم الخوض في هذا الأمر؛ لأن الآيات "المحورية" ربما اتفق البعض، أواختلف حولها، وما ستقوله ربما يكون رأيًا شخصيًّا لك، أوأنه قد يحمل شبهة، من تفضيل بعض آي الكتاب الكريم على غيرها، ولكني بعد تفكير عقدتُ العزمَ على تضمينها في البحث، مع تسليمي بأن بعضها قد يكون بالفعل تأثرًا شخصيًّا مني ببعض الآيات، في بعض المواقف، ولكن لم أستطع التغافل عن تلك الظاهرة، ومالي لا أفعل، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – نفسه قد أرشدنا إلى مزايا خاصة لبعض الآيات، مثل: آية الكرسي "ثبت بالحديث الصحيح، عن أُبيّ بن كعب – رضي الله عنه ـ أنها أعظم آية في كتاب الله " وأواخر سورة البقرة، وآيات آل عمران "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب.." وأواخر سورة الحشر، وغير ذلك من الآيات، وعد العلماء كثيرًا من الآيات، وكأنها أصول في مواضيعها، قد تختصر آلاف الصفحات! وكيف يتسنى للمرء أن يغفل عن آية، كآية [الحجر: ٩] "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له

لحافظون"، وهي ركن ركين في موضوع حفظ الله للكتاب العزيز، أويتغافل عن جزء من آية [الشورى: ١١] ".. ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير"، وهي أصل الأصول في العقيدة، تختصر بالفعل مئات المجلدات!!! .... وهكذا.

يراعي الأسلوب القرآني أدق التفاصيل على مستوى الجملة، والعبارة، وعلى مستوى الكلمة، واللفظ، بل وعلى مستوى الحرف الواحد، فيرسم صورة، رائعة، شاملة، متكاملة، يخدمها جو كامل من الألفاظ والتراكيب، يعجز عن مثلها أدق الأدباء، وأروع الفنانين، فكما يقول النقاد: إن المخرج المبدع - ولله المثل الأعلى - هوالذي يمتلك أدواته، ويهتم بأدق التفاصيل، كالألوان، والظلال، والإضاءة، والمؤثِّرات الصوتية، و... وغير ذلك مما يتميز به العمل الفني، رائع الجمال، مكتمل الأركان، فلا تجد ذرَّة من نقص، أواختلال. فسبحان مَن هذا كلامه "فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئًا وهوحسير" [الملك: ٣، ٤].

لا نبحث هنا في تميز القرآن فوق كلام آخر - فلا يصمد أي كلام، ولا أي كتاب، في أي مقارنة، بأي مقياس، في مواجهة القرآن - وإنما نبحث في تميز السورة القرآنية الواحدة عن أخواتها من سور القرآن، ليس فقط من جانب معنوي نفسي، يسيطر على قارئها، أو سامعها، فيأخذه من كل جوانبه، ولكن من جانب إحصائي عملي، يرصد الألفاظ والعبارات، ويظهر تفرد السورة الواحدة، بأسلوب لغوي، ومفردات لفظية، تصنع جميعًا جوًّا خاصًّا، يميز كل سورة، ويعطيها طابعها الأسلوبي الفريد، ويمنحها شخصيتها المستقلة.

كيف جاءت الفكرة؟

كنت في الثلاثين من عمري، عندما بدأت محاولتي الجادة الحقيقية لحفظ كتاب الله، حتى أتممته في ست سنوات، ولكني كنت أجد في المراجعة بعد ذلك بعض الأخطاء والنسيان، وما يعتري من يحفظ كبيرًا في السن من أمثالي، فلا شك أن الحفظ، وكثرة المراجعة في الصغر، قبل الانشغال بأعباء الحياة، يكون أيسر كثيرًا، وأقل عرضةً للنسيان، ولذلك أردت أن أثبِّت الحفظ، بأن أضع لنفسي علامات في كل سورة، تذكرني بالاختلافات بين ما تشابه عليَّ من آياتها، وما يتشابه من سور أخرى، قد تحمل في بعض آياتها ألفاظًا، أوعبارات قريبة منها، وهكذا حتى تجمَّع عندي من هذه المقارنات رصيد؛ فوجئت بأنه يملأ مجلدًا ضخمًا، ولما راجعته على مهل أيقنت من حقيقة جديدة، حول لغة القرآن الكريم، وهي حقيقة على بساطتها، مدهشة، مذهلة : إن كل سورة في كتاب الله تنفرد على مستوى الألفاظ بكلمة، أوكلمات، لم تُذكر أبدا في سورة أخرى! ووثَّقت هذا الأمر إحصائيًّا، ففوجئت بأن تلك الفئة من الكلمات تبلغ أكثر من سبعة آلاف كلمة؛ أي: نحوعشرة بالمائة من مجموع كلمات القرآن! وانتهيتُ من هذا البحث في عام ١٤٢٦ هجري، ٢٠٠٦ ميلادي، ولكني بعد ذلك زدتُ فوجدتُ أن كل سورة في بناء القرآن الشامخ، تتميز كذلك عن بقية السور، بأسلوب خاص متفرد، وتركيبات لغوية تتناسق جميعًا؛ لتصنع جوًّا يميز السورة، ويعطيها بحق "شخصيتها" المستقلة!!

نعم، أنهيتُ جُلَّ عملي في هذا البحث قبل نحوعشر سنوات، ثم ترددت كثيرًا في نشره؛ كنتُ أقول لنفسي: وماذا تزيد أنت في معرفة الناس بالقرآن، إذا نشرت مثل هذا البحث؟ أتريد أن تقول: إن القرآن معجز؟ يعلم القاصي والداني أن القرآن معجزة المعجزات المتفردة، وآية الآيات الخالدة، أتريد أن تلفت أنظار الناس إلى حقيقة قرآنية جديدة؟ وماذا يفيد الناس أن تدلَّهم على ذلك، مع سابق علمهم، بل ويقينهم أنه كتاب الله تعالى، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يخلق على كثرة الرد؟! لكن تلك الأعوام لم تضِع هباءً، بل حاولتُ خلالها

أن أدرس بعض العلوم الشرعية، دراسةً نظاميةً أكاديمية، وخاصةً علم التفسير، وبفضل الله تعالى درست التفسير – الموضوعي، والتحليلي – ومناهج المفسرين، ودرست كذلك علوم القرآن، والبلاغة، والنحو، ومصطلح الحديث، وزدت فقرأت كثيرًا في كتب التفسير، والبلاغة، وما زلت أحبو، لم أبلغ الشاطئ فكيف باللآلئ في قاع المحيط الزاخر!!!

ثم قررتُ أخيرًا أن أتوكل على الله، وأنشر بحثي هذا، خشية أن أكون كتمتُ علمًا، ولعله يكون عونًا للقراء على فهم القرآن وتدبره، أو لعله يصبح المادة الخام لعلم جديد، من علوم القرآن، يربط بين ما تنفرد أوتتميز به كل سورة، من كلمات، وتركيبات، وجمل، وبين مقاصد كل سورة ومواضيعها الرئيسية، أولعل أحد الصالحين يقرأه، فيخصني بدعوة بظهر الغيب ينالني خيرها، فأكون من الفائزين.

فإلى مادة الكتاب .... والله المستعان.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه.

ربِّ اشرح لي صدري، ويسِّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني؛ يفقهوا قولي.

القرآن الكريم... نظرة طائر

أخذني القرآن أخذًا، حتى صرت لا أرى ولا أسمع - بحقٍ - غيره .... وكيف لا، وهو كلام الله!!!

حيرتني روعة البدء بـ"الفاتحة" أعظم سورة، كأنها المقدمة، المختصرة، الجامعة لكل ما بعدها...

وبهرني تفصيل منهج الاستخلاف في الأرض، وبيان أقسام الناس في "البقرة"...

وتثبيت ذلك المنهج، وتأكيد أن الدين عند الله الإسلام، وتربيته للمؤمنين في حال الانكسار في "آل عمران"...

وتوصيته بالعدل، وحنانه على المستضعفين، وإعجاز التشريع الرباني في "النساء"...

وتشديده على الوفاء بالعهود، والحكم بما أنزل الله، والرد على العقائد الفاسدة في "المائدة"...

وحجته البالغة في محاجة المشركين بالتفصيل في "الأنعام"...

واختصاره العجيب في تفاصيل قصص "الأعراف"...

وتربيته للمؤمنين في حالة نصرهم في "الأنفال"...

وبراءته من المشركين والمنافقين في "التوبة"...

وسياق تثبيته للعقيدة والحق في "يونس"...

واستعماله للقصص للتثبيت والاعتبار في "هود"...

وقضيتُ مع سورة "يوسف" أروع أوقاتي أتأمل أحسن القصص، وأستشعر الوعد بالتمكين بعد الابتلاء...

وسبحت بحمد الله تعالى مع "الرعد" في سورته...

وتأملت نعمته بإخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه في "إبراهيم"...

وتوكيد حفظ الله - سبحانه وتعالى - لمنهجه في "الحِجر"...

ومَنَّه بألوان نعمته التي لا تُحصى في "النحل"...

وبيانه لقدر هذا القرآن المعجز الكريم في "الإسراء"...

ورحمته المستترة عنا بخافي لطفه، في كل وقت في "الكهف"...

ولغته الحانية بالغة الرحمة في "مريم"...

وبيانه أن سبيل السعادة، ودواء الألم والشقاء، لا يكون إلا باتباع هذا القرآن في "طه".

وتيقنت وحدة دعوة الأنبياء، واستجابة الله دعاء الصالحين في "الأنبياء".

وأسرني سياق التوكيد الفريد في "الحج".

ومقارنة أهل الفلاح المؤمنين بأهل الشقاء الكافرين في "المؤمنون".

وتأملت عظيم نوره في كل آية من آيات سورة "النور".

وتأملت تسريته عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتثبيته في وجه تعنت المشركين في "الفرقان".

وأدهشتني مقاطع "الشعراء" وحديثها عن خطورة الإعلام وأهميته!

وتأملت متعجبًا مواقف مخلوقاته (النملة، والهدهد، والعفريت، والدابة) وكلامهم في "النمل".

وخرجت أترقب مع موسى - عليه السلام - متأملاً رعاية الله له، وصدق وعده في "القصص".

وتأملت حكمة ابتلاء وفتنة المؤمنين في "العنكبوت".

وتقلب الأحوال حتى تؤول في النهاية دائمًا إلى نصرٍ، يفرح به المؤمنون في "الروم".

وحرص الأب الحكيم على وعظ ابنه، ووصيته له في "لقمان".

وخررت ساجدًا لله - سبحانه وتعالى - ودعوته خوفًا وطمعًا، مع الطائعين في "السجدة".

وتأملت الأمر باتخاذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أُسوة حسنة، وعظيم قدره عند ربه؛ حتى يصلي عليه، وملائكته في "الأحزاب".

وتمزيقه للمكذبين كل ممزق في "سبأ".

وتذكرتُ فقر العباد الكامل إليه - سبحانه - وغناه المطلق عمن سواه في "فاطر".

وتأملت عظم أمر الرسالة، ونصح المؤمن الحق لقومه في "يس".

وتنجيته عباده المخلَصين في "الصافات".

وفضل الأوبة إليه في "ص".

وقدر الإخلاص له - سبحانه - في "الزمر".

وأسرتني ذوات حاميم: فعشت مع مؤمن آل فرعون، أتأمل صبره، وحكمته في دعوة قومه، ثم انتقام الله تعالى، من المجادلين في آياته بغير سلطانٍ أتاهم في "غافر".

وبهرتني "فُصِّلت" وشهادة الجلود على العصاة، وإنطاقه بقدرته - سبحانه - لكل شيء، وأهمية اتباع الشريعة، والتزام الشورى، وولاية الله لعباده في "الشورى".

ووعيتُ ضآلة هذه الدنيا الفانية، ومقاييسها الصحيحة، والزائفة في "الزخرف".

وترقَّبتُ فتيقَّنتُ أن الفزع حظ الكافرين، وأن الأمان الحق نصيب المؤمنين في "الدخان".

وروَّعني استنساخ العمل في "الجاثية" في كتاب ينطق على جميع الخلق بالحق،

وتأملتُ توفيق الله لعباده المتقين بالهداية في "الأحقاف".

وأذهلتني فواصل "محمد" المتفردة.

وخاتمة "الفتح" الرائعة.

وآداب "الحجرات" العالية.

وسياق "ق" المُزلزِل.

وعظيم رزقه - سبحانه - وهوالغني عن الرزق في "الذاريات".

وارتعدتُ من عذاب الله الواقع، ما له من دافع في "الطور".

وسجدت لله - سبحانه وتعالى - مأخوذاً بروعة البيان، والفواصل في "النجم".

وتأملتُ واسع رحمة الله بتيسير القرآن للذكر، وتهديد المكذبين بعذابه ونذره في "القمر".

وأخذني جلال الوصف في "الرحمن".

وارتعدتُ أن أرى نفسي مع المكذبين الضالين، وطمعتُ أن ألحق بأصحاب اليمين، وتأملتُ نعيم

الجنة لفريق السابقين في "الواقعة".

وتأملتُ أهمية التوازن الدقيق بين الروح والمادة في "الحديد".

وحقيقة علم الله تعالى الكامل، وشهوده لكل شيء، بأدق تفاصيله في "المجادلة".

وأذهلتني المقارنة بين أُخوّة المؤمنين الصادقة المبهرة، وبين ادعاء المنافقين الكاذب، بنصرة إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب في "الحشر".

وتعلمتُ موقف المؤمنين الصحيح، الواجب تجاه من خالفهم في العقيدة في "الممتحنة".

ووعيتُ النهي الشديد عن قول المؤمنين ما لا يفعلون في "الصف".

والتوجيه بألا نتشبه باليهود فنكون كالحمار يحمل أسفارًا في "الجمعة".

وألا نتشبه بالمنافقين، فنظهر غير ما نبطن في "المنافقون".

وأن نحذر فتنة الأموال، والأزواج، والأولاد في "التغابن".

وتوقفت طويلًا عند معنى تقوى الله تعالى في كل حال، في سورة "الطلاق".

وعند تمتع المؤمنين التائبين بالنور التام في الآخرة في "التحريم".

وعند الحذر من عصيانه ونقمته - سبحانه - في "الملك".

ودفاعه عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - في "القلم".

وحديثه عن الآخرة في "الحاقة".

ووصفه للمؤمنين وللمجرمين في "المعارج".

وصبر الأنبياء، وعظيم تحملهم، وطريقتهم في الدعوة في "نوح".

وأيقنتُ صدق القائلين "إنا سمعنا قرآنًا عجبًا" في "الجن".

وتعلمتُ عظيم زاد الدعاة في القيام ليلًا بين يدي ربهم في "المزمل".

وفي علو الهمة، للنهوض بأعباء الدعوة إلى ربهم في "المدثر".

وقسمه تعالى بيوم القيامة، وبالنفس اللوامة في "القيامة".

وهدايته للسبيل في "الإنسان".

وإنذاره بالويل للمكذبين في "المرسلات".

وإثبات البعث والنشور في "النبأ".

وبيانه مآل المتقين والمجرمين في "النازعات".

وأن إبلاغ دعوة الله يكون لجميع الناس، لا يختص بفئةٍ منهم في "عبس".

وانقلاب أحوال الكون يوم القيامة في "التكوير".

وحقيقة اغترار الإنسان بربه الكريم في "الانفطار".

وكتاب الأبرار في عليين، والفجار في سجين في "المطففين".

وهول القيامة، وخضوع الكون لخالقه في "الانشقاق".

وبطش ربي الشديد بالظالمين في "البروج".

وإمهاله - سبحانه - للكافرين في "الطارق".

وربط النفوس بالآخرة، وتخليصها من الدنيا في "الأعلى".

وتصوير حال الوجوه خاشعةً وناعمةً في "الغاشية".

وتأمَّلت جزاء الطغاة الظالمين، وعاقبة المؤمنين في "الفجر".

وكَبَد الإنسان في "البلد".

وشمول العذاب لمن أيد الباطل، وإن لم يشارك في فعله في "الشمس".

واختلاف أحوال الناس، ومساعيهم في "الليل".

وعظيم رعاية الله - سبحانه - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - في "الضحى".

ورفع ذكره - عليه الصلاة والسلام - وكيف يأتي مع العسر الواحد يسران في "الشرح".

ورفعة قدر المؤمنين، وسفل الكافرين في "التين".

وعظيم تكريم الله للبشر بالعلم في "العلق".

وبيان عظمة ليلة القدر في "القدر".

وقيمة الرسالة التي نزلت فيها في "البينة".

وحقيقة الإحصاء الدقيق للأعمال - بمثقال الذرة - في "الزلزلة".

وحقيقة الإنسان الكنود في "العاديات".

وقرع القلوب؛ لتهرع إلى عمل صالح، يثقل موازينها في "القارعة".

وتذكير المفتون بالدنيا في "التكاثر".

وحقيقة مقاييس الربح والخسارة في "العصر".

والوعيد للمستهزئين في "الهُمزة".

وحماية الله لبيته الحرام في "الفيل".

وفضله وامتنانه على قريش في "قريش".

وبيان صفات المكذبين بالدين في "الماعون".

وعظم عطائه لنبيه، وتوعده مَن سبَّه في "الكوثر".

والمفاصلة الكاملة مع أهل الكفر في "الكافرون".

وماذا يفعل المؤمنون حال النصر والتمكين في "النصر".

وتوعد الكافرين - مهما عظم نسبهم - بسوء المآل في "المسد".

وكمال الله - سبحانه - ووحدانيته، وتنزيهه عن الولد والند في "الإخلاص".

والاستعاذة به - سبحانه - من شرور الدنيا الظاهرة في "الفلق".

ومن وسوسة الشياطين في داخل الصدور في "الناس".

تلك إطلالة سريعة، نستأذن حضراتكم للدخول في أبرز التفاصيل، وأُذكِّركم:

ليس ما نقدمه في هذا الكتاب تفسيرًا، وإن كنت أرجوأن يقدم زادًا بسيطًا، وعونًا لأهل التفسير، وليس ما ستقرؤون إلا لمحة بسيطة، من لمحات الإعجاز البياني في لغة القرآن، بل هي مجرد إشارات متواضعة، تربط بين سور القرآن، وبين الكلمات والتراكيب التي تنفرد بها كل سورة عن بقية السور، وتعطي لكل سورة شخصيتها المستقلة، وتميزها الخاص، وجوها الأسلوبي المتفرد، وليس ما نعرضه في هذا الجزء إلا بعض أمثلة ظاهرة، أما من يريد أن يراجع بالتفصيل كل ما أحصينا من الكلمات التي وردت في سور بعينها فقط، فيمكنه الرجوع إلى الجزء الأخير من هذا الكتاب، والذي أسميناه "ظاهرة الكلمة الوحيدة"، وأثبتنا فيه على سبيل الحصر تفرد كل سورة بكلمات، لم ترد في غيرها من سور القرآن.

سورة الفاتحة

التسمية: سميت الفاتحة لأنها السورة التي افتتح بها الكتاب العزيز، وهي أعظم سور القرآن (كما ثبت من حديث أبي سعيد بن المعلى) وسُميت كذلك "السبع المثاني" بنص القرآن في سورة [الحِجر: ٨٧] "ولقد آتيناك سبعًا من المثاني والقرآن العظيم" ومعنى المثاني، أي: التي تُثنّى، أي: تكرر قراءتها كثيرًا في الصلوات، وآياتها سبع بالإجماع وسُميت "سورة الصلاة" فلا تصح الصلاة إلا بتلاوتها، ومن أسمائها كذلك الشافية، والكافية، وسورة الحمد، وغير ذلك مما لا يحصى من فضائلها.

تبدأ السورة بعد البسملة، بقول الله تعالى: الحمد لله، وهي بداية تشترك فيها خمس سور من القرآن الكريم بمواقع مميزة: الفاتحة، في بدء القرآن الكريم، ثم سورة الأنعام، بعد حوالي ربع القرآن الأول، ثم سورة الكهف، بعد حوالي ربع القرآن الثاني، ثم سورتين متتاليتين؛ سبأ، وفاطر، بعد حوالي ربع القرآن الثالث، وكأن البداية بـ "الحمد لله" تأتي كل ربع قرآني لتذكر المؤمنين بحمده – سبحانه وتعالى –.

المحاور الرئيسية: مفتاح البدء:

الفاتحة ملخص للقرآن كله، فيها التعريف بالله تعالى بأحب الصفات إلى عباده، بتكرار "الرحمن الرحيم" والحمد له – جل جلاله – وتوحيده بأنواع التوحيد: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وإفراده – سبحانه – بالعبادة، والاستعانة، وطلب الهداية منه – جل وعلا – ويُقال: جُمِعت معاني الكتب السابقة في القرآن، وجُمع القرآن في الفاتحة، وجمعت الفاتحة في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" [الفاتحة: ٥].

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها:

في [الآية: ٥] قوله تعالى "إياك" مرتين، ويقول علماء البلاغة أن هذا التقديم يفيد التخصيص، أي: "نعبدك وحدك، ولا نعبد سواك"، و"نستعين بك وحدك، لا سواك".

وكذلك قوله تعالى: "نستعين".

وفي [الآية: ٧] قوله تعالى: "المغضوب".

تركيبات لغوية خاصة:

"الرحمن الرحيم" تكررت في [الآية ١ و٣] وبأخذ رأي من قال من المفسرين: إن البسملة آية من الفاتحة، وليست آية من سورة أخرى - بل تُوضع للفصل بين سورة وأخرى - فيكون التكرار في الفاتحة هو الوحيد.

قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" [الآية: ٥] لم يرد مثله في القرآن الكريم كله، وكذلك قوله تعالى: "المغضوب عليهم" [الآية: ٧] كوصف لمن يعرف الحق، فيأبى اتباعه، كاليهود، ومن شاكلهم.

مقارنات: تأمل قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم" في مقابلة "غير المغضوب عليهم ولا الضالين".

سورة البقرة

التسمية: "البقرة" تنفرد السورة بذكر قصة البقرة التي أمر الله نبيه موسى – عليه السلام – أن يذبحها بنوإسرائيل؛ ليضربوا ببعضها جثة قتيل منهم، فيحيا بمعجزة ربانية، ويخبر بمن قتله!

المحاور الرئيسة: منهج استخلاف الإنسان في الأرض:

أطول سورة في القرآن، وهي مدنية تعالج أمور المعاملات، وتشتمل على أحكام عديدة، يربطها جميعًا توضيح منهج الاستخلاف في الأرض، وتضمَّنت أعظم آية في كتاب الله، كما ثبت في صحيح مسلم، من حديث أبي بن كعب – رضي الله عنه – آية الكرسي، [الآية: ٢٥٥]، وكذلك تضمنت أطول آية في كتاب الله: آية الدَّين [الآية: ٢٨٢]، وكذلك آخر آية نزلت من القرآن، أي: آخر وحي من السماء، على القول الراجح من أقوال أهل العلم: "واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون" [الآية: ٢٨١].

ومن فضائلها العديدة، ما ورد في صحيح مسلم، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة".

وتعرض – كما هو ظاهر من تسميتها – طرفًا من قصة بني إسرائيل، وشدَّة تعنتهم، وجدالهم مع نبيهم في قصة البقرة، وفي ذلك تحذير لأمة الإسلام أن يحذوا حذوهم "قالوا سمعنا وعصينا" [الآية: ٩٣].

فلابد للمؤمنين أن يطيعوا أوامر الله دون جدال؛ لذلك تأتي في خواتيمها آية، تظهر المقابلة بين المنهجين: "وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير" [الآية: ٢٨٥]، ومن القضايا التي تعالجها السورة من بدايتها تقسيم الناس إلى ثلاثة فرق: المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، وكذلك تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، وتحذير أمة الإسلام من اتباعهم، وتضمنت أحكامًا كثيرة في أمور القتال، والجهاد، والحج، والطلاق، والصيام، وتحويل القبلة، والحث على الإنفاق في سبيل الله، والدَّين، ولذلك تنفرد بتكرار المقطع "كُتِبَ عليكم..." بمعنى الفرض، والإلزام، وغير ذلك

من تفاصيل منهج استخلاف بني آدم في الأرض.

وجعلها الأستاذ سعيد حوى في تفسيره "الأساس" مقدمة لكل سور القرآن بعدها مبينًا الوحدة الموضوعية الكاملة لسور القرآن.

وأبدع الدكتور محمد عبد الله دراز، في كتابه العظيم "النبأ العظيم" في تقسيمها إلى مقدمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها:

لم ترد الكلمات الآتية إلا في سورة البقرة: وجميعها – ما عدا كلمة "بقرة" – وحيدة في بابها، أي أنها لم ترد بكل مشتقاتها إلا في سورة البقرة:

"ربحت" [الآية: ١٦].

مادة "س ف ك": "يسفك"[الآية: ٣٠]، و"تسفكون" [الآية: ٨٤].

"بقلها"، و"قثائها"، و"فومها"، و"عدسها"، و"بصلها"، جميعها لم ترد بكل مشتقاتها، إلا في سورة البقرة، وجميعها في [الآية: ٦١].

"بقرة" مفردة بهذا النص في ٤ آيات متتاليات [٦٧، و٦٨، و٦٩، و٧٠].

"فاقع"[الآية: ٦٩].

"شية" [الآية: ٧١].

"ميكال" [الآية: ٩٨].

"هاروت"، و"ماروت"[الآية: ١٠٢].

"شطر"[الآيات: ١٤٤، و١٤٩، و١٥٠]، و"شطره"[الآية: ١٤٤، و١٥٠] مادة "ش ط ر".

"المروة"[الآية: ١٥٨].

"ينعق"[الآية: ١٧١].

"رمضان" [الآية: ١٨٥].

مادة "ر ف ث": "الرفث" [الآية: ١٨٧]، و"رفث"[الآية: ١٩٧].

مادة "وس ن": "سِنة"[الآية: ٢٥٥].

"يؤوده" [الآية: ٢٥٥].

تركيبات لغوية خاصة:

قلنا أن بعض العبارات أوالمقاطع تتكرر في السورة الواحدة، وكأنها "لازمة" خاصة بها، تعطيها طابعها الخاص، وشخصيتها المستقلة، ومن ذلك – مثلًا – انفراد سورة البقرة بالآيتين المتطابقتين: "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون" [الآيتان: ١٣٤، ١٤١].

ورد المقطع "واتقوا الله واعلموا.." في ستة مواضع، من سورة البقرة، ولم يرد في غيرها: [الآيات: ١٩٤، و١٩٦، و٢٠٣، و٢٢٣، و٢٣١، و٢٣٣] وتأمل كذلك في [الآية: ٢٨٢] "واتقوا الله ويعلمكم الله"، وكذلك "وعلم آدم الأسماء كلها" [الآية:٣١].

" ...وليتق الله ربه.." في موضعين: [الآيتان: ٢٨٢ و٢٨٣].

" ...حذرَ الموت.." وردت هنا فقط، وفي موضعين: [الآيتان: ١٩ و٢٤٣].

" ...واتقوا يومًا.." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٤٨ و١٢٣ و٢٨١] منها في موضعين: "...واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئا" [الآيتان: ٤٨ و١٢٣] بينما في لقمان [الآية: ٣٣]"... واخشوا يومًا".

"وإذ أخذنا ميثاقكم.. " في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٦٣ و٨٤ و٩٣] منها [الآيتان: ٦٣ و٩٣] "وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة"، وكأنه تنبيه للمؤمنين ألا يفرطوا في ميثاقهم مع الله كما سبقهم بنوإسرائيل.

"وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا..." في موضعين: عند الحديث عن " المنافقين" [الآية: ١٤]، و"اليهود" [الآية: ٧٦].

"ربنا آتنا في الدنيا.." في موضعين: [الآيتان: ٢٠٠ و٢٠١].

"وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس" في موضعين: الآيتان: ٨٧ و٢٥٣].

"الذين اتَّبعوا" بفتح وتشديد التاء في موضعين: [الآيتان: ١٦٦ و١٦٧]، وكذلك "الذين اتُّبعوا" بضم وتشديد التاء الآية: ١٦٦].

"الذين يظنون أنهم ملاقو..." في موضعين: [الآيتان: ٤٦ و٢٤٩].

"أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى.." في موضعين: [الآيتان: ١٦ و١٧٥].

"أولئك عليهم..." في موضعين: [الآيتان: ١٥٧، و١٦١]، وأرجوك قارن بين معنى الآيتين!

"الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله..." في موضعين: [الآيتان: ٢٦١ و٢٦٢].

"يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم..." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٤٠ و٤٧ و١٢٢] منها موضعين "وأني فضلتكم على العالمين": [الآيتان: ٤٧ و١٢٢].

"علم الله أنكم..." في موضعين: الآيتان: ١٨٧ و٢٣٥].

"ولله المشرق والمغرب..."، و".. لله المشرق والمغرب.." في موضعين: الآيتان: ١١٥ و١٤٢].

" ...من عند الله مصدق لما معهم ... " في موضعين: [الآيتان: ٨٩ و١٠١].

" ...إن الله بما تعملون بصير" في موضعين [الآيتين: ١١٠ و٢٣٧]، وكذلك "...أن الله بما تعملون بصير" [الآية: ٢٣٣].

انظر حرف الباء في "بالله وباليوم الآخر" [الآية: ٨] بينما وردت في بقية القرآن "بالله واليوم الآخر" في ١٨ موضعًا، ووردت "ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر" في [سورة النساء: ٣٨] و"قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.." في [التوبة: ٢٩].

"يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم....." في موضعين: [الآيتان: ١٧٨ و١٨٣].

"فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام" في ثلاثة مواضع : [الآيات: ١٤٤ و١٤٩ و١٥٠] منها "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام..." في آيتين:[١٤٩ و١٥٠] بينما "فول وجهك

شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره" في موضعين: [الآيتان: ١٤٤ و١٥٠].

"قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما...." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٦٨ و٦٩ و٧١] وأيضًا: "قال إنه يقول إنها بقرة..." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٦٨ و٦٩ و٧١] فتأمل لجاجة اليهود، وجدالهم، وسوء أدبهم مع خالقهم - سبحانه - ومع رسوله موسى - عليه السلام -.

"ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون" في موضعين: [الآيتان: ٥١ و٩٢].

"هودًا أونصارى" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١١١ و١٣٥ و١٤٠].

"يا أيها الذين آمنوا أنفقوا..." في موضعين: [الآيتان: ٢٥٤ و٢٦٧].

"وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن..." في موضعين: [الآيتان:٢٣١ و٢٣١].

لم يرد ذكر "جالوت" إلا في سورة البقرة: [الآيات: ٢٤٩ و٢٥٠ و٢٥١] وكذلك "طالوت": [الآيتان: ٢٤٧ و٢٤٩].

وكذلك "هاروت وماروت" [الآية: ١٠٢].

"حقًّا على المتقين" في موضعين: [الآيتان: ١٨٠ و٢٤١]، وكذلك "حقًّا على المحسنين" [الآية: ٢٣٦].

"كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون" لم تأت بنصها إلا في سورة البقرة، في موضعين: [الآيتان: ٢١٩ و٢٦٦].

"يتربصن بأنفسهن" في موضعين: [الآيتان: ٢٢٨ و٢٣٤].

و"يسألونك ماذا ينفقون قل..." في موضعين: [الآيتان: ٢١٥ و٢١٩].

"شديد العذاب" في [البقرة: ١٦٥] بينما في بقية القرآن "شديد العقاب" وانظر: [البقرة: ١٩٦ و٢١١].

[آل عمران: ١١]، و[المائدة: ٢ و٩٨] و[الأنفال: ١٣ و٢٥ و٤٨ و٥٢]، و[الرعد: ٦] و[غافر: ٣ و٢٢]، و[الحشر: ٤ و٧].

"أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى..." في موضعين: [الآيتان: ١٦ و١٧٥].

"فعدة من أيام أخر" في موضعين: [الآيتان: ١٨٤ و١٨٥].

"عقدة النكاح" في موضعين: [الآيتان: ٢٣٥ و٢٣٧].

"كتب عليكم" في خمسة مواضع: [الآيات: ١٧٨ و١٨٠ و١٨٣ و٢١٦ و٢٤٦] منها "كتب عليكم القتال" في موضعين: [الآيتان: ٢١٦ و٢٤٦] وقارن المعنى!!

معنى الاستعانة بالصبر والصلاة: في موضعين: [الآيتان: ٤٥ و١٥٣].

"وقاتلوا في سبيل الله" في موضعين: [الآيتان: ١٩٠ و٢٤٤]، وأيضًا "نقاتل في سبيل الله" مرة بسكون لام "نقاتل"، وأخرى بفتحها في [الآية: ٢٤٦].

"فيما فعلن في أنفسهن" في موضعين: [الآيتان: ٢٣٤ و٢٤٠].

انظر معنى: [الآية: ١٩١] "والفتنة أشد من القتل" و[الآية: ٢١٧] "والفتنة أكبر من القتل".

"قال إن الله..." في موضعين: [الآيتان: ٢٤٧ و٢٤٩].

" ...من يقول ربنا آتنا في الدنيا..." في موضعين: [الآيتان: ٢٠٠ و٢٠١].

" وقال لهم نبيهم إن..." في موضعين: [الآيتان: ٢٤٧ و٢٤٨].

"من كان عدوًّا..." في موضعين: [الآيتان: ٩٧ و٩٨].

"ما لم تكونوا تعلمون" في موضعين: [الآيتان: ١٥١ و٢٣٩].

"فلا إثم عليه" في أربعة مواضع: [الآيات: ١٧٣ و١٨٢ و٢٠٣ و٢٠٣].

"ولا يأب" في موضعين: [الآيتان: ٢٨٢ و٢٨٢].

"لا طاقة لنا" في موضعين: [الآيتان: ٢٤٩ و٢٨٦].

"كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون" في موضعين: [الآيتان: ٢١٩ و٢٦٦].

"ولكن البر من..." في موضعين: [الآيتان: ١٧٧ و١٨٩].

"وإذا قيل لهم آمنوا..." في موضعين:[الآيتان: ١٣ و٩١].

"ما في أنفسكم" في موضعين: [الآيتان: ٢٣٥ و٢٨٤].

"مما كسبوا والله..." في موضعين: [الآيتان: ٢٠٢ و٢٦٤].

"و"ماله في الآخرة من خلاق" في موضعين: [الآيتان: ١٠٢ و٢٠٠].

"وما تنفقوا من خير" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٢٧٢ و٢٧٢ و٢٧٣] بينما في [آل عمران: ٩٢]، و[الأنفال: ٦٠] "من شيء"، و[سبأ: ٣٩] "وما أنفقتم من شيء".

"فما استيسر من الهدي" مرتين في آية واحدة: [الآية: ١٩٦].

"فمن تطوع خيرًا..." و"ومن تطوع خيرًا.." في موضعين: [الآيتان: ١٥٨ و١٨٤].

"الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله..." في موضعين: [الآيتان: ٢٦١ و٢٦٢].

معنى تعليم آدم الأسماء، والإنباء بها: لم يرد إلا في سورة البقرة في ثلاثة مواضع: [الآيات:٣١ و٣٣ و٣٣].

"كمثل الذي..." في موضعين: [الآيتان: ١٧ و١٧١].

"ومثل الذين ينفقون أموالهم..." في موضعين: [الآيتان: ٢٦١ و٢٦٥].

"مثل قولهم" في موضعين: [الآيتان: ١١٣ و١١٨].

"مريضًا أوعلى سفر فعدةٌ من أيام أخر" في موضعين: [الآيتان: ١٨٤ و١٨٥].

"وما أهل به لغير الله" [الآية: ١٧٣] بهذا النص والترتيب، لم ترد إلا في سورة البقرة، واختلف الترتيب في الآيات المشابهة في القرآن، حيث وردت في ثلاثة مواضع أخرى، جميعها بنص مختلف الترتيب "وما أهل لغير الله به" في [المائدة: ٣] و[النحل: ١١٥] و"أهل لغير الله به" [الأنعام: ١٤٥].

كلمة "هودًا" بمعنى اليهود، لم ترد إلا في سورة البقرة "في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١١١ و١٣٥ و١٤٠]، بينما في بقية القرآن ترد بمعنى نبي الله هود - عليه السلام -.

في البقرة فقط، وردت زيادة الأجر "فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" [الآية:

١١٢]، وكذلك قوله تعالى: ""فلهم أو"لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" في أربعة مواضع: [الآيات: ٦٢ و٢٦٢ و٢٧٤ و٢٧٧] بينما في باقي القرآن تأتي بدون زيادة الأجر، فيقول: ""فلا أو"لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون" كما في المائدة [الآية: ٦٩]، و[الأنعام: ٤٨]، و[الأعراف: ٣٥] و[يونس: ٦٢] و[الأحقاف: ١٣].

انفردت السورة بفرض الصيام، وذكر رمضان، والاعتكاف، وبذكر تحويل القبلة.

القصص: ورد في السورة كثير من القصص، نعرض أمثلة منه:

انفردت سورة البقرة بذكر قصة البقرة، تحذيرًا لأمة الإسلام من اتباع لجاجة، وتعنت بني إسرائيل، ثم قسوة قلوبهم، وعرضت طرفًا من قصة بداية خلق أبي البشر، آدم – عليه السلام – مع التركيز الواضح على موضوع السورة "الاستخلاف"، فانفردت بذكر خلافة آدم – عليه السلام – "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض "خليفة"..." [الآية: ٣٠]، بينما ورد ذكر آدم – عليه السلام – في بقية سور القرآن "خمسًا وعشرين مرة" متعلقًا بمواضيع أخرى، أبرزها أمر الله – تعالى – ملائكته بالسجود له، وانفردت سورة البقرة كذلك، بذكر قصة هاروت وماروت؛ تحذيرًا للأمة من اتباع السحر وتعلمه، مما ينافي منهج الاستخلاف، وبذكر قصة طالوت وجالوت؛ بيانًا لأهمية الجهاد والقتال في سبيل الله، ومواصفات القيادة، وجنود الحق الذين يثبتون في مواجهة الباطل، ولوكان أكثر عددًا وعدة.

المقارنات:

في السورة كثير من المقارنات والمقابلات، نذكر منها على سبيل المثال:

[الآية: ٨] "ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين".

[الآية: ٩] "يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون".

[الآيتان: ١١ و١٢] "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون".

[الآية: ٢٠] "كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا".

[الآية: ٧٧] "أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون".

[الآيتان: ١١٤ و١١٥] ".. لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب..".

[الآية: ١٩٨] "واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين".

[الآية: ٢١٦] "وعسى أن تكرهوا شيئًا وهوخير لكم وعسى أن تحبوا شيئًا وهوشر لكم". تشابه السياق، ووضوح المقابلة، في موضعين في آية واحدة.

[الآية: ٢٤٩] "... فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني...".

[الآية: ٢٨٢] "ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرًا أوكبيرًا..".

تأمل سياق [الآية: ٢٨٤] "لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيءٍ قدير".

وغير ذلك من المقابلات كثير.

الأمثال:

ورد في السورة كثير من الأمثال، نذكر منها:

[الآيات: من ١٧ – ٢٠] تأمل المثلين المضروبين للمنافقين، وتنفرد سورة البقرة بعرضهما:

"مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلماتٍ لا يبصرون. صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون. أوكصيبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبرقٌ يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين. يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولوشاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيءٍ قدير".

وتأمل كذلك المثل المضروب لآكلي الربا "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس..." [الآية: ٢٧٥] فأنى يفيق أو يفلح.

وتأمل كذلك المثل المضروب لمن ينفق في سبيل الله "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل في كل سنبلةٍ مائةُ حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسعٌ عليم" [الآية:٢٦١] وهنا نقطة بيانية لطيفة، لماذا قال هنا "سنابل" بينما في آيتي [سورة يوسف: ٤٣ و٤٦] قال "سبع سنبلات"؟ بينما العدد واحد "سبع"، والمعدود، هو جمع "سنبلة"؟ قال بعض أهل البلاغة "سنبلات" جمع قلة، فجاءت في وصف رؤيا الملك، في سورة يوسف، هكذا: "سنبلات"؛ لأن القصد أن يقول حقيقة ما رآه، أما في سورة البقرة فجاء جمع الكثرة "سنابل"؛ لتناسب الكثرة في البركة، والأجر، والثواب "والله يضاعف لمن يشاء"، والله أعلم.

وتأمل كذلك المقابلة في [الآيتين: ٢٦٤ و٢٦٥] "يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه ترابٌ فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيءٍ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين"، في مقابل: "ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنةٍ بربوةٍ أصابها وابلٌ فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابلٌ فطل والله بما تعملون بصير"

آيات محورية:

في سورة البقرة أعظم آية في كتاب الله؛ آية الكرسي [الآية: ٢٥٥] "الله لا إله إلا هو الحي القيوم.." كما ثبت من حديث أبي بن كعب - رضي الله عنه -.

وكذلك الآيتين في نهاية السورة – خواتيم البقرة – "من قرأهما في ليلة كفتاه"، كما في الحديث المتفق عليه، بداية من قول الله تعالى: " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون..." إلى نهاية السورة.

سورة آل عمران

التسمية: سُمِّيَت بهذا الاسم؛ إعلاءً لذكر تلك الأسرة الكريمة التي اصطفاها الله، وجعل من نسلها مريم العذراء البتول، التي حملت بمعجزة ربانية، فولدت نبيًّا كريمًا، ورسولًا من أولي العزم، دون أب هو عيسى - عليه وعلى نبينا السلام - قال تعالى: "إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين" [الآية: ٣٣].

المحاور الرئيسة: السورة مدنية تعالج قضايا في واقع حياة الجماعة المؤمنة، وأحد محاورها الظاهرة تفرد هذه الأمة صاحبة الرسالة الأخيرة، كما يُشير إليه قول الله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام" [الآية: ١٩]، و"ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين" [الآية: ٨٥]، و"كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله.." [الآية: ١١٠].

وتعالج قضية "الثبات" على المنهج الرباني، وكأنها استكمال لسورة البقرة، وتجادل أهل الكتاب، في حوار تثبت فيه بشرية عيسى - عليه السلام - "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون" [الآية: ٥٩]، وتضمنت آية المباهلة "فمن حاجَّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" [الآية: ٦١]، ويمكن تقسيم السورة بوجه عام إلى قسمين:

- الأول: الآيات من [١-١٢٠]، وتعالج "الثبات على المنهج" في مجادلة المخالفين لعقيدة الإسلام.

- والثاني: الآيات من [١٢١]، وحتى نهاية السورة، وتعالج "الثبات على المنهج" في القتال، وتربية الصف المؤمن في حالة الانكسار، كما حدث في غزوة أحد؛ ولذا لم يكن غريبًا أن تنفرد السورة بمعاني "التمحيص" و"الغزو" و"القرح"!!!

وتختتم السورة بخاتمة، تدور حول نفس معنى الثبات "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا

واتقوا الله لعلكم تفلحون"[الآية: ٢٠٠]، والتي تعبر في الحقيقة عن أهم محاور السورة "اثبت على الحق".

الألفاظ:

ورد فيها كثير من الكلمات لم ترد في غيرها، وهذه بعض أمثلة لألفاظ؛ جميعها وحيدة في بابها ومادتها، فلم ترد مشتقاتها إلا في سورة آل عمران:

"رمزًا"[الآية:٤١].

"تدخرون"[الآية: ٤٩].

"بدينار"[الآية: ٧٥].

"قرح" مرتين في [الآية ١٤٠]، و"القرح"[الآية: ١٧٢].

"ليمحص"[الآيتان:١٤١و١٥٤].

"غُزَّى"[الآية: ١٥٦].

"فظًّا"[الآية: ١٥٩].

تركيبات لغوية خاصة

"أولئك جزاؤهم..." في موضعين: [الآيتان: ٨٧ و١٣٦]، وقارن أكرمك الله بين الفريقين والجزاءين!

" .....آلاف من الملائكة..." في موضعين: [الآيتان: ١٢٤ و١٢٥].

"والله بصير بالعباد" في موضعين:[الآيتان: ١٥ و٢٠] قارن مع غافر [الآية: ٤٤] "إن الله بصير بالعباد".

"والله ذو فضلٍ عظيم" [الآية: ١٧٤] الوحيدة حيث وردت في ستة مواضع أخرى جميعها "والله ذو الفضل العظيم" في: [البقرة: ١٠٥]، و[آل عمران: ٧٤]، و[الأنفال: ٢٩] و[الحديد: ٢١ و٢٩]، و[الجمعة: ٤].

سمة عامة في السورة: إذا جمعت الآية بين "الله" - تبارك وتعالى - والرسول - صلى الله عليه وسلم - فدائمًا تأتي الصيغة هكذا: "الله والرسول" [الآيتان: ٣٢ و١٣٢]، أو"لله والرسول" [الآية: ١٧٢] فلا يقول مثلًا "الله ورسوله".

"وإذ أخذ الله ميثاق..." في موضعين: [الآيتان: ٨١ و١٨٧].

"والله عنده حسن..." في موضعين: [الآيتان: ١٤ و١٩٥].

" ...بنعمة من الله وفضل" في موضعين: [الآيتان: ١٧١ و١٧٤]، وتأمل المعنى: "يستبشرون بنعمة من الله وفضل.."... ثم كان الجزاء "فانقلبوا بنعمة من الله وفضل..."

"والله لا يحب الظالمين" في موضعين: [الآيتان: ٥٧ و١٤٩].

"إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك..." فاثبتوا على المنهج والحق في موضعين: [الآيتان: ١٠ و١١٦].

"و"إن تصبروا وتتقوا..."، في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١٢٠ و١٢٥ و١٨٦] واضحة الدلالة على الثبات على المنهج الرباني.

"يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا..." في موضعين: [الآيتان: ١٠٠ و١٤٩] وتأمل المعنى في الآيتين، واضح الدلالة على النهي عن اتباع الكافرين، وأصحاب العقائد الفاسدة، من أهل الكتاب.

"فإن تولوا فإن الله..." في موضعين: [الآيتان: ٣٢ و٦٢]، أي: فاثبتوا على الحق، ولا تلتفتوا إليهم.

في محاورة أهل الكتاب انفردت السورة بالمقطع: "يا أهل الكتاب لِمَ..." في خمسة مواضع:[الآيات: ٦٥ و٧٠ و٧١ و٩٨ و٩٩]، وهي أكثر سورة وردت فيها تركيبة "أهل الكتاب": في [الآية: ١٢] موضعا:[الآيات: ٦٤ و٦٥ و٦٩ و٧٠ و٧١ و٧٢ و٧٥ و٩٨ و٩٩ و١١٠ و١١٣ و١٩٩].

"كفروا بعد إيمانهم" في موضعين: [الآيتان: ٨٦ و٩٠] أي: اثبتوا على الحق، ولا تكونوا مثلهم.

انفردت السورة بمعنى تبييض وجوه المؤمنين، وتسويد وجوه الكافرين يوم القيامة: في [الآيتان: ١٠٦ و١٠٧].

"ويحذركم الله نفسه" في معنى الثبات، والنهي عن موالاة الكافرين، في موضعين: [الآيتان: ٢٨ و٣٠].

"طائفة من أهل الكتاب" في موضعين: [الآيتان: ٦٩ و٧٢].

"ف" اغفر لنا ذنوبنا" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١٦ و١٤٧ و١٩٣].

" ... في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين" في موضعين:[الآيتان: ٢٢ و٥٦]، بينما في [التوبة: ٧٤]، "وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير".

" ..ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون" في موضعين:[الآيتان: ٧٥ و٧٨].

"و" إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله..." في موضعين: [٤٢ و٤٥].

" ..هومن عند الله" في ثلاثة مواضع: [الآية: ٣٧]، ومرتين في [الآية: ٧٨].

" ..لا إله إلا هوالعزيز الحكيم" في موضعين: [الآية: ٦ و١٨].

" ..ما في صدوركم..." في موضعين:[الآيتان: ٢٩ و١٥٤].

" ..إن الله يبشرك....." في موضعين: [الآيتان: ٣٩ و٤٥]، الأولى بفتح الكاف والثانية بكسرها.

العقيدة: في السورة كثير من الآيات التي تثبت العقيدة، ومنها:

تنفرد السورة بآية المباهلة، التي تتحدى الذين ينسبون لله الولد أوالشريك – تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا – قال تعالى في [الآيات: ٥٩، ٦١].

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين".

القصص:

تنفرد السورة – كما يوضح اسمها – بذكر آل عمران، وقصة امرأة عمران التي نذرت حملها محررًا للعبادة وخدمة بيت المقدس فوضعت مريم العذراء البتول التي كفلها زكريا عليه السلام – وكان

زوج أختها، كما تقول الروايات -.

الأمثال: من أبرزها:

تأمل المثل المضروب في [الآية: ١١٧] حول إنفاق الكافرين "مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريحٍ فيها صرّ أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون".

تأمل الآيات الآتية [الآيتان: ١٤٦ – ١٤٨]، والتي تضرب أروع مثل للثبات على الدين والصبر في جهاد أعدائه.

"وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين. وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين. فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين".

المقارنات: في السورة مقارنات عديدة من أبرزها:

" .. واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا.. " [الآية: ١٠٣].

"يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيه خالدون"

[الآيتان: ١٠٦ و١٠٧].

"ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم..[الآية: ١١٩].

"منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة" [الآية: ١٥٢].

"ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربهم يرزقون"[الآية: ١٦٩]، وتشبه آية [البقرة: ١٥٤] "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون" لكن آية آل عمران تؤكد حياتهم حقيقةً بزيادة معنى الرزق.

آيات محورية، ومنها:

[الآية: ١٩] "إن الدين عند الله الإسلام..".

[الآية: ٥٩] "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون" وورد ذكر عيسى - عليه السلام - في القرآن خمسًا وعشرين مرة، وكذلك ورد ذكر آدم - عليه السلام - في القرآن خمسًا وعشرين مرة!

و[الآية: ٨٥] "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"

[الآية: ١٦٩] "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون"

و[الآيات: ١٩٠ – ١٩٥] "إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب..." قال عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ويل لمن قرأها ولم يتدبرها".

من بدائع البيان:

الآيات حول إنزال الملائكة في غزوة بدر؛ تأييدًا للمؤمنين، قال تعالى: "وما جعله الله إلا بشرى "لكم"، ولتطمئن "قلوبكم" به وما النصر إلا من عند الله "العزيز الحكيم"[الآية: ١٢٦] تأمل نص الآية التي نزلت بعد غزوة أحد تذكر المؤمنين بفضل الله عليهم يوم بدر، وقارن بينها وبين آية سورة [الأنفال: ١٠] "وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن "به" قلوبكم وما النصر إلا من عند الله "إنّ" الله عزيز حكيم"، فما الفرق الذي استلزم تغيير النص؟

قال أهل البلاغة: آية آل عمران تخاطب المؤمنين حين انهزموا في أحد؛ فكانت التربية لهم حال الهزيمة، وكأنها تواسيهم، فجاءت "بشرى" "لكم"، وقدمت "قلوبكم"، ولم يحتج الأمر للتوكيد بـ"إنّ"، بينما نزلت آية الأنفال بعد غزوة بدر، التي انتصر فيها المسلمون، فكانت التربية لهم في حال النصر، تقتضي تأكيد أن النصر من عند الله، وليس بقوتهم، أومهارتهم؛ لذلك قدَّم "به"، وأخَّر القلوب "قلوبكم"، وأكَّد بـ "إنَّ" "إن الله عزيز حكيم"، والله أعلم.

سورة النساء

التسمية: سُمِّيَت سورة النساء، وقيل سورة النساء الكبرى؛ لكثرة ما فيها من الأحكام، التي تتعلق بالنساء وحقوقهن: في الميراث، والصداق، والزواج، والعشرة بالمعروف، والقوامة، وفصَّلَت المحرمات من النساء، وسورة النساء الصغرى هي سورة الطلاق.

المحاور الرئيسة، والأهداف العامة: السورة مدنية تعالج أمور الحياة والتشريع، وتركز على إزالة رواسب الجاهلية من نفوس المؤمنين، ومحورها الأساسي يدور حول مراعاة حقوق "الضعفاء"، كالنساء، واليتامى، والمستضعفين من الرجال، والنساء، والولدان، ليس فقط في المواريث، ولكن إلى درجة القتال دفاعًا عنهم، ولكن لا يدفعنا العطف عليهم إلى الظلم، فلا نتّبع أهواءنا على حساب الشرع، والسورة هي الأصل في علم الفرائض (المواريث).

وتضمنت بعض أحكام القتال ووجوب طاعة الله ورسوله "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا"[الآية: ٦٩]، والتحذير من خداع المنافقين، وتربصهم بالمؤمنين، وتضمنت في أواخرها طرفًا من الحوار مع أهل الكتاب، وكأنه استكمال لسورة آل عمران قبلها، يختم بإثبات بشرية عيسى - عليه السلام - وعبوديته لله تعالى.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"حوبًا" [الآية: ٢]، ومعناه الذنب، أوالإثم.

"تعولوا" [الآية: ٣]، وهو الجور، والميل.

"أفضى" [الآية:٢١].

كل مادة: "م ي ل"، لم ترد إلا في سورة النساء "تميلوا"، و"ميلا"[الآية: ٢٧]، و"فيميلون" و"ميلة"، في [الآية: ١٠٢]، و[الآية: ١٢٩] "تميلوا" و"الميل".

"بالجبت" [الآية: ٥١]، وكان اسمًا لصنم، ثم استعمل لكل باطل.

"نضجت" [الآية: ٥٦].

"ليبطئن" [الآية: ٧٢].

"أذاعوا" [الآية: ٨٣].

"يستنبطونه" [الآية: ٨٣].

مادة: "ر ك س"؛ "أركسهم" [الآية: ٨٨]، وكذلك"أركسوا" [الآية: ٩١]، والركس: رد الشيء مقلوبًا.

"مراغمًا" [الآية: ١٠٠]، أي: مذهبًا، ومُتحولًا.

كل مادة: "س ل ح"، لم ترد في القرآن كله، إلا في الآية [١٠٢] "أسلحتهم" مرتين، و"أسلحتكم" مرتين.

"فليبتكن" [الآية: ١١٩]، والبتك: القطع.

"مذبذبين" [الآية: ١٤٣]، أي: مترددين.

كل مادة: "ن ك ف": "يستنكف" مرتين في [الآية: ١٧٢]، و"استنكفوا" [الآية: ١٧٣] بمعنى الاستكبار.

"لم ترد كلمة "كلالة" إلا في سورة النساء [الآية: ١٢ و١٧٦]، وهي ليست وحيدة بابها، وتعني: لا والد له، ولا ولد".

تركيبات لغوية خاصة:

"إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد...."، في موضعين: [الآيتان: ٤٨ و١١٦]، وهذا من واسع رحمته تعالى بعباده المؤمنين.

"و" المستضعفين من الرجال والنساء والولدان..." في موضعين: [الآيتان: ٧٥ و٩٨]، وانظر كذلك "قالوا كنا مستضعفين في الأرض" [الآية: ٩٧]، وكذلك "والمستضعفين من الولدان" [الآية: ١٢٧]، وهو المحور الرئيس في السورة.

"مما ترك الوالدان والأقربون" في ثلاثة مواضع: مرتين في [الآية: ٧]، ومرة في [الآية: ٣٣].

"للرجال نصيب مما..." في موضعين: [الآيتان: ٧ و٣٢]، وكذلك:"وللنساء نصيب مما...." في [الآيتين: ٧ و٣٢].

"وقولوا لهم قولًا معروفًا" في موضعين: [الآيتان: ٥ و٨].

تنفرد السورة بذكر تفاصيل المواريث، وأحكامها، وأنصبتها المختلفة: انظر [الآيات: ١١ و١٢ و١٩ و٣٢ و٣٣ و١٢٧ وإلى آخر آية: الآية: ١٧٦].

"نصيبًا مفروضًا" في موضعين: [الآيتان: ٧ و١١٨].

تركيبة "ومن يطع الله والرسول.." [الآية: ٦٩] لم ترد إلا في سورة النساء، بينما وردت صيغة "ومن يطع الله ورسوله" في سورة النساء [الآية: ١٣]، والأحزاب [الآية: ٧١]، والفتح [الآية: ١٧].

"ضلالًا بعيدًا" لم ترد إلا في سورة النساء، في أربعة مواضع: [الآيات: ٦٠ و١١٦ و١٣٦ و١٦٧]، بينما في سورة الأحزاب "ضلالًا مبينًا" [الآية: ٣٦].

معنى "تحرير رقبة مؤمنة" متكرر ثلاث مرات في آية واحدة: [الآية: ٩٢] "بينما في سورة المجادلة [الآية: ٣] "فتحرير رقبة".

"وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا" في موضعين: [الآيتان: ٣٧ و١٥١].

صيغة "عفوًّا غفورًا" في موضعين: [الآيتان: ٤٣ و٩٩].

"توابًا رحيمًا" في موضعين: [الآيتان: ١٦ و٦٤].

"و" خذوا حذركم" في موضعين: [الآيتان: ٧١ و١٠٢]، وأيضًا "وليأخذوا حذرهم" [الآية: ١٠٢].

" ... جهنم وساءت مصيرًا" في موضعين [الآيتان: ٩٧ و١١٥].

"فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا" في موضعين: [الآيتان: ٧٤ و١١٤]، وانظر كذلك: جميع التراكيب الآتية لم ترد إلا في سورة النساء: "سوف يؤتيهم أجورهم" [الآية: ١٥٢]، و"وسوف يؤت الله

المؤمنين أجرًا عظيمًا" [الآية: ١٤٦].

و"فسوف نصليه نارًا" [الآية: ٣٠]، و"سوف نصليهم نارًا" [الآية: ٥٦].

تركيبة "أولئك هم الكافرون حقًّا" لم ترد إلا في سورة النساء [الآية: ١٥١] تأمل: الكلام حول المنافقين: سياق الآية [١٣٧] ""آمنوا ثم كفروا"ثم" آمنوا ثم كفروا""، وتأمل كذلك سياق الآية [١٤٣] ""لا إلى هؤلاء"، و"لا إلى هؤلاء"".

"بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً" في موضعين: [الآيتان: ٤٦ و١٥٥].

أكثر سورة وردت فيها التركيبة "وكفى بالله..." سورة النساء حيث وردت فيها ٩ مرات، من أصل ١٣ مرة في القرآن، ومنها مرتان في آية واحدة "وكفى بالله وليًّا وكفى بالله نصيراً" [الآية: ٤٥].

"والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً..." في موضعين: [الآيتان: ٥٧ و١٢٠].

"إلا ما قد سلف" في موضعين: [الآيتان: ٢٢ و٢٣].

"إلا قليلٌ منهم" [الآية: ٦٦]، ولكن في بقية القرآن"إلا قليلاً منهم": [البقرة: ٢٤٦ و٢٤٩]، والمائدة [الآية: ١٣]، و"إلا قليلًا منكم" [البقرة: ٨٣].

" ....ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلًا" في موضعين: [الآية: ١٣٢] "ولله..." و[الآية:١٧١ "له...".

"لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم....." في موضعين: [الآية: ١٣٧] "سبيلًا"، و[الآية: ١٦٨] "طريقًا".

"ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا" في موضعين: [الآيتان: ٨٨ و١٤٣].

" ...بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً" في موضعين: [الآيتان: ٤٦ و١٥٥].

"أن تعدلوا" في موضعين: [الآيتان: ١٢٩ و١٣٥].

"وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات......" في موضعين: [الآيتان: ١٣١ و١٧٠]

"واجعل لنا من لدنك...." مرتين في آية واحدة [الآية: ٧٥].

"سلطانًا مبينًا" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٩١ و١٤٤ و١٥٣]، رُغم ورود كلمة "سلطانًا" ١١ مرة في القرآن، لكن هذه التركيبة "سلطانًا مبينًا" وردت فقط في سورة النساء!

"و" من يشفع شفاعةً..." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٨٥].

"ومن أصدق من الله..." في موضعين: [الآية: ٨٧] "حديثا"، و[الآية: ١٢٢] "قيلا".

"وما قتلوه" مرتين في آية واحدة: [الآية: ١٥٧].

"و" يستفتونك... قل الله يفتيكم" في موضعين: [الآيتان: ١٢٧ و١٧٦].

"و""ف" ديةٌ مسلمةٌ إلى أهله..." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٩٢].

رغم كثرة صيغة "يا أهل الكتاب" في القرآن كله، لكن صيغة "يا أيها الذين أوتوا الكتاب" لم ترد إلا في سورة النساء [الآية: ٤٧].

نلاحظ كثرة ذكر كلمة "ولد" حيث وردت في السورة ٩ مرات، من أصل ١٤ مرة، في القرآن كله، وكذلك كلمة "الوالدان"، والتي لم ترد إلا في سورة النساء ثلاث مرات: مرتين في [الآية: ٧]، ومرة في [الآية: ٣٣].

ونلاحظ كذلك كثرة ذكر "اليتامى" حيث وردت في السورة ٨ مرات، من أصل ١٤ مرة في القرآن كله، جميعها مدنية، وكلها بألف ولام، ما عدا "في يتامى النساء" [الآية: ١٢٧] في سورة النساء.

تنفرد سورة النساء بذكر الفرائض "المواريث" تفصيلًا في ثلاث آيات، تحتاج القوانين إلى مجلدات لشرحها، وهذا من باب الإعجاز التشريعي، الذي تحار فيه العقول!

وتنفرد السورة بذكر السلاح في آية واحدة [الآية: ١٠٢]، وكأنه لم يُذكر في القرآن كله إلا في السورة التي توصي بالحرص على مراعاة المستضعفين، واليتامى، والنساء!! فأين هذا ممن ينسب العنف والسلاح إلى الإسلام؟! ولوكان ديننا يدعو إلى العنف؛ لوجدت عن السلاح عشرات الآيات، فتأمل!

وتنفرد كذلك بذكر الميل كما أسلفنا، وهو أنسب ذكر في سورة "النساء".

العقيدة: اشتملت السورة على كثير من الآيات التي تثبت العقيدة، ومنها:

[الآية: ٨٢] "أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا"، وهل علمت بكتاب كلما ازددت علمًا، ازددت له توقيرًا، وكلما قرأته بتدبر ظهرت لك منه معاني جديدة! ثم هو معجزة المعجزات، وآية الآيات يخاطب العقل والقلب، فلا يطغى جانب على آخر، ولا تجد فيه تناقضًا، أو اختلافًا.

[الآية: ١٢٦] "ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا"، وانظر كذلك الآيات من [١٣١ – ١٣٣]، والآية [١٣٦] في تفصيل أركان الإيمان، والآية [١٧١] "... إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد ... ".

القصص: مما انفردت به السورة:

الآيات من [الآيتان: ١٠٥ إلى ١١٣] تقص ما كان من أمر رجل مسلم سرق درعًا ألصقه بيهودي خبأها عنده، وكاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يصدق السارق المسلم، فنزلت الآيات تنتصر لليهودي، وتثبت براءته، قال تعالى: "ومن يكسب خطيئةً أوإثمًا ثم يرم به بريئًا فقد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا" [الآية: ١١٢].

ومن آياتها المحورية:

– تأمل الآيتين [الآيتان: ٩ و١٠] "وليخش الذين لوتركوا من خلفهم ذريةً ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولًا سديدًا. إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا".

– تجيب في ثلاث آياتٍ متتاليات على سؤال هام ألا وهو: ماذا يريد الله تعالى منا؟؟؟ فيقول تعالى: "يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليمٌ حكيم. والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا. يريد الله أن يخفف عنكم

وخلق الإنسان ضعيفًا" [الآيتان: ٢٦- ٢٨].

- [الآية: ٤١] "فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا".

- [الآية: ٥٦] "إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارًا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزًا حكيمًا"، فمن أخبر رسول الله قبل ألف وأربعمائة عام أن الجلود تحتوي على أطراف الأعصاب التي تشعر بالألم!

- [الآية: ٥٨] "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل." أصل في القضاء، وهي الآية الوحيدة التي نزلت في الكعبة

- [الآية: ٦٥] "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا" أصل في وجوب الحكم بما أنزل الله، انتصرت السورة للضعفاء، لكنها دعتهم كذلك إلى التحرك، وعدم الاستسلام لأوضاعهم الظالمة.

قال تعالى: "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً" [الآية: ٩٧] باستثناء من لا يقدر "إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلًا فأولئك عسى الله أن يعفوعنهم وكان الله عفوًّا غفورًا"[٩٨ و٩٩].

سورة المائدة

التسمية: سميت سورة "المائدة" بهذا الاسم حيث انفردت بذكر قصة المائدة التي أنزلها الله تعالى على عيسى – عليه السلام – وحوارييه من السماء في الآيات [الآيتان: ١١٢ – ١١٥].

المحاور الرئيسية: سورة مدنية تشتمل أحكامًا، وشرائع عديدة، وتركز بشكل خاص على "الوفاء بالعهود والمواثيق"، وأولاها بالوفاء بالعهد مع الله، ففي أولها "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود.." [الآية: ١].

و"واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به.." [الآية: ٧]، وتحذر من اتباع طريق أهل الكتاب الذين نقضوا عهودهم مع الله "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل.." [الآية: ١٢] "فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية..." [الآية: ١٣]، و"ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به..." [الآية: ١٤]، و"لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل.." [الآية: ٧٠].

وهي أصل في نقض العقائد الفاسدة فتكرر قوله تعالى "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم" في الآيتين [١٧ و٧٢]، وكذلك قال تعالى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة" [الآية: ٧٣].

وهي أصل كذلك في التحذير، والنهي عن الحكم بغير ما أنزل الله "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" [الآية: ٤٤]، و"... فأولئك هم الظالمون"[الآية: ٤٥]، و"... فأولئك هم الفاسقون" [الآية: ٤٧].

وهي أكثر سورة يرد فيها ذكر سيدنا عيسى – عليه السلام – حيث ورد في ستة مواضع [٤٦ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦]، من أصل ٢٥ مرة في القرآن كله.

وهي أكثر سورة يرد فيها كلمة "الإنجيل" حيث وردت خمس مرات [الآيات: ٤٦ و٤٧ و٦٦ و٦٨ و١١٠]، من أصل ١٢ مرة في القرآن كله.

وهي كذلك أكثر سورة يرد فيها ذكر "التوراة"، حيث وردت سبع مرات فى الآيات [٤٣ و٤٤ و٤٦ و٤٦ و٦٦ و٦٨ و١١٠]، من أصل ١٨ مرة في القرآن كله.

وهي كذلك أكثر سورة ورد فيها ذكر مريم العذراء الطاهرة، حيث وردت فيها عشر مرات – في الآيات: [الآية: ١٧] "مرتين" و[الآيات: ٤٦ و٧٢ و٧٥ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦]، من أصل أربع وثلاثين مرة، ذُكرت فيها مريم باسمها، في القرآن كله، وهي "المرأة الوحيدة" التي ذكر اسمها في القرآن؛ تكريمًا لها، وفي هذا أبلغ الرد على من قال بأن القرآن منتج بشري، أوأنه متعصب، أو متأثر بالبيئة والزمن، ألم يكن الأجدر أن يذكر خديجة، أوعائشة، أوفاطمة الزهراء!؟.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"الصيد" [الآية: ١]، والمادة كلها لم ترد إلا في سورة "المائدة" في خمسة مواضع أخرى :"فاصطادوا" [الآية: ٢]، و"الصيد" [الآية: ٩٤]، و"الصيد" [الآية: ٩٥]، و"صيد" مرتين في [الآية: ٩٦].

"المنخنقة"، و"الموقوذة"، و"النطيحة"، و"ذكيتم" جميعها لم ترد في القرآن كله، إلا في آية واحدة، هي الآية [٣].

"الأزلام" في الآيتين [الآيتان: ٣ و٩٠].

"يتيهون" [الآية: ٢٦].

"يبحث" [الآية:٣١].

"ينفوا" [الآية: ٣٣].

"منهاجًا" [الآية: ٤٨].

"قسيسين" [الآية: ٨٢].

"رماحكم" [الآية: ٩٤].

"سائبة" [الآية: ١٠٣].

تركيبات لغوية خاصة:

- "لقد كفر الذين قالوا إن الله..." في ثلاثة مواضع: منها موضعان: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هوالمسيح ابن مريم" [الآية: ١٧ و٧٢]، و"لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة" [الآية: ٧٣].

- "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم..." في ثلاثة مواضع: [الآية: ٤٤] "...الكافرون" و[الآية: ٤٥] ... الظالمون" و[الآية: ٤٧] "...الفاسقون".

- "وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا..." [الآيتان: ٦٤ و٦٨]، ونلاحظ إن تركيبة "كثيرًا منهم" بالتنوين المفتوح لم ترد إلا في سورة المائدة في ستة مواضع: [الآيات: ٣٢ و٦٢ و٦٤ و٦٨ و٨٠ و٨١].

- "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم..." في موضعين: ١٥ و١٩

- تنفرد السورة بالنداء "يا أيها الرسول..." في موضعين: [الآيتان: ٤١ و٦٧]، ولم ترد في أي سورة أخرى رغم كثرة "يا أيها النبي" في القرآن كله.

- "لبئس ما كانوا..."[الآية: ٦٢] "يعملون" و[الآية: ٦٣] "يصنعون" و[الآية: ٧٩] "يفعلون".

"... بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة" في موضعين: [الآيتان: ١٤ و٦٤]، وكذلك انظر الآية [٩١] "أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء..." قارن مع الممتحنة [الآية: ٤].

- انفردت بالنداء "يا عيسى ابن مريم...." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١١٠ و١١٢ و١١٦] "بينما وردت في آل عمران "يا عيسى" دون "ابن مريم" في الآية [٥٥].

- "فيقسمان بالله.." في موضعين: [الآيتان: ١٠٦ و١٠٧].

"' - فـ"احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم" في موضعين: [الآيتان: ٤٨ و٤٩].

- لم يرد ذكر "الكعبة" في القرآن كله، إلا في سورة المائدة في الآيتين [٩٥ و٩٧].

- وكذلك لم ترد صيغة "البيت الحرام" في القرآن كله، إلا في الآيتين [٢ و٩٧!!! .

-"إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم..." في موضعين: [الآية: ٤٨] "فيه تختلفون"، و[الآية: ١٠٥] "تعملون".

- " ... الذين قالوا إنا نصارى" في موضعين: [الآيتان: ١٤ و٨٢].

-"نسوا حظاً مما ذكروا به" في موضعين: [الآيتان: ١٣ و١٤].

-"هزوًا ولعبًا" في موضعين: [الآيتان: ٥٧ و٥٨].

- معنى أكل اليهود للسحت: متكرر في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٤٢ و٦٢ و٦٣].

- معنى تحريم الصيد أثناء الإحرام في الآيتين[الآيتان: ١ و٩٥].

- معنى الكفارة: ورد ٤ مرات، في الآيات:[٤٥] "فهوكفارةٌ له"، و[الآية: ٨٩] مرتين: كفارة اليمين، و[الآية: ٩٥]: كفارة الصيد في الحرم، ولم ترد الكفارة في أي سورة أخرى ...

- علينا مائدةً من السماء"، من اسم السورة، في موضعين: [الآيتان: ١١٢ و١١٤].

- "أحدًا من العالمين" في موضعين: [الآيتان: ٢٠ و١١٥]، وتأمل المعنى!!!.

- معنى إقامة التوراة، والإنجيل، وما أنزل إلى أهل الكتاب من ربهم، في الآيتين [٦٦ و٦٨].

-"فلا تأس على القوم..." في موضعين: [الآية: ٢٦] "الفاسقين" و[الآية: ٦٨] "الكافرين".

-"ولا يجرمنكم شنئان قوم..." في موضعين: [الآية: ٢ و٨].

-"إنا لن ندخلها..." في موضعين: [الآيتان: ٢٢ و٢٤].

-"بما قالوا" في موضعين: [الآيتان: ٦٤ و٨٥]، وتأمل كيف لُعن فريق، وأُثيب فريق بما قالوا!!!

-"ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما..." في موضعين:[الآيتان: ١٧ و١٨]، ونلاحظ كذلك انفراد السورة بالتركيبة "لله ملك السماوات والأرض وما فيهن" [الآية: ١٢٠].

- "اعبدوا الله ربي وربكم" في موضعين: [الآيتان: ٧٢ و١١٧].

-"إنك أنت علام الغيوب" في موضعين: [الآيتان: ١٠٩ و١١٦].

-"' و"اتقوا الله إن كنتم مؤمنين" في موضعين: [الآيتان: ٥٧ و١١٢].

- "أحل لكم الطيبات" في موضعين: [الآيتان: ٤ و٥].

- "ذوا عدل منكم" في موضعين: [الآيتان: ٩٥ و١٠٦].

- و"الربانيون والأحبار" في موضعين: [الآيتان: ٤٤ و٦٣].

- "ويسعون في الأرض فسادًا" في موضعين: [الآيتان: ٣٣ و٦٤].

-"سمّاعون للكذب" في موضعين: [الآيتان:٤١ و٤٢]، وهذا ذم لليهود، وكأنهم يحبون ويتعمدون الاستماع إلى الكذب، وتحذير للمؤمنين، فإذا علموا أن فلانًا يكذب فلا يجوز أن يستمعوا إليه، أويصدقوه، فتأمل حال بعضنا مع الإعلام، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- [الآية: ١٠ و٨٦] متكررتان بالنص "والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم" وإن كانت وردت كذلك في ختام الآية [١٩] من سورة الحديد.

- نلاحظ أنها أكثر سورة وردت فيها صيغة "يا أيها الذين آمنوا..." ١٦ مرة، من أصل ٨٩ مرة في القرآن كله.

- انفردت السورة بذكر حد الحرابة في الآيتين[٣٣ و٣٤].

- انفردت السورة بذكر مسخ اليهود خنازير في الآية [٦٠] ".. من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت..".

- انفردت السورة بحكم إباحة الزواج من الكتابيات في [الآية: ٥].

تأمل تكرار تركيبات وكلمات بعينها في آية واحدة مرتين، بما يكاد يكون سمة تعبيرية عامة، في سورة المائدة، فمثلا:

- "فاحكم بينهم" مرتين في [الآية: ٤٢].

- كلمات [الآية: ٤٥]:"... النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن...".

-"و"مصدقا لما بين يديه من التوراة" مرتين في [الآية: ٤٦].

- ""ف"عموا وصمُّوا" مرتين في [الآية: ٧١].

-"تُبدَ لكم" مرتين في [الآية: ١٠١].

- [الآية: ٩٣]، وتكرار "ثم اتقوا" فيها مرتين، وكذلك تكرار "اتقوا وآمنوا" مرتين في نفس الآية.

- و"لتجدن" مرتين في [الآية: ٨٢].

تأمل الآيات الآتية من السورة: [الآية: ٤٤] "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور..." و[الآية: ٤٦] "وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور" بينما في [الآية: ١٥] "قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين".

تأمل الترتيب، وعلامات الإعراب، في قوله تعالى في [الآية: ٦٩] : "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون".

قال بعض أهل العلم: أخَّر النصارى؛ لأن السورة كلها في سياق ذم عقائدهم، ورفع "الصابئون" لأنهم أبعد الفرق المذكورة عن الهداية، فلم يشملهم التوكيد بـ"إنَّ"، وكأنه رفع بسبب العطف على المحل "يسميه بعض النحاة: القطع" والله أعلم، وقارن مع الآيتان[٦٢] من سورة البقرة و[١٧] من سورة الحج.

العقيدة: السورة كلها تدل على العقيدة الصحيحة، وتذم العقائد الباطلة، ومن ذلك:

- [الآيات: ١٧ و٧٢ إلى ٧٦]، وتأمل الآية [٧٥]، وأقوال المفسرين فيها، وهل يليق أن يكون إلهًا من كان كذلك؟!

- الآيات من [١١٦]، وحتى ختام السورة [الآية: ١٢٠].

القصص:

- انفردت سورة المائدة بذكر قصة ابني آدم – عليه السلام - التي ترمز إلى الصراع المستمر بين الخير والشر في الآيات "واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق.." [من ٢٧ – ٣١].

- وانفردت كذلك بذكر قصة الجبناء من بني إسرائيل، وسوء أدبهم مع الله [الآيات: من ٢٠ – ٢٦] حين أمرهم موسى – عليه السلام، قائلًا: "يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين" فلما عصوا، وتمردوا، وبعد جدال، وأخذ، ورد "قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدًا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون"، فكان الجزاء "قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين"، فكان التيه، والضياع؛ جزاء نقض العهد مع ربهم، ونبيهم.

مقارنات ومقابلات كثيرة، نذكر منها:

- [الآيتان: ٩ و١٠] "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم" في مقابل "والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم".

- [الآية: ٣٢] "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسًا بغير نفسٍ أوفسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ...".

- [الآية: ٤٠] "يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء..".

- [الآية: ٤٢] " فاحكم بينهم أوأعرض عنهم ...".

- [الآية: ٥٤] "أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين..".

- [الآية: ٦١] "وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به...".

- انظر سياق الآية [٦٤] عن اليهود عليهم لعنة الله "وقالت اليهود يد الله "مغلولة" غلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه "مبسوطتان" ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرًا منهم ما أُنزل إليك من ربك طغيانًا وكفرًا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما "أوقدوا نارًا" للحرب "أطفأها" الله ويسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين".

- [الآية: ٨٢] "لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى..".

- [الآية: ١٠٠] "قل لا يستوي الخبيث والطيب ولوأعجبك كثرة الخبيث...".

آيات محورية: منها على سبيل المثال:

- [الآية: ١٠٠] وفيها ".. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا..".

- [الآيتان: ٧٨ و٧٩] في إثبات اللعنة على بني إسرائيل؛ لأنهم "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه".

- [الآية: ٨٢]. "لتجدن أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى..".

-[الآية: ١٠٩] قال المفسرون: " يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجبتم" فمن هول ذلك اليوم وشدة الفزع "قالوا لا علم لنا" الآية، قالوا: نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول، فلما سُئلوا قالوا: " لا علم لنا " ثم نزلوا منزلاً آخر، فشهدوا على قومهم.

- من لطائف البيان، ما روي أن الأصمعي قرأ الآية [٣٨] فأخطأ، قال: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالًا من الله "والله غفور رحيم""، فقال أعرابي: أهذا كلام الله؟ فقال: نعم، فقال الأعرابي: لا، هذا ليس كلام الله، فسأله: هل تحفظ القرآن؟ فقال: لا، فراجع الآية، فإذا خاتمتها "والله عزيزٌ حكيم" فسأله: وكيف عرفت؟ فقال: قطع لما عز فحكم!

الختام المزلزل:

استكمالًا لأهم محاورها، تختتم السورة بموقف رهيب يكون يوم القيامة، حين يسأل الله تعالى نبيه الكريم عيسى – عليه السلام –: "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق..." الآيات، وهوتعنيف، وترهيب شديد لمن كفر بالله، أو ادعى له ولدًا، أوشريكًا.

سورة الأنعام

التسمية: سُمِّيت بهذا الاسم، حيث اشتملت على ذكر الأنعام، ووجوب التسمية على الذبائح؛ ولأنها نقضت كثيرًا من أفعال الجاهلية، بالتقرب بالذبح للأصنام، ولغير الله تعالى، ومن خصائصها أنها كما ورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: نزلت بمكة جملةً واحدة، حولها سبعون ألف ملك، يجأرون بالتسبيح.

المحاور الرئيسة: سورة مكية، تعنى بأمر العقيدة، وتناقش، وتفند حجج المشركين المعاندين بالتفصيل، وهدفها الرئيس: تثبيت التوحيد الخالص، اعتقادًا، وسلوكًا؛ ولذلك كثر فيها أسلوبا التلقين، والتقرير:

أسلوب التلقين: تعليمًا لرسوله – صلى الله عليه وسلم – كيف يناقش المشركين، فيكثر في السورة "قل..."، وأوامر الله تعالى لنبيه، مثل: "وذر.."، و"ذرهم ..."، و"وذكر..".

وأسلوب التقرير: بعرض الأدلة المتعلقة بتوحيد الله ودلائل قدرته وصفاته سبحانه باستعمال ضمير الغائب "هو" وعالجت في ذلك كثيراً من أمور العقيدة بالتفصيل فبدأت بحمد الله تعالى وتضمنت رحلة ضخمة في آفاق الكون ودخائل النفوس وهي كما يقول الإمام القرطبي "أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذّب بالبعث والنشور"

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها:

"قرطاس" [الآية:٧]، و"قراطيس" و[الآية: ٩١]، وهو الصحيفة يُكتب فيها.

مادة "ب س ل": "تبسل" و"أبسلوا" [الآية: ٧٠]، وهو تسليم النفس للإهلاك

"حيران" [الآية: [الآية: ٧١].

مادة "ب ز غ": "بازغا" [الآية: ٧٧]، و"بازغةً"[الآية: ٧٨]، والبزوغ: الطلوع.

"النوى" [الآية: ٩٥].

"قنوان"[الآية: ٩٩]، وهو عنقود النخلة.

"الضأن" و"المعز" لم يذكرا إلا في سورة الأنعام، في الآية [١٤٣].

"شحومهما" [الآية: ١٤٦].

تركيبات لغوية خاصة:

"قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين..." في موضعين: [الآيتان: ١٤٣ و١٤٤] مناسباً لاسم السورة "الأنعام".

"قد فصلنا الآيات لقوم..." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٩٧ و٩٨ و١٢٦]، وهذا يناسب ما أشرنا إليه من التفصيل.

وكذلك قوله تعالى "انظر كيف نصرف الآيات..." في موضعين: [الآيتان: ٤٦ و٦٥]، وأيضًا "ذلكم وصاكم به لعلكم...." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١٥١ و١٥٢ و١٥٣].

معنى الأكل مما ذكر اسم الله عليه والنهي عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه وهومحور هام كما أسلفنا متكرر في الآيات: [١١٨ و١١٩ و١٢١ و١٣٨].

"قال هذا ربي" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٧٦ و٧٧ و٧٨]، منها: "قال هذا ربي فلما أفل قال..." في موضعين: [الآيتان: ٧٦ و٧٧]، وهذا من تفاصيل حوار إبراهيم – عليه السلام – مع المشركين مناسباً لمحور السورة.

"ولو ترى إذ وقفوا على...." في موضعين: [الآيتان: ٢٧ و٣٠].

" ...عندي ما تستعجلون به..." في موضعين: [الآيتان: ٥٧ و٥٨].

" وهو القاهر فوق عباده" في موضعين: [الآيتان: ١٨ و٦١].

"قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله" في موضعين: [الآيتان: ٤٠ و٤٧].

تأمل: لم ترد الصيغة: "إن ربك حكيم عليم" بنصها – رغم كثرة ورود الصفتين في القرآن – إلا في سورة الأنعام في موضعين:[الآيتان: ٨٣ و١٢٨].

"الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون" في موضعين: [الآيتان: ١٢ و٢٠].

"لقُضي الأمر" في موضعين: [الآيتان: ٨ و٥٨] بلام التوكيد.

"قل أغير الله" في موضعين: [الآيتان: ١٤ و١٦٤].

". ..ما فعلوه فذرهم وما يفترون" في موضعين: [الآيتان: ١١٢ و١٣٧].

"وهذا كتاب أنزلناه مبارك.... " في موضعين: [الآيتان: ٩٢ و١٥٥].

"والله أعلم بالظالمين" [الآية: ٥٨]، وهي تركيبة لم ترد في غيرها، ففي بقية القرآن "والله عليم بالظالمين" في: البقرة [الآيتان: ٩٥ و٢٤٦]، والتوبة [الآية: ٤٧]، والجمعة، [الآية: ٧].

"إن هو إلا ذكرى للعالمين" في [الآية:٩٠] حيث وردت في بقية القرآن "ذكر" في [يوسف: ١٠٤]، و[ص: ٨٧]، وانظر [التكوير: ٢٧].

" ..ثمره إذا أثمر" في موضعين: [الآيتان: ٩٩ و١٤١].

معنى أنه سبحانه "كتب على نفسه الرحمة" وذلك من عظيم فضله على خلقه تكرر في موضعين [الآيتان: ١٢ و٥٤].

" ..من حسابهم من شيء" في موضعين: [الآيتان: ٥٢ و٦٩].

نلاحظ بناء السورة بشكل عام على التفصيل لتعرض أدلة التوحيد وتفند حجج المشركين فلا تدع لهم حجة ولا تترك مجالاً للجدل فمثلًا: نلاحظ النقاط الآتية:

-كثرة استعمال حرف العطف "ثم" الدال على التراخي والتمهل بما يناسب جدلًا طويلًا مع المعاندين:

ففي الآية الأولى "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون".

وفي [الآية: ٢] "ثم قضى أجلا" و"ثم أنتم تمترون".

وفي [الآية: ٨] "ثم لا ينظرون".

وفي [الآية: ١١] "قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين" بينما في بقية القرآن كله ترد "فانظروا".

وفي [الآية: ٢٣] "ثم لم تكن فتنتهم...".

وفي [الآية: ٣٦] "ثم إليه يرجعون".

وفي [الآية: ٣٨] "ثم إلى ربهم يحشرون".

وفي [الآية: ٥٤] "ثم تاب من بعده وأصلح".

وتأمل [الآية: ٦٠] "وهوالذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون".

وفي [الآية: ٦٢] "ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق".

وفي [الآية: ٦٤] "ثم أنتم تشركون".

وفي [الآية: ١٥٤] "ثم آتينا موسى الكتاب...".

وفي [الآية: ١٦٤] "ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون".

- وتأمل كذلك استعمال "سوف" في [الآية: ٥] "فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون"، بينما في بقية القرآن "فسيأتيهم".

- ومن التفصيل كذلك، نلاحظ تفصيل ذكر أسماء الأنبياء، ففي الآيات [من ٨٣ وإلى ٨٦] نجد ذكر ثمانية عشر نبيًّا من أنبياء الله - من أصل خمسة وعشرين ذُكروا في القرآن كله - ولم يتكرر ذلك في سورة أخرى.

أمثلة لأسلوب التلقين: الذي ذكرناه سابقًا.

[الآية: ١١] ""قل" سيروا في الأرض..".

[الآية: ١٢] ""قل" لمن ما في السموات والأرض "قل" لله".

[الآيتان: ١٤، ١٥] ""قل" أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهويطعم ولا يطعم "قل" إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين "قل" إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم".

[الآية: ١٩] ""قل" أي شيء أكبر شهادة "قل" الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهةً أخرى "قل" لا أشهد "قل" إنما هوإله واحد وإنني بريء مما تشركون" وهكذا ظاهرة ملحوظة حتى نهاية السورة، فتأمل الآيات [من ١٦١ إلى ١٦٤].

"قل" إنني هداني ربي إلى صراطٍ مستقيمٍ ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين "قل" إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

"قل" أغير الله أبغي رباً وهورب كل شيء ولا تكسب كل نفسٍ إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون".

أما أسلوب التقرير، واستعمال ضمير الغائب، فتأمل الآيات:

[الآية: ٢] ""هو" الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً..".

[الآية: ٣] ""وهو" الله في السموات وفي الأرض..".

[الآية: ١٤] "قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض "وهو" يُطعِم ولا يُطعَم ".

[الآية: ١٧، ١٨] "وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا "هو" وإن يمسك بخير "فهو" على كل شيء قدير "وهو" القاهر فوق عباده "وهو" الحكيم الخبير".

وهكذا ظاهرة ملحوظة حتى ختام السورة، فتأمل سياق الآيتين الأخيرتين من السورة [١٦٤ و١٦٥].

قل أغير الله أبغي رباً "وهو" رب كل شيء ولا تكسب كل نفسٍ إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون "وهو" الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم".

– ولا حظ كذلك التفصيل المبهر في الآيات: [من ٥٩ وإلى ٦٢]، واستعمال "ثم" و"هو" "وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هوويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقةٍ إلا يعلمها ولا حبةٍ في

ظلمات الأرض ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين وهوالذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهوالقاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهوأسرع الحاسبين" فتأمل قدرته الباهرة وعلمه الشامل وبيانه الساحر الذي يأخذ بالألباب!

و[والآيات: من ٩٥ إلى ٩٩] "إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم وهوالذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهوالذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهوالذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون".

فتأمل تفصيل الآيات المبهرة، الدالة على قدرة الله، وغيرها في السورة كثير ملحوظ.

العقيدة: كما أسلفنا فالسورة كلها من أولها لآخرها رحلة ضخمة في النفس والكون تثبت "لا إله إلا الله" بتفاصيلها لا يمكن اجتزاء شيءٍ منها.

القصص: انظر الآيات [من ٧٤ إلى ٩٠] "وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة...". الآيات، يدور القصص والحوار فيها حول نفس المحور الرئيسي للسورة، وهوإثبات العقيدة الصحيحة، وبطلان كل ما يُعبد من دون الله تعالى، من أصنام، أونجوم، أوكواكب، أوغير ذلك، وإثبات الرسالة، والنبوة، والكتب.

الأمثال: كلها تدور حول محور السورة، تأمل المثل المضروب في [الآية: ١٢٢] "أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون" فهومثال مركب للكافرين كأنهم موتى ويتخبطون في ظلمات الجهالة والشهوات والشبهات والأفكار المنحرفة لا يخرجون منها بينما المؤمنون كالأحياء ومعهم النور المبين.

و[الآية: ١٢٥] "فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصَّعَّد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون"

المقابلات : كثيرة نذكر أمثلة منها:

[الآية: ١] "الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور.." ونلاحظ أن في القرآن كله يجمع الظلمات لكثرة طرق الضلال والإغواء بينما يستعمل "النور" مفردة؛ لأن طريق الحق واحد "لا إله إلا الله وحده لا شريك له"، كما في [الآية: ١٥٣] "وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون".

[الآية: ٣] ".. يعلم سركم وجهركم..".

[الآية: ١٣] "وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم".

[الآية: ١٤] ".. وهو يُطعِم ولا يُطعَم..".

[الآية: ١٧] "وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هووإن يمسسك بخير فهوعلى كل شيءٍ قدير".

وانظر كذلك الآيات: [٢٥ و"٤٧ – ٥١" و٦٥ و٧١ و٧٧ و٩٥ و٩٦ و١٢٠ و١٢٢ و١٢٥ و١٤١ و١٤٨].

وهكذا كثير جداً من المقابلات حتى نهاية السورة، وتأمل [الآية: ١٦٠] "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يُجزي إلا مثلها وهم لا يُظلمون".

آيات محورية: كثيرة ومنها:

- [الآية: ٨٢] اطمئنوا يا مؤمنين! "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلمٍ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" والمقصود بالظلم الشرك كما أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم -.

[الآية ١٠٦] "اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين".

الآيات [من ١١٨ وحتى ١٢١] في النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه، ثم الآيات [من ١٤١ وحتى ١٤٦] في إبطال عادات الجاهلية في الطعام والذبح وقد يتبادر إلى الذهن أن أمر الطعام والذبح يسير أوليس من أولويات الدعوة والبلاغ خاصةً في المرحلة المكية حين نزلت السورة ولكن الإسلام لا يهادن في أمور الجاهلية ويجعل الحياة كلها خالصةً لله وحده كما في [الآيتين: ١٦٢ و١٦٣].

وإحدى آياتها المحورية [الآية: ١٤٨] "سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذَّب الذين من قبلهم قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون".

[الآيتان المحوريتان: ١٦٢ و١٦٣] "قل إن صلاتي نسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أول المسلمين".

سورة الأعراف

المحاور الرئيسة: كن مع أهل الحق.. إياك والاستكبار.. إياك والغفلة ...

سورة مكية تُعنى بأمر العقيدة عن طريق القصص، وتعرض بعض أخبار الأمم السابقة، وتركز على الصراع بين الحق والباطل، **وتسميتها** "الأعراف" تدل على أهمية الانحياز لجانب الحق، وحسم الأمور بغير تردد؛ ليصبح الإنسان من أصحاب الجنة، ولا يرتهن على الأعراف – اسم السورة – بين الجنة والنار– وتحذِّر بالذات من الاستكبار والغفلة – كما سنفصل حول كلماتها – وهي من أطول السور المكية، ولكنها مع ذلك تتبع سياقًا مميزًا، يقوم على اختصار كثير من التفاصيل كما سنرى بعد قليل، وهي أكثر سورة ذكر فيها اسم سيدنا موسى – عليه السلام – حيث ورد فيها ٢١ مرة من أصل ١٣٦ مرة في القرآن كله "منها في سورة القصص ١٨ مرة، وفي سورة طه ١٧ مرة"، ولما كانت تعرض أمر العقيدة في سياق قصص الأنبياء كانت أكثر سورة ورد فيها لفظ "الملأ" وقيل في معناها: السادة والرؤساء ووجوه القوم وكبراؤهم، فهم الذين يستكبرون، ويصدون عن سبيل الله من يريد الإيمان في كل عصر ومصر، فوردت سبع مرات من أصل ٢٢ مرة في القرآن كله، وكذلك تكرر ذكر "فرعون" فيها تسع مرات، من أصل ٧٤ مرة في القرآن كله – ورد لفظ "فرعون" في سورة غافر كذلك تسع مرات، وبذلك تكون السورتان – الأعراف وغافر – أكثر السور ذكرًا له.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها لم يـأت جذرها، ولا مشتقاتها إلا في سورة الأعراف:

"مذؤومًا" [الآية: ١٨] بمعنى مذمومًا.

"ريشًا" [الآية: ٢٦] بمعنى لباسًا تتجملون به.

"حثيثًا" [الآية: ٥٤] بمعنى سريعًا.

"نكِدًا" [الآية: ٥٨].

"سهولها" [الآية: ٧٤].

"مَهما" [الآية: ١٣٢].

"القُمَّل" [الآية: ١٣٣].

"الضفادع" [الآية: ١٣٣].

"يجُرُّه" [الآية: ١٥٠].

"تُشمِت" [الآية: ١٥٠].

"سكت" [الآية: ١٥٤].

"فانبجست" [الآية: ١٦٠] قيل هوالشق أوبداية خروج الماء، وهوأخف من الانفجار

"نتقنا" [الآية: ١٧١]، وهو قلع الشيء من موضعه.

"يلهث" مرتين في [الآية: ١٧٦].

"صامتون" [الآية: ١٩٣].

لاحظ التناسب العجيب أن تكون مادة "س ك ت"، ومادة "ص م ت" في سورة واحدة، ولم يردا في سورة أخرى!!!

تركيبات لغوية خاصة:

من أكثر سور القرآن نهيًا عن الاستكبار، فتأمل الآيات الآتية:

الآية [الآية: ١٣] "قال فاهبط منها فما يكون لك أن "تتكبر" فيها فاخرج إنك من الصاغرين".

- [الآية: ٣٦] "والذين كذبوا بآياتنا "واستكبروا" عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون".

[الآية: ٤٠] "إن الذين كذبوا بآياتنا "واستكبروا" عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين".

- [الآية: ٤٨] "ونادى أصحاب الأعراف رجالًا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم "تستكبرون"".

- [الآية: ٧٥] "قال الملأُ الذين "استكبروا" من قومه للذين استضعفوا...".

- [الآية: ٧٦] "قال الذين "استكبروا" إنا بالذي آمنتم به كافرن".

- [الآية: ٨٨] "قال الملأُ الذين "استكبروا" من قومه لنخرجنَّك يا شعيب..."

- [الآية: ١٣٣] "فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آياتٍ مفصلاتٍ "فاستكبروا" وكانوا قومًا مجرمين".

- [الآية: ١٤٦] "سأصرف عن آياتي الذين "يتكبرون" في الأرض بغير الحق...".

ثم آية الختام [الآية: ٢٠٦] "إن الذين عند ربك لا "يستكبرون" عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون".

ونلاحظ أن مادة "ك ب ر" وردت في سورة الأعراف عشر مرات، أغلبها في سياق النهي والتحذير من الاستكبار، بينما وردت كذلك في سورة غافر عشر مرات، كما في [الآيات: ١٠ و١٢ و٢٧ و٣٥ و٤٧ و٤٨ و٥٦ و٥٧ و٦٠ و٦٧] أغلبها في سياق النهي والتحذير من الكِبر، والسورتان "الأعراف وغافر" أكثر سور القرآن ذكرًا للمادة "ك ب ر".

ونلاحظ كذلك أن سورة الأعراف من أكثر سور القرآن نهيًا وتحذيرًا من الغفلة، فتأمل الآيات الآتية:

- [الآية: ١٣٦] "فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها "غافلين"".

و[الآية: ١٤٦] "سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها "غافلين"".

و[الآية: ١٧٢] "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا "غافلين"".

و[الآية: ١٧٩] "ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم "الغافلون"".

ثم الآية قبل الأخيرة في السورة، وهي صريحة في النهي عن الغفلة [الآية: ٢٠٥] "واذكر ربك في نفسك تضرعًا وخيفةً ودون الجهر من القول بالغدووالآصال ولا تكن من "الغافلين""، ونلاحظ أن مادة "غ ف ل" وردت في سورة الأعراف خمس مرات، في سياق التحذير من الغفلة، بينما وردت كذلك في سورة البقرة خمس مرات، ولكن جميعها في سياق نفي الغفلة عن الله – تبارك وتعالى – فجاءت في أربعة مواضع في [الآيات: ٧٤ و٨٥ و١٤٠ و١٤٩] "وما الله بغافل عما تعملون"، وجاءت مرة واحدة في [الآية: ١٤٤] "وما الله بغافل عما يعملون"، والسورتان "البقرة والأعراف" أكثر سور القرآن ذكرًا للمادة "غ ف ل".

عبارات أخرى مميزة للسورة:

انظر سياق [الآيات: ٢١ و٢٢] "وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور...". انخدعا بسبب الغفلة فأطاعوا عدوهما، وتأمل سياق الآيات [الآية: ٢٠] "ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما" و[الآية: ٢٢] "فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتُهما " و[الآية: ٢٦] "يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشًا" و[الآية: ٢٧] "يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما.."، وتأمل كيف أضل الشيطان بني آدم عن الفطرة السليمة، فأصبحوا يتبارون في التعري، واتباع الشهوات، والغفلة عن أوامر الله تعالى!.

وردت "…. أمة يهدون بالحق وبه يعدلون" في موضعين: [الآيتان: ١٥٩ و١٨١].

"أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم..." في موضعين: [الآيتان: ٦٣ و٦٩].

"وإن يروا سبيل..." مرتين في [الآية: ١٤٦].

"مكر الله" مرتين في [الآية: ٩٩].

"بها أم لهم...." وردت ٣ مرات في [الآية: ١٩٥].

"بها ولهم" مرتين في [الآية: ١٧٩].

"فأنجيناه والذين معه" في موضعين: [الآيتان: ٦٤ و٧٢].

"ونادى أصحاب..." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٤٤ و٤٨ و٥٠].

"يبصرون بها" وكذلك "يسمعون بها" في موضعين: [الآيتان: ١٧٩ و١٩٥].

"إنا لنراك في..." في موضعين: [الآيتان: ٦٠ و٦٦].

"قال يا قوم ليس بي...." في موضعين [الآيتان: ٦١ و٦٧].

"رسول من رب العالمين" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٦١ و٦٧ و١٠٤].

"أبلغكم رسالات ربي" في موضعين: [الآيتان: ٦٢ و٦٨].

وانظر كذلك المعنى المتكرر في "فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم" [الآية: ٩٣]، وفي "فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم.." [الآية: ٧٩].

"لنكونن من الخاسرين" في موضعين: [الآيتان: ٢٣ و١٤٩].

"ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها" في موضعين: [الآيتان: ٥٦ و٨٥].

"أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا " و"أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا" في موضعين: [٩٧ و٩٨].

"و" الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها" في موضعين: [الآيتان: ٣٦ و٤٠].

تكرار "واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد..." و"فاذكروا آلاء الله" في موضعين: [الآيتان: ٦٩ و٧٤].

"وإن تدعوهم إلى الهدى..." في موضعين: [الآيتان: ١٩٣ و١٩٨].

"بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين" في موضعين: [الآيتان: ١٣٦ و١٤٦].

تكرر النداء المميز "يا بني آدم..." في أربعة مواضع: [الآيات: ٢٦ و٢٧ و٣١ و٣٥]، ولكنه ورد كذلك في سورة يس، في الآية [٦٠].

"قد جاءتكم بينة من ربكم.." في موضعين: [الآيتان: ٧٣ و٨٥].

"لقد جاءت رسل ربنا بالحق" و"قد جاءت رسل ربنا بالحق" في موضعين: [الآيتان: ٤٣ و٥٣].

"ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين" [الآية: ٨٥] من قول شعيب - عليه السلام - تركيبة خاصة في سورة الأعراف، بينما في بقية القرآن "إن كنتم تعلمون" في [التوبة: ٤١]، و[العنكبوت: ١٦]، و[الصف: ١١]، و[الجمعة: ٩]، ونلاحظ في سورة هود [الآية: ٨٦] من كلام شعيب - عليه السلام - كذلك "بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين..".

"فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون" [الآية: ٣٩] تركيبة خاصة في سورة الأعراف بنصها، بينما في بقية القرآن "بما كنتم تكفرون" في سورة [آل عمران: ١٠٦]، و[الأنعام: ٣٠]، و[الأنفال: ٣٥]، و[الأحقاف: ٣٤].

"أصحاب الجنة أن..." في موضعين: ٤٦ و٥٠

"عند كل مسجد" في موضعين: [الآية: ٢٩] "وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد" و[الآية: ٣١] "خذوا زينتكم عند كل مسجد" وكلمة "مسجد" هنا بدون "ال" بينما تأتي في القرآن كله "المسجد" ١٨ مرة.

"قال الملأ الذين استكبروا من قومه...." في موضعين: [الآيتان: ٧٥ و٨٨].

لم ترد تركيبة "النبي الأمي..." إلا في الأعراف في موضعين: [الآيتان: ١٥٧ و١٥٨] فانظر إلى قصص السورة، واعتبر كيف عرف النبي الأمي – صلى الله عليه وسلم - كل هذه الأخبار!

تتميز سورة الأعراف في تركيبات عباراتها باختلافات كثيرة عن أشباهها، كالأمثلة الآتية:

[الآية: ٣٨] "قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار...."، بينما في بقية القرآن بدون "في النار"، كما في [فصلت: ٢٥]، و[الأحقاف: ١٨].

الآية ٤٢ "والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلِّف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون" بينما تأتي بدون زيادة "لا نكلف نفسا إلا وسعها" في البقرة [الآية: ٨٢]، ويونس [الآية: ٢٦]، وهود [الآية: ٢٣].

[الآية: ٧١] "أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزّل الله بها من سلطان"، وليس "ما أنزل الله بها من سلطان" كما في يوسف [الآية: ٤٠]، والنجم [الآية: ٢٣].

[الآية: ٩٦] "... لفتحنا عليهم ..." الوحيدة بلام التوكيد، بينما في [الأنعام: ٤٤]، و[الحجر: ١٤]، و[المؤمنون: ٧٧] "فتحنا عليهم"، وتأمل جمال المعنى، والفرق بين الآيات، فهو وعد مؤكد من الله تعالى، بفتح البركات على من آمن به واتقاه.

[الآية: ١١١] "قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين"، بينما في [الشعراء: ٣٦] "وابعث".

[الآية: ١١٢] "يأتوك بكل ساحرٍ عليم"، بينما في [الشعراء: ٣٧] "يأتوك بكل سحّار عليم".

[الآية: ١٢٣] "قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون" مختلفة عن أشباهها ففيها "فرعون"، و"آمنتم به"، وليس "آمنتم له"، وليس فيها "إنه لكبيركم الذي علمكم السحر"، كما في [طه: ٧١]، و[الشعراء: ٤٩].

[الآية: ١٢٧] "قال سنُقتِّل أبناءهم ونستحيي نساءهم" وكذلك [الآية: ١٤١] "يُقتِّلون أبناءكم ويستحيون نساءكم"، بينما في القرآن كله عند الحديث عن جرائم فرعون مع بني إسرائيل، تأتي مادة "ذبح"، وليس "قتل" كما في [القصص: ٤] "يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم" وفي [البقرة: ٤٩] "يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم" وفي [إبراهيم: ٦] "ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم".

[الآية: ١٦٧] "إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم" بلام التوكيد حين ذكر جرائم اليهود توكيدًا على عقوبتهم، بينما في [الأنعام: ١٦٥] "إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم".

[الآية: ١٧٨] "من يهد الله فهو المهتدي"، بينما في [الإسراء: ٩٧]، و[الكهف: ١٧] "فهو المهتد".

وفيما يلي أمثلة من **الاختصار** الذي تتميز به تفاصيل السورة عن أشباهها، في سور أخرى "وقد تعين من يريد الحفظ":

[الآية: ١٤] "قال أنظرني إلى يوم يبعثون" بينما "قال رب فأنظرني" بزيادة الفاء في [الحجر: ٣٦]، و[ص: ٧٩].

[الآية: ١٥] "قال إنك من المنظرين"، وليس "فإنك" بالفاء، كما في [الحجر: ٣٧]، و[ص: ٨٠]، وبدون زيادة "إلى يوم الوقت المعلوم"، كما في [الحجر: ٣٨]، و[ص: ٨١].

[الآية: ١٦] "قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم"، بدون "رب"، وبدون "لأزينن لهم"، كما في [الحجر: ٣٩]، ولم يقسم "بعزتك"، كما في [ص: ٨٢].

[الآية: ١٨] "...لأملأن جهنم منكم أجمعين"، بينما وردت "منك وممن تبعك منهم أجمعين" في [ص: ٨٥].

[الآية: ١٩] "..... فكُلا من حيث شئتما...."، بدون "رغدًا"، كما في [البقرة: ٣٥].

[الآية: ٢٤] "قال اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدو.."، بدون "منها جميعًا"، كما في [البقرة: ٣٨]، و[طه: ١٢٣].

[الآية: ٢٨] "وإذا فعلوا فاحشةً قالوا..."، بدون "أوظلموا أنفسهم"، كما في [آل عمران: ١٣٥].

[الآية: ٣٥] "... يقصون عليكم آياتي..."، بدون "وينذرونكم لقاء يومكم هذا"، كما في [الأنعام: ١٣٠].

[الآية: ٤٣] "ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهار.."، بدون "إخوانًا"، كما في [الحجر: ٤٧].

[الآية: ٤٥] ".. وهم بالآخرة كافرون"، وليس "وهم بالآخرة هم كافرون"، كما في [هود: ١٩]، و[يوسف: ٣٧]، و[فصلت: ٧].

تنفرد السورة بذكر الأعراف وأصحابها، فتأمل الآيات من [الآية: ٤٤ إلى الآية: ٥١]، وسيأتي بيانها.

[الآية: ٦٤] "فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفُلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين" بدون زيادة "وجعلناهم خلائف"، كما في [يونس: ٧٣] "فكذبوه فنجّيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين".

[الآية: ٨١] "إنكم لتأتون الرجال..."، وليس "أئنكم"، كما في [النمل: ٥٥]، و[العنكبوت: ٢٩].

[الآية: ٨٢] "... قالوا أخرجوهم من قريتكم.." بالضمير، وليس "أخرجوا آل لوط من قريتكم" كما في [النمل: ٥٦].

[الآية: ٨٣] "فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين" خلت من مؤكدات "وإنّ لوطًا لمن المرسلين إذ نجّيناه وأهله أجمعين" في [الصافات: ١٣٣ و١٣٤]، والتي أكدت بـ"إنّ"، واللام، وأجمعين، وتشديد "نجّيناه".

[الآية: ١٠١] ".. فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل.."، وليس "بما كذبوا به من قبل" [يونس: ٧٤].

[الآية: ١١٠] "يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون" بدون "بسحره" كما في [الشعراء: ٣٥].

[الآية: ١١٣] "... قالوا إن لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين" وليس "أئن" كما في [الشعراء: ٤١].

[الآية: ١١٤] "قال نعم وإنكم لمن المقربين" بدون "إذًا" كما في [الشعراء: ٤٢].

[الآية: ١١٦] "قال ألقوا..."، بدون "بل"، كما في [طه: ٦٦].

[الآية: ١٢٥] "قالوا إنا إلى ربنا منقلبون"، بدون "لا ضير"، كما في [الشعراء: ٥٠].

[الآية: ١٣٤] "... قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك..." وليس "يا أيها الساحر" كما في [الزخرف: ٤٩].

[الآية: ١٥٠] "... قال ابن آم..." وليس "يا ابن آم"، كما في [طه: ٩٤].

[الآية: ١٥٦] "واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة..."، وليس "وفي الآخرة حسنة"، كما في [البقرة: ٢٠١].

[الآية: ١٦١] "وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطةٌ وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين"، بدون "رغدًا"، وباستعمال جمع القلة "خطيئاتكم"، وليس جمع الكثرة "خطاياكم"، وبدون واو"وسنزيد"، كما في [البقرة: ٥٨].

[الآية: ١٨٤] "... ما بصاحبهم من جنة إن هوإلا نذير مبين" وليس "إن هوإلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد"، كما في [سبأ: ٤٦].

[الآية: ٢٠٠] "وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنه سميعٌ عليم" بينما في [فصلت: ٣٦] "إنه هو السميع العليم".

[الآية: ٢٠٦] "إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون"، وليس "ويسبحون له"، كما في [فصلت: ٣٨].

العقيدة: السورة كلها في سياق تثبيت العقيدة عن طريق القصص، وانظر [الآيات: ١٧٢ – ١٧٤]، و[١٨٩ – ١٩٥]، في سياق النهي عن الشرك.

القصص: السورة كلها تعرض قصص الأنبياء، والأمم السابقة بدايةً من آدم – عليه السلام – وقصته مع إبليس، وهبوطه إلى الأرض، ثم قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب – عليهم السلام – مع أقوامهم، وهلاك المكذبين، ثم بشيء من التفصيل، أوردت قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون، ومع بني إسرائيل، وانفردت بطلب موسى – عليه السلام – في [الآية: ١٤٣] رؤية ربه "ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن

تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين".

قال المفسرون: كان التجلي بمقدار نصف أنملة! فاندكَّ الجبل، وخرَّ موسى – عليه السلام – مغشيًّا عليه من الهول! وتيقن أن البشر لا يرون الله تعالى في الدنيا.

وانفردت السورة بتفصيل قصة أصحاب السبت في [الآيات: [١٦٣ – ١٦٦]، ونلاحظ إهمال ذكر مصير الفئة التي وقفت على الحياد "وإذ قالت أمةٌ منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أومعذبهم عذاباً شديداً" فهم يعرفون الحق، ولكنهم وقفوا على الحياد، فلم يأمروا بالمعروف، ولم ينهوا عن المنكر، وهذا مناسب جدًّا لسورة "الأعراف" حيث يرتهن فريق بين الجنة والنار!

ثم تنفرد السورة كذلك بذكر قصة عالمٍ بني إسرائيل، الذي استغل علمه لتحقيق أهوائه، فطغى، وأفسد "واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" [الآيتان: ١٧٥ و١٧٦].

الأمثال: ومنها:

[الآية: ٤٠] "إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين" مثال لاستحالة دخولهم الجنة. [الآيات: ١٧٥ و١٧٦] "..فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أوتتركه يلهث.." وبئس هذا المثل لمن آتاه الله العلم الشرعي، فاستخدمه لنصرة الباطل، وأرجو مراجعة كتب التفسير.

المقابلات والمقارنات: كثيرة جدًّا، ومنها:

[الآية: ٤] "وكم من قريةٍ أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أوهم قائلون" وهذا أفزع للنفوس؛ لأنه في وقت راحتها ليلًا "بياتًا"، أووقت القيلولة "قائلون".

[الآية: ٨] "والوزن يومئذٍ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون" في مقابل [الآية: ٩] "ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون".

[الآية: ١٧] "ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين".

[الآية: ٣٠] "فريقًا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة...".

[الآية: ٣٣] "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن...".

[الآية: ٣٤] "... فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون".

[الآيات: من ٤٤ إلى ٥١] كلها مقارنة بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، وتنفرد بذكر الأعراف وأصحابها " [الآيات: من ٤٦ – ٤٩] "، وتأمل الحوار بين الفئات الثلاث فكم فيه من عبر!

فأول نداء في الآية "ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربُنا حقًّا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقًّا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين" [الآية: ٤٤] فلماذا استحقوا اللعنة؟ "الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون" [الآية: ٤٥] ثم المرتهنون بين هؤلاء وأولئك "وبينهما حجابٌ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلامٌ عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون" [الآية: ٤٦] ثم تُصرف أبصارهم إلى جهة العذاب "وإذا صُرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين" [الآية: ٤٧] ثم ينادون "ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون" [الآية: ٤٨] "أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوفٌ عليكم ولا أنتم تحزنون" [الآية: ٤٩] ،ثم يجئ نداء المجرمين يستغيثون "ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أومما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون" [الآيتان: ٥٠ و٥١] فلنعمل لهذا اليوم المهول.

[الآية: ١٤٦] انظر إلى تكبرهم عن اتباع الحق، وغفلتهم عن آيات الله "... وإن يروا سبيل الرُشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين".

آيات محورية: ومنها:

تأمل الآيات التي أسلفنا ذكرها [من الآية: ٤٤ إلى الآية: ٥١].

[الآية: ٥٤] ".. ألا له الخلق والأمر.." – سبحانه وتعالى – فهل بقي شيء لأحد يطلبه؟.

[الآية: ٩٩] "أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون".

[الآية: ١٩٦] "إن وليِيَ اللهُ الذي نزّل الكتاب وهويتولى الصالحين" فاتبع طريق الحق، ولا تخش شيئًا.

سورة الأنفال

التسمية:الأنفال، وهي الغنائم، والتي يرد ذكرها من بداية السورة "يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين"[الآية: ١]، ولا تجيب عن سؤالهم حول تقسيمها إلا بعد أربعين آية من التربية والتوجيه "واعلموا أنما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيءٍ قدير" [الآية: ٤١].

المحاور الرئيسة: سورة مدنية تعالج أمر التربية للمؤمنين في حالة النصر؛ لأنها نزلت في شأن غزوة بدر "يوم الفرقان"، وتبيين أن النصر من عند الله وحده، لا بقوة، ولا عدد، ولا عدة "وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم" [الآية: ١٠]، وأهمية الالتفات إلى إصلاح ذات البين، ووحدة الصف المؤمن، أكثر من الحرص على الغنائم والمكاسب المادية، وتوضح: من هم المؤمنون حقًّا، في آيتين: [الآية: ٤]، و[الآية: ٧٤]، وترشد إلى الثبات في مواجهة الأعداء "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار" [الآية: ١٥] ثم التحذير، والوعيد الشديد، من التولي، أوالهرب عند القتال "ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفا لقتالٍ أومتحيزاً إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من الله ومأواه جهنم وبئس المصير" [الآية: ١٦]، وكذلك "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون" [الآية: ٤٥]، وغير ذلك من أحكام الغنائم والقتال والخيانة ونقض العهود والسلم والأسرى.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها:

"الشوكة" [الآية: ٧] قيل المقصود السلاح.

"زحفًا" [الآية: ١٥] الجيش الكثير العدد فإذا تحرك ظهر كأنه يزحف؛ لكثافته، وثقله.

"متحيزًا" [الآية: ١٦] منضمًا.

"مُكاءً" [الآية: ٣٥] وهو الصفير.

"فشرد" [الآية: ٥٧] وهو التفريق، والطرد، والتبديد.

تركيبات لغوية خاصة:

– السورة الوحيدة التي يُذكر فيها المقطع: "أولئك هم المؤمنون حقًّا.." في موضعين: [الآيتان: ٤ و٧٤]، فتأمل صفاتهم لتصبح منهم.

– وتنفرد بالمقطع "إن شر الدوابّ عند الله...." في موضعين: [الآيتان: ٢٢ و٥٥]، فكأنهم أشر من البهائم؛ لأنهم يسمعون بآذانهم، ولا تعي قلوبهم، ولأنهم كفروا فينقضون عهودهم!

– "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم..." في موضعين: [الآيتان: ١٥ و٤٥]، فتأمل ما يجب على المؤمنين في تلك الحالة من الثبات، والتحذير الشديد من الفرار (وهومن أكبر الكبائر)، والاستعانة بذكر الله كثيرًا.

– "حسبك الله.." في موضعين: [الآيتان: ٦٢ و٦٤].

– "والذين آووا ونصروا أولئك..." في موضعين: [الآيتان: ٧٢ و٧٤].

– "ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا..." في موضعين: [٤٢ و٤٤].

– "وإن يريدوا...." في موضعين: [الآيتان: ٦٢ و٧١]، وتأمل المعنى فهم دائمًا مخادعون خائنون.

– تأمل سياق [الآية: ١٠] التي فيها الحديث عن البشرى بإنزال الملائكة، مقارنة بالآية [١٢٦] من سورة آل عمران (ذكرنا ذلك في نظرات آل عمران) قال المفسرون: ولا تعارض في الأعداد ففي الأنفال [الآية: ٩] ذكر أنهم "... بألف من الملائكة مردفين" أي: متتابعين، وفي آل عمران [الآية: ١٢٤] قال "... بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين"، فالمعنى إنزال ألف أولًا، ثم ثلاثة آلاف، والله أعلم.

– تأمل سياق الآيتين [٦٥ و٦٦] سياق فريد في القرآن كله حيث يحدد بالعدد غلبة المؤمنين على الكافرين، وانظر تكرار" إن يكن منكم...." و"وإن يكن منكم" و"فإن يكن منكم.." أربع مرات

في الآيتين، وهي التركيبة الوحيدة في القرآن كله، وتأمل أهمية الصبر.

- "عن بينة" مرتين في آية واحدة: [الآية: ٤٢].

- تركيبة الجملة: "ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب"[الآية: ١٣] هي الوحيدة في القرآن، بينما في [النساء: ١١٥] "ومن يشاقق الرسول..." وفي [الحشر: ٤] "ومن يشاق الله...".

- تركيبة الجملة:"وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا..." [الآية: ٣١] هي الوحيدة في القرآن كله، بدون زيادة.

"بينات" بينما في باقي القرآن "وإذا تتلى عليهم آياتنا "بيناتٍ""، كما في: [يونس: ١٥]، و[مريم: ٧٣]، و[الحج: ٧٢]، و[سبأ: ٤٣]، و[الجاثية: ٢٥]، و[الأحقاف: ٧].

- قوله تعالى: "وإن الله لسميعٌ عليم" [الآية: ٤٢] بلام التوكيد هي الوحيدة في القرآن كله، مقارنة بقوله تعالى: "إن الله سميع عليم" في [البقرة: ١٨١]، و[الأنفال: ١٧]، و[الحجرات: ١].

العقيدة:

قال تعالى في شرح حقيقة الإيمان ومظاهره: "إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِر الله وجلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون"[الآية: ٢] "الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون" [الآية: ٣] "أولئك هم المؤمنون حقًّا لهم درجاتٌ عند ربهم ومغفرة ورزق كريم" [الآية: ٤]، وفي أواخر السورة، جاءت صفات مكملة لهؤلاء "المؤمنون حقًّا" قال تعالى: "والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم" [الآية: ٧٤]، فالأولى تنتظم صفات قلبية، ومظاهر تعبدية، والثانية تنتظم صفات عملية، من التحرك، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، ونصرة المؤمنين، وإغاثتهم، قال ابن الخطيب: "ليتدبرها كل مؤمن، وليعرضها على نفسه، فإن وجدها تنطبق على صفاته فليهنأ بما آتاه الله من فضل، وما وهبه من خير، وإن وجدها في وادٍ، وهو في وادٍ فليلجأ إلى الرحيم الودود".

القصص:

السورة تقص ما حدث أثناء غزوة بدر بداية من الخروج "كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون" [الآية: ٥]، وحتى النصر "وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم" [الآية: ١٠]، وإلى الحكم في الأسرى "في [الآيات: من ٦٧ وحتى ٧١].

الأمثال:

- تأمل وصف الكافرين "إن شر الدوابّ عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون" [الآية: ٢٢]، و"إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون" ٥٥ فضرب لهم مثلًا جعلهم شرًّا من البهائم.

- وتأمل عاقبة الكفر والتكذيب في الآيتين [٥٢ و٥٤]، وضرب المثل بآل فرعون، ومن على شاكلتهم من الطغاة والمعاندين.

المقابلات والمقارنات: كثيرة، ومنها:

- [الآية: ٨] "ليحق الحق ويبطل الباطل ولوكره المجرمون".

- [الآية: ٣٧] "ليميز الله الخبيث من الطيب..".

- [الآية: ٤٢] "ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة".

- [الآية: ٤٣] "إذ يريكهم الله في منامك قليلًا ولو أراكهم كثيرًا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر..".

آيات محورية:

- تكاد أهم معاني السورة تختصر في جزء من الآية [١٠] "... وما النصر إلا من عند الله.."، لكن ذلك لا يدفعنا إلى القعود والتواكل، فتأمل الآية [٦٠] "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوالله وعدوكم...".

- تأمل الآية [٣٦] "إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنم يُحشرون" فهم خاسرون في الدنيا والآخرة.

- قاعدة تيقن منها في الآية [٥٣] "ذلك بأن الله لم يك مُغيرًا نعمةً أنعمها على قومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميعٌ عليم".

- [الآية: ٦٣] "وألف بين قلوبهم لوأنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيزٌ حكيم".

- تأمل [الآيات: من ٧٢ إلى ٧٥] "نهاية السورة"، واقرأ التفاسير في وجوب الولاء للمؤمنين ومناصرتهم "والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" [الآية: ٧٣].

سورة التوبة

التسمية:

للسورة الكريمة اسمان مشهوران "التوبة"، و"براءة"، وتكاد تدور كل آياتها حول هذين المعنيين:

- توبة الله على من تاب من عباده المؤمنين "كما في [الآيات: ١١٧ و١١٨]؛ بل وعلى من آمن من المشركين "كما في [الآيات: "٥ و١١].

- وبراءة الله ورسوله من الشرك، والمشركين، والمنافقين، وإن كانوا ذوي قربى للمؤمنين!

وهي سورة مدنية تضمنت فضح أساليب المشركين والمنافقين وأكاذيبهم، ووضحت طريقة التعامل معهم، حربًا وسلمًا، وسميت لذلك بأسماء عديدة، منها: الفاضحة، والكاشفة، والمقشقشة، والمثيرة، وورد عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال: تلك الفاضحة ما زال ينزل: ومنهم، ومنهم، ومنهم، حتى خفنا ألا تدع منهم أحدًا"، وهي أكثر سورة ورد فيها مادة "ت و ب" كما يوضح اسمها، وعالجت أمر غزوة تبوك "غزوة العسرة"، وهي السورة الوحيدة التي لا تبدأ بالبسملة؛ قيل لأنها بدأت بـ"براءة" أو لأنها نزلت بالسيف، والبسملة أمان، أو لأن الصحابة - رضي الله عنهم - وضعوها بعد سورة الأنفال؛ لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قُبِض ولم يحدد مكانها، ولأن موضوع السورتين قريب، وكأن التوبة استكمال للأنفال، والله أعلم.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"كسادها" [الآية: ٢٤]، وهو البوار.

"مواطن" [الآية: ٢٥].

"نَجَس" [الآية: ٢٨]، أي: قذر.

"يضاهئون" [الآية: ٣٠]، أي: يشابهون.

"فتُكوى" [الآية: ٣٥].

"جباههم" [الآية: ٣٥].

"فثبّطهم" [الآية: ٤٦]، أي: كسر عزمهم، وكسّلهم.

"يجمحون" [الآية: ٥٧]، أي: يفرون مسرعين.

"أُسس" و"أَسَّس" ٣ مرات في آيتين: مرة في [الآية: ١٠٨]، ومرتين في [الآية: ١٠٩] "هار" و"فانهار" [الآية: ١٠٩] بمعنى السقوط.

تركيبات لغوية خاصة: تنفرد بها السورة:

"واعلموا أنكم غير مُعجزي الله...." و"فاعلموا أنكم غير مُعجزي الله" في موضعين: [الآيتان: ٢ و٣].

"فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة...." في موضعين: [الآيتان: ٥ و١١].

"وإذا ما أنزلت سورة..." في موضعين: الآيتان: ١٢٤ و١٢٧].

"إلا كُتب لهم..." في موضعين [الآيتان: ١٢٠ و١٢١]، وتأمل سياق الآيتين فالله لا يضيع أجر العاملين لنصرة دينه.

"جزاءً بما كانوا يكسبون" في موضعين: [الآيتان: ٨٢ و٩٥].

"من الله ورسوله إلى..." في موضعين: [الآيتان: ١ و٣].

"الذين عاهدتم من المشركين" في موضعين [الآيتان: ١ و٤].

"الذين لا يؤمنون بالله..." في موضعين: [الآيتان: ٢٩ و٤٥] رغم كثرة التركيبة "لا يؤمنون"، حيث وردت في القرآن ٤٨ مرة، لكن لم ترد "الذين لا يؤمنون بالله" إلا في التوبة!!!

"أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم...." في موضعين: [الآيتان: ٤٤ و٨١].

"رضوا بأن يكونوا مع الخوالف..." في موضعين: [الآيتان: ٨٧ و٩٣]، وأيضًا "فاقعدوا مع الخالفين" [الآية: ٨٣] الوحيدة في القرآن.

تركيبة الجملة "أتتهم رسلهم بالبينات.." [الآية: ٧٠] هي الوحيدة بينما في بقية القرآن "جاءتهم رسلهم بالبينات" كما في [الأعراف: ١٠١]، و[يونس: ١٣]، و[إبراهيم: ٩]، و[فاطر: ٢٥]، و[غافر: ٨٣].

"ولا ينفقون..." في موضعين: [الآيتان: ٥٤ و١٢١]، وقارن بين المعنيين، الفريق الأول المنافقون "وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كُسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون" [الآية: ٥٤] بينما الفريق الآخر (المؤمنون) "ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً ولا يقطعون واديًا إلا كُتِب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون" [الآية: ١٢١].

"ومن الأعراب من.."في موضعين: [الآيتان: ٩٨ و٩٩]، وقارن الفعلين، والجزاءين.

"نكثوا أيمانهم..." في موضعين: [الآيتان: ١٢ و١٣].

"و" المهاجرين والأنصار..." في موضعين: [الآيتان: ١٠٠ و١١٧].

"وهم كارهون" في موضعين: [الآيتان: ٤٨ و٥٤].

"وتزهق أنفسهم وهم كافرون" في موضعين: [الآيتان: ٥٥ و٨٥].

"أسس بنيانه على..." مرتين في آية واحدة [الآية: ١٠٩]، وقارن بين الأساسين! التقوى أم النفاق؟.

"ثم تاب عليهم..." في موضعين: [الآيتان: ١١٧ و١١٨].

"قاتلوا الذين..." في موضعين: [الآيتان: ٢٩ و١٢٣ مرة في حق المشركين من أهل الكتاب، ومرة في حق الكفار.

"كفروا بالله ورسوله" في موضعين: [الآيتان: ٨٠ و٨٤]، وأيضًا "كفروا بالله وبرسوله"[الآية: ٥٤] رغم كثرة "كفروا"، حيث وردت في القرآن ١٩٤ مرة!!!

لاحظ تكرار المعاني بألفاظ متقاربة "ثم تُردون" و"وستردون" ".. إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون" في [الآيتين: ٩٤ و١٠٥]، وقارن بين الفريقين تركيبة الجملة في

[الآية: ١٠٠] "... وأعد لهم جناتٍ تجري تحتها الأنهار" هي الوحيدة بدون "من" بينما في بقية القرآن تأتي دائمًا "تجري "من" تحتها الأنهار" في ٣٥ موضعًا، لاحظ تكرار المعاني بألفاظ متقاربة في [الآيات: ٥٤ و٥٥] مع [٨٤ و٨٥].

تركيبة الجملة "وأولئك هم المعتدون" [الآية: ١٠] هي الوحيدة بينما في بقية القرآن تأتي بألفاظ أخرى مثل "الظالمون" و"العادون" و"الغافلون".

تركيبة الجملة "ورضوان من الله "أكبر"" [الآية: ٧٢] مقارنة بآية آل عمران [الآية: ١٥] "ورضوان من الله".

تركيبة الجملة: "ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون" [الآية: ٣٢] هي الوحيدة في القرآن، بينما في الصف [الآية ٨] "والله متم نوره ولوكره الكافرون".

تأمل تكرار معنى "الاستمتاع بالخَلاق" ثلاثة مرات في آية واحدة: [الآية: ٦٩].

يتكرر معنى أن المشركين "لا يرقبون في المؤمنين إلّاً ولا ذمة" بألفاظ متقاربة في موضعين: [الآيتان: ٨ و١٠].

يتكرر معنى "ضيق الأرض عليهم بما رحبت" بألفاظ متقاربة في موضعين: [الآيتان: ٢٥ و١١٨].

العقيدة: السورة كلها تدور حول عقيدة الولاء لله ورسوله وللمؤمنين، والبراءة من أعداء الدين، من المشركين والمنافقين.

تأمل الآيات [٣٠ و٣١] "وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون" "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً سبحانه عما يشركون".

القصص:

ومنه الآية [٧٠] قصص بعض الأمم السابقة وهلاكهم؛ بسبب تكذيب الرسل، وكذلك الآية [١١٤] التي تقص الجزء من قصة إبراهيم – عليه السلام – المتعلق ببراءته من أبيه بسبب كفره "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عدولله تبرأ منه إن إبراهيم لأواهٌ حليم" متعلقًا بموضوع السورة، وبالآية التي قبلها مباشرةً "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولوكانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم" [الآية: ١١٣].

الأمثال: [الآية: ٦٩]، وهي تمثيل لحال المنافقين والمشركين بالأمم السابقة، من المكذبين الذين كانوا أشد قوةً، وأكثر أموالًا وأولادًا، واستمتعوا بالملذات والشهوات، وخاضوا في الباطل؛ فخسروا الدنيا والآخرة.

المقارنات والمقابلات: كثيرة ومنها:

[الآية: ٣٧] "يحلونه عاما ويحرمونه عاما" وكأنهم يستهزؤون بربهم.

و[الآية: ٤١] "انفروا خفافا وثقالا.." في وجوب الجهاد على المؤمنين جميعًا.

و[الآية: ٤٤] مع [الآية: ٤٥]، والكلام عمن يستأذن هربًا وجبنًا.

و[الآية: ٥٠] "إن تصبك حسنةٌ تسؤهم وإن تصبك مصيبةٌ يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون" وهذا دأب المنافقين مع المؤمنين في كل عصر.

و[الآية: ٥٣] "قل أنفقوا طوعا أوكرها لن يُتقبل منكم.." بسبب فسقهم ونفاقهم.

وقارن بين [الآيتين: ٦٧ و٦٨] من صفات المنافقين وجزائهم مع [الآيتين: ٧١ و٧٢] من صفات المؤمنين وجزائهم.

وقارن [الآيتين: ٨٦ و٨٧] مقابل [الآيتين: ٨٨ و٨٩] في المقابلة بين القاعدين عن الجهاد، وبين المؤمنين الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم.

وتأمل الآيات [من٩١ إلى ٩٤] وقارن بين الحالتين!

آيات محورية: ومنها:

- [الآية: ٢٤] "قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكنُ ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين" واضحة الارتباط بمحور السورة بالبراءة من كل ما يمنع عن موالاة الله ورسوله، والجهاد في سبيل الله.

- و[الآيتان: ٣٢ و٣٣] "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون.. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون"

-و[الآية: ٣٨] في الحث على الجهاد "يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل" وما يترتب على ذلك في الآية التالية [٣٩] "إلّا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير".

- و[الآية: ٤١] "انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون" لم تدع عذرًا.

-و[الآية: ٥١] "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هومولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون" قاعدة جليلة في الثبات والتوكل.

-و[الآيات: ٦٤ و٦٥ و٦٦] في الوعيد الشديد لمن يستهزئ بشيءٍ من دين الله "يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرجٌ ما تحذرون.. ولئن سألتهم ليقولُن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون.. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعفُ عن طائفةٍ منكم نعذب طائفةً بأنهم كانوا مجرمين".

-و[الآية: ١١١] من أكثر الآيات التي تهز القلوب شوقاً إلى الجهاد في سبيل الله "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم".

- و[الآية: ١١٨] وأرجو مراجعة القصة بالتفصيل من حديث كعب بن مالك – رضي الله عنه عنه – في كتب التفسير، ونلاحظ أن الآية نزلت في شأن ثلاثة من الصحابة – رضي الله عنهم – الذين تخلفوا دون عذر عن الخروج للقتال في غزوة تبوك، والتي كان عدد جيش المسلمين فيها – كما تقول كتب السيرة – حوالي ثلاثين ألفًا! أي أنهم يمثلون فقط واحدًا من بين كل عشرة آلاف، ومع ذلك سأل النبي عن تخلفهم، وعاقبهم، ونزل في شأنهم قرآن يتلى إلى يوم الدين، فتأمل وتدبر!

-و[الآيتان: ١٢٨ و١٢٩] آخر آيتين عن منة الله تعالى على المؤمنين "لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هوعليه توكلت وهورب العرش العظيم".

سورة يونس

التسمية: سُمِّيَت بهذا الاسم حيث ذكرت صفة خاصة بقوم يونس – عليه السلام – لم تحدث في الأمم السابقة، حيث آمنوا بعد أن توعدهم نبيهم بنزول العذاب، فعفا الله عنهم "فلولا كانت قريةٌ آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين" [الآية: ٩٨]، وكأن أحد دروسها الأساسية "آمنوا، وسارعوا بالتوبة، واتباع الحق قبل أن يفوت الأوان، فيحل بكم العذاب"، ومصداقًا لذلك نجد الكلام عن فرعون، حين أدركه الغرق: "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوإسرائيل وأنا من المسلمين" [الآية: ٩٠]، فكان الرد الصاعق، أن قد فات الأوان "ءآلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين"[الآية: ٩١]، وتأمل كذلك [الآية: ١٠٣] عن تنجية المؤمنين "ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجِ المؤمنين".

المحاور الرئيسية: سورة مكية، تعنى بأمر العقيدة والدعوة إلى دين الله بالترغيب، وتناقش بالأدلة حقائق التوحيد، والوحي، والنبوة، والإيمان باليوم الآخر، والقدر؛ ولذا يتكرر فيها كثيرًا معنى "الحق" ٢٣ مرة، فمثلًا "فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون"[الآية: ٣٢]، وكذلك "قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحقُّ أن يُتبع أم من لا يَهدِّي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون"[الآية: ٣٥]، وكذلك "ويستنبئونك أحقٌّ هوقل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين" [الآية: ٥٣]، وكذلك في الآية [٩٤] "لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" ثم في الختام تأتي "قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم..." [الآية: ١٠٨]، ويتكرر فيها إثبات الوحي والنبوة، كما في الآيات [١ و٢ و١٥ – ١٧ و٣٧ – ٤١ و٥٧ – ٥٨ و٩٤ – ٩٧ و١٠٨ – ١٠٩].

ويتكرر فيها كذلك معنى حكمة الله وتدبيره، فتأمل أول آية [١ و٣]، وحتى آخر آية [١٠٩]،

ويتكرر فيها القدر، ومعنى أن الضر والنفع بيد الله، في الآيات: [١٢ و١٨ و٢١ و٤٩ و١٠٦ و١٠٧].

للماء في السورة شأن، فتأمل الآيات من [٢٢ إلى ٢٤]، والقصص في السورة يعرض هلاك قوم نوح – عليه السلام – بالإغراق بالماء، وهلاك فرعون بالغرق بالماء، ثم نجاة قوم يونس – عليه السلام – الذي التقمه الحوت في الماء.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: لم أقف على ألفاظ وحيدة في بابها، والألفاظ الآتية انفردت بها السورة، بنصها دون جذرها:

"يعجِّل"، و"استعجالهم" في [الآية: ١١].

"ءآلآن" وتأملها في موضعين، وعلاقتها بموضوع السورة، في الآيتين: [٥١ و٩١]

"إِي" [الآية: ٥٣].

"تذكيري"[الآية: ٧١].

"الساحرون" [الآية: ٧٧].

"لتلفتنا"[الآية: ٧٨].

"أدركه" [الآية: ٩٠].

"ببدنك" [الآية: ٩٢].

"ينفعك" و"يضرك" في [الآية: ١٠٦].

تركيبات لغوية خاصة

"ءآلآن وقد..." في موضعين: [الآيتان: ٥١ و٩١]، وتأمل معنى فوات أوان التوبة، وهو المعنى الواضح كذلك في [الآيتين: ٤٥ و٤٩].

"و" قُضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون"، في موضعين: [الآيتان: ٤٧ و٥٤].

"وما يتبع..." في موضعين: [الآيتان: ٣٦ و٦٦]، وتأمل المعنى فالمشركون لا يتبعون إلا الظنون والأوهام.

"ومنهم من يستمعون إليك.." [الآية: ٤٢]، بينما في [الأنعام: ٢٥]، و[محمد: ١٦] "يستمع"

"فيما فيه يختلفون" [الآية: ١٩]، بينما في [الزمر: ٣] "فيما هم فيه يختلفون"، وفي [البقرة: ٨٣]، و[يونس: ٩٣]، و[النحل: ١٢٤]، و[السجدة: ٢٥]، و[الزمر: ٤٦]، و[الجاثية: ١٧] "فيما كانوا فيه يختلفون".

"إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض..." [الآية: ٦] مختلفة في الترتيب مع [البقرة: ١٦٤]، و[آل عمران: ١٩٠] "إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار...".

"وإذا مس الإنسانَ الضرُّ دعانا..." [الآية: ١٢]، بينما في الزمر "ضر" في [الآيتين: ٨ و٤٩].

"فما اختلفوا حتى جاءهم العلم" [الآية: ٩٣] بينما في [الجاثية: ١٧] "فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم".

"وآخِر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين" [الآية: ١٠] كلمة "آخِر" هنا الوحيدة بدون "ال"، بينما "الآخِر" وردت في القرآن ٢٨ مرة.

العقيدة: أثبتت أصول العقيدة الكبرى، كالإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتب، والرسل، والقدر.

تأمل الآيات [من ٣١ إلى ٣٥] "قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون.. فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون.. كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون.. قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم

يعيده فأنى تؤفكون.. قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتبع أم من لا يهدّي إلا إن يُهدى فما لكم كيف تحكمون".

وانظر [الآية: ٦٨] "قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هوالغني له ما في السماوات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون".

القصص: كما في الآيات

[١٣] واضحة الصلة بإهلاك المكذبين "ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لمّا ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين".

[من ٧١ إلى ٩٣] الآيات تقص طرفًا من قصص نوح وموسى – عليهما السلام؛

– فأما قصة نوح – عليه السلام – فتركز على جانب له علاقة واضحة بموضوع السورة "فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين" [الآية: ٧٣] فالنجاة للمؤمنين، والهلاك للمكذبين.

– وأما قصة موسى – عليه السلام – ففيها عدة نقاط، نلاحظ منها نفي السحر عنه في الآيات [٧٦ و٧٧ و٨١] كما نفته الآيات في بداية السورة عن نبينا – صلى الله عليه وسلم – "... قال الكافرون إن هذا لساحرٌ مبين" [الآية: ٢]، وتأمل ذكر الحق "ويحق الله الحق بكلماته ولوكره المجرمون" [الآية: ٨٢]، والدعاء بالنجاة "ونجنا برحمتك من القوم الكافرين" [الآية: ٨٦]، ثم أهمية إقامة الصلاة ولوسرًّا، برغم إجرام فرعون وملئه، وتربصهم [الآية: ٨٧]، ثم دعاء موسى – عليه السلام – وثيق الصلة بمحور السورة "وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينةً وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم" [الآية: ٨٨] ثم كانت نهاية فرعون بالغرق، فلم ينفعه أن يقول بلسانه كلمة الإيمان بعد فوات الأوان "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوإسرائيل وأنا من المسلمين.. ءآلآن وقد

عصيت قبل وكنت من المفسدين" [الآيتان: ٩٠ و٩١].

- وكذلك [الآية: ٩٨] عن قوم يونس – عليه السلام – الذين آمنوا فنجاهم الله.

الأمثال:

-تأمل [الآية: ٢٤] "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّيّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أونهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس كذلك نفصل الآيات لقومٍ يتفكرون" فسارع بتوبةٍ قبل الهلاك!

المقارنات والمقابلات: كثيرة، وكأنها سمة تعبيرية للسورة، ومنها:

- [الآية: ٤] "إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شرابٌ من حميمٍ وعذابٌ أليمٌ بما كانوا يكفرون".

- [الآية: ٦] "إن في اختلاف الليل والنهار..".

قارن [٧ و٨] "إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون.. أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون" في مقابل [الآية: ٩] "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم".

[الآية: ١١] "ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقُضي إليهم أجلهم..".

[الآية: ١٨] "ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم..".

[الآية: ٢١] "وإذا أذقنا الناس رحمةً من بعد ضراء مستهم...".

[الآيتان: ٢٦، ٢٧] "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوهَهم قترٌ ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون" [الآية: ٢٦] في مقابل [الآية: ٢٧] " والذين كسبوا السيئاتِ جزاءُ سيئةٍ بمثلها وترهقهم ذِلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون".

تأمل [الآيتان: ٣١ و٣٢] "قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون.. فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون".

[الآية: ٤٩] "قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمةٍ أجل إذا جاء أجلهم فلا يستئخرون ساعةً ولا يستقدمون".

[الآية: ٥٠] "قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أونهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون".

[الآية: ٥٩] "قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون".

[الآية: ٦١] "وما تكون في شأنٍ وما تتلومنه من قرآن ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتابٍ مبين".

[الآية: ٦٤] يبشر أولياء الله في الدنيا وفي الآخرة "لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هوالفوز العظيم".

وهكذا حتى نهاية السورة [الآيتان: ١٠٧ و١٠٨] "وإن يمسسك الله بضرٍ فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخيرٍ فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهوالغفور الرحيم.. قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل".

آيات محورية: ومنها:

[الآيات: من ٢١ – ٢٤] "وإذا أذقنا الناس رحمةً من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكرٌ في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون.. هوالذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريحٍ طيبةٍ وفرحوا بها جاءتها ريحٌ عاصفٌ وجاءهم الموج من كل مكانٍ وظنوا أنهم

أُحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين.. فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون.. إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرضُ زخرفها وازّيّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أونهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس كذلك نفصل الآيات لقومٍ يتفكرون".

[الآيتان: ٣٧، ٣٨] وفيها التحدي بسورة واحدة "وما كان هذا القرآن أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين.. أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين" كما ذكرنا في مقدمة البحث.

[الآية: ٤٤] "إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون" فاطمئن.

[الآيتان: ٥٦، ٥٧] "يا أيها الناس قد جاءتكم موعظةٌ من ربكم وشفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين.. قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هوخيرٌ مما يجمعون".

[الآية: ٦٢] "ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون" فكن منهم "الذين آمنوا وكانوا يتقون"٦٣

[الآية: ٩٩] "ولوشاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين".

سورة هود

التسمية: سُمِّيَت سورة "هود" باسم نبي ورسول كريم من رسل الله أُرسل إلى قوم عمالقة "عاد" زادهم الله في الخلق بسطة، ولكنهم بدلًا من أن يشكروا نعمة الله عليهم، غرتهم قوتهم، كما جاء في سورة فصلت [الآية: ١٥] "فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هوأشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون" فواجههم نبيهم "هود" – عليه السلام – بالحق، وقيل: إن معجزته – والله أعلم – أنه واجههم بكل شجاعة، بنفسه فقط، دون معجزة مادية، ويؤيد ذلك قولهم هنا: "قالوا يا هود ما جئتنا ببينةٍ وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين " [الآية: ٥٣] وذُكر "هود" – عليه السلام – باسمه في القرآن في سبعة مواضع، منها خمسة في سورة هود!

المحاور الرئيسية: تثبيت المؤمنين.

سورة مكية تعنى بأمر العقيدة، وتدعوإلى الإيمان، وإن غلب عليها جانب الترهيب، حديث "شيبتني هود وأخواتها" ضعيف رغم شهرته، وأصح منه حديث: "شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، والتكوير"، والله أعلم، وتنتهج القصص "تثبيتًا لفؤاد النبي – صلى الله عليه وسلم – وأتباعه من بعده"، ونلاحظ أن قصص الأنبياء – عليهم السلام – فيها يُساق لتوكيد أن المهمة الأولى للنبي هي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وإفراده – سبحانه – بالعبادة فينذر النبي المكذبين بالعذاب، ويذكرهم بهلاك المكذبين من قبلهم، ويبشر المؤمنين بالنعيم، وأطول قصة في السورة هي حول نبي الله نوح – عليه السلام – ومعاناته في دعوة قومه، ما يقرب من ألف عام "وما آمن معه إلا قليل"، وتكاد دعوة كل رسول لقومه تتكرر بنفس كلماتها – كما سنرى بعد قليل – كأنه موكب متصل من الرسل في مواجهة المكذبين المعاندين.

يغلب عليها حرص الأنبياء – عليهم السلام – على هداية أقوامهم، فيتكرر النداء "يا قوم .." ست عشرة مرة [في الآيات: ٢٨ و٢٩ و٣٠ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٦١ و٦٣ و٦٤ و٧٨ و٨٤ و٨٥ و٨٨

و٨٩ و٩٢ و٩٣]، وهي أكثر سورة في القرآن يتكرر فيها هذا النداء "يا قوم...".

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها.

"تزدري" [الآية: ٣١].

"ابلعي" [الآية: ٤٤].

"حنيذ" [الآية: ٦٩].

مادة "ر ف د" كلها "الرِّفد"، و"المرفود" [الآية: ٩٩].

مادة "س ع د" كلها "سعيد" [الآية: ١٠٥]، و"سُعدوا" [الآية: ١٠٨]، وتأمل المعنى، فالسعيد حقاً من فاز بالجنة!

تركيبات لغوية خاصة:

يغلب على القصص في هذه السورة طابع تقديم ذكر نجاة المؤمنين، قبل ذكر هلاك المكذبين – بعكس سورة الأعراف مثلاً – فتكرر المقطع في سياق النجاة "والذين آمنوا معه برحمة منا" في ثلاثة مواضع:

[الآية: ٥٨] "ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ونجيناهم من عذاب غليظ".

و[الآية: ٦٦] "فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا ومن خزي يومئذ إن ربك هوالقوي العزيز".

و[الآية: ٩٤] "ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين".

"من دون الله من أولياء" في موضعين: [الآيتان: ٢٠ و١١٣].

"ثم توبوا إليه إن ربي..." في موضعين: [الآيتان: ٦١ و٩٠].

"جاء أمر ربك" في موضعين: [الآيتان: ٧٦ و١٠١].

"إن ربي على..." في موضعين: [الآيتان: ٥٦ و٥٧].

"قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي...." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٢٨ و٦٣ و٨٨].

"كأن لم يغنوا فيها" في موضعين: [الآيتان: ٦٨ و٩٥].

"من دون الله من أولياء.." في موضعين: [الآيتان: ٢٠ و١١٣].

"ونادى نوح..." في موضعين: [الآيتان: ٤٢ و٤٥].

"..من ينصرني من الله إن.." و".. فمن ينصرني من الله إن... " في موضعين: [الآيتان: ٣٠ و٦٣].

"فلا تك في مريةٍ..." في موضعين: [الآيتان: ١٧ و١٠٩]، بينما في السجدة [الآية: ٢٣] "فلا تكن في مرية..".

"خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك..." في موضعين: [الآيتان: ١٠٧ و١٠٨].

تأمل تراكيب الآيات [٦٠ و٦٨ و٩٥] "ألا بُعداً ل...".

تأمل تراكيب الآيات : [الآية: ٦٢] "أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا..." و[الآية: ٨٧] "أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا..." و[الآية: ١٠٩] "... إلا كما يعبد آباؤهم من قبل..." وجميع الآيات بدون "كان"، وكأنهم سلالة واحدة من المكذبين، لا فرق بين قوم وقوم.

تأمل تكرار المعنى "استغفروا ربكم ثم توبوا إليه" في الآيات: [٣ و٥٢ و٦١ و٩٠].

تأمل [الآية: ٧] "وهوالذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام "وكان عرشه على الماء"..."، ولم يرد هذا المعنى إلا في سورة هود.

"لا جرم أنهم في الآخرة هم "الأخسرون"" [الآية: ٢٢]، بينما في [النحل: ١٠٩] "لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون".

سياق النفي والنهي والقصر مميز في السورة، وكذلك الاستثناء بـ "إلا"، و"غير"، فيكثر فيها أسلوب القصر بـ"ما، وإلا"، ومثلها "إنْ، وإلا"، فمثلاً:

- [الآية: ٢] ""ألّا" تعبدوا "إلا" الله..".

[الآية: ٦] وما" من دابةٍ في الأرض "إلا" على الله رزقها..".

[الآية: ٧] " ليقولن الذين كفروا "إن" هذا "إلا" سحرٌ مبين".

[الآية: ٨] نفي ".. ألا يوم يأتيهم "ليس" مصروفاً عنهم..".

[الآية: ١٤] " وأن "لا" إله "إلا" هو..".

[الآية: ١٥] "وهم فيها "لا" يبخسون".

[الآية: ١٦] "أولئك الذين "ليس" لهم في الآخرة "إلا" النار..".

[الآية: ١٧] "فلا" تك في مريةٍ منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس "لا" يؤمنون".

[الآية: ٢٠] "أولئك "لم" يكونوا معجزين في الأرض "وما" كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب "ما" كانوا يستطيعون السمع "وما" كانوا يبصرون".

– وقول نوح – عليه السلام – "أن "لا" تعبدوا "إلا" الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم" [الآية: ٢٦].

[الآية: ٢٧] "فقال الملأ الذين كفروا من قومه "ما" نراك "إلا" بشراً مثلنا "وما" نراك اتبعك "إلا" الذين هم أراذلنا بادي الرأي "وما" نرى لكم علينا من فضلٍ بل نظنكم كاذبين".

الآيات: [٢٧– ٢٩ – ٣٤] "ويا قوم "لا" أسئلكم عليه مالاً إن أجري "إلا" على الله "وما" أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون.. ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم "أفلا" تذكرون.. "ولا" أقول لكم عندي خزائن الله "ولا" أعلم الغيب "ولا" أقول إني ملَك "ولا" أقول للذين تزدري أعينكم "لن" يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين.. قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين.. قال "إنما" يأتيكم به الله إن شاء "وما" أنتم بمعجزين "ولا" ينفعكم نصحي..".

[الآيتان: ٣٦–٣٧] "وأوحي إلى نوح أنه "لن" يؤمن من قومك "إلا" من قد آمن "فلا" تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا "ولا" تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون".

[الآية: ٤٠] "وما" آمن معه "إلا" قليل".

[الآية: ٤٢] "يا بني اركب معنا "ولا" تكن مع الكافرين".

[الآية: ٤٣]"قال "لا" عاصم اليوم من أمر الله "إلا" من رحم".

[الآيتان: ٤٦، ٤٧] "قال يا نوح إنه "ليس" من أهلك إنه عملٌ "غير" صالح "فلا" تسئلن ما "ليس" لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين.. قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما "ليس" لي به علم.

"وإلّا" تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين".

-[الآية: ٤٩] "تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك "ما" كنت تعلمها أنت "ولا" قومك من قبل هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين".

- ومع نبي الله هود – عليه السلام – "وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله "ما" لكم من إلهٍ "غيره" "إن" أنتم إلا مفترون" والأمر متكرر في الآيات [من٥٠إلى ٥٧].

-ومع صالح – عليه السلام – "قال يا قوم اعبدوا الله "ما" لكم من إله "غيره"" [الآية ٦١] وانظر [الآيتان: ٦٣ و٦٤]، وتأمل [الآية: ٦٥] "ذلك وعدٌ "غير" مكذوب" فلم يقل مثلاً وعد صادق!! و[الآية: ٦٧].

- ومع إبراهيم – عليه السلام – ""فما" لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ" [الآية: ٦٩]، وكذلك في [الآيتين: ٧٠ و٧٦].

- ومع لوط – عليه السلام – "فاتقوا الله "ولا" تخزون في ضيفي "أليس" منكم رجل رشيد.. قالوا لقد علمت "ما" لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد"[الآيتان: ٧٨ – ٧٩].

- وتأمل سياق [الآية: ٨١] "قالوا يا لوط إنا رسل ربك "لن" يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل "ولا" يلتفت منكم أحدٌ "إلا" امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح "أليس" الصبح بقريب".

- الإمطار بالحجارة ""وما" هي من الظالمين ببعيد" [الآية ٨٣].

-ثم مع شعيب - عليه السلام - [الآية: ٨٤] "وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله "ما" لكم من إلهٍ "غيره" "ولا تنقصوا" المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط".

ويتكرر الأمر في الآيات: [٨٦ و٨٨ و٨٩ و٩١].

- "وما" أمرُ فرعون برشيد" [الآية: ٩٧].

-"وما" ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم "فما" أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لمّا جاء أمر ربك "وما" زادوهم "غير" تتبيب" [الآية: ١٠١].

-"وما" نؤخره "إلا" لأجلٍ معدود.. يوم يأتِ "لا" تكلم نفس "إلا" بإذنه فمنهم شقيٌ وسعيد.. فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق.. خالدين فيها ما دامت السموات والأرض "إلا" ما شاء ربك إن ربك فعّال لما يريد.. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض "إلا" ما شاء ربك عطاءً "غير" مجذوذ.. "فلا" تك في مرية مما يعبد هؤلاء "ما" يعبدون "إلا" كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم "غير" منقوص" [الآية: ١٠٩] فلم يقل مثلاً "وإنا لموفوهم نصيبهم كاملاً"!

[الآية: ١١٢] "ولا" تطغوا".

[الآية: ١١٣] "ولا" تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار "وما" لكم من دون الله من أولياء ثم "لا" تنصرون".

- و[الآية: ١١٥] "واصبر فإن الله "لا" يضيع أجر المحسنين".

[الآية: ١١٧] "وما" كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون".

[الآيتان: ١١٨، ١١٩] و""ولا" يزالون مختلفين.. "إلا" من رحم ربك".

[الآية: ١٢١] "وقل للذين "لا" يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون" فلم يقل مثلًا: "وقل للذين كفروا".

-وختام السورة [الآية: ١٢٣] "ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه "وما" ربك بغافلٍ عما تعملون" وكأن "النهي والنفي والاستثناء" يطبع السورة بكاملها ويعطيها شخصيتها المستقلة!!!

العقيدة: السورة كلها في إطار تثبيت العقيدة والإيمان عن طريق القصص.

القصص: السورة كلها تستعرض قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، ثم موسى - عليهم السلام -.

الأمثال: تأمل [الآية: ٢٤] "مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون".

المقارنات والمقابلات: ومنها:

الآية السابقة [٢٤] "مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون".

[الآيات: ١٠٥ إلى ١٠٨] "يوم يأتِ لا تكلم نفسٌ إلا بإذنه فمنهم فمنهم شقيٌ وسعيد.. فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق.. خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعالٌ لما يريد.. وأما الذين سُعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاءً غير مجذوذ" وورد في تفسير "إلا ما شاء ربك" للسعداء تفسيرات كثيرة لكن ينبغي أولاً أن نوقن أن أهل الجنة في نعيم دائم لا يخرجون منها أبداً قال تعالى "لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين" [الحجر: ٤٨] أما أقوال المفسرين:

فقال بعضهم: أنها فيمن أخرج من النار ثم أدخل الجنة، أو أنه زيادة على مدة دوام السماوات والأرض، أو هي مدة البرزخ، أو البقاء في الدنيا، أو ليعلم أهل الجنة أن خلودهم فيها بمشيئة الله وفضله، لا بأعمالهم، أوتقواهم.

وقال بعضهم: مشيئته – سبحانه – بقاؤهم في الجنة، والدليل قوله بعدها مباشرةً "عطاءً غير مجذوذ" أي: غير مقطوع، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

[الآية: ١١٤] "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين".

آيات محورية:

-[الآية: ١٨] ".. ألا لعنة الله على الظالمين" فاللهم العنهم.

- [الآية: ٣٨] "مسومةً عند ربك "وما هي من الظالمين ببعيد"" فتيقن بإهلاكهم ولوبعد حين!

- [الآية: ١١٢] "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير" قيل أنها ومثيلاتها السبب في الحديث "شيبتني هود و....".

-[الآية: ١٢٠] تكاد تلخص موضوع السورة التي نزلت بعد وفاة خديجة رضي الله عنها تسريةً للنبي – صلى الله عليه وسلم – وتثبيتًا لقلبه "وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين".

سورة يوسف

التسمية: سُمِّيَت باسم نبي كريم – بل هوأكرم الناس كما في الحديث الصحيح، قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم" – حيث اشتملت على ذكر قصته – عليه السلام – التي لم يتكرر ذكر تفاصيلها في سور القرآن الأخرى، إلا فقط بالاسم، مع لمحة سريعة في سورة غافر في [الآية: ٣٤] "ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به...".

المحاور الرئيسية: السورة من أولها إلى آخرها تكاد تقتصر على تفاصيل قصة سيدنا يوسف – عليه السلام – "أحسن القصص"، وتؤكد معنى الصبر على الشدائد والمكاره، وعدم اليأس أبدًا من رحمة الله، وثبات المؤمن على مواقفه في حالي الشدة والرخاء، فلا تبطره النعمة، ولا تيأسه الشدة، ألقاه إخوته في الجب حسدًا، فنشأ في قصر العزيز، وأُدخل السجن بتهمة باطلة، فأُخرج منه؛ ليمكن له في الأرض، ويتولى أعلى المناصب، وهو في جميع أحواله "من المحسنين"، فكأن درسها الرئيسي "لا تيأسوا من رحمة الله أبدًا" لا يقرأها مهموم إلا زال همه.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها، ونلاحظ كثرتها اللافتة، لدرجة تجعلنا نزعم بحق أنها نموذج لما أوردنا في المقدمة، وكأنها مشتقة من "لغة" أخرى يستحيل على البشر أن يأتوا في قصة واحدة من إبداعهم بكل هذه المفردات ولا يستخدموها في بقية إبداعاتهم الأدبية أوالروائية "أفلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً" [النساء: ٨٢]، فتأمل وتدبر:

"اطرحوه" [الآية: ٩].

"الجب" [الآية: ١٠].

"يرتع" [الآية: ١٢].

"الذئب"[الآيات: ١٣ و١٤ و١٧].

"قميصه"[الآية: ١٨]، والمادة كلها "ق م ص"، وردت فقط في سورة يوسف: "قميصه" [الآيات: ٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨].

"بقميصي"[الآية: ٩٣].

"دراهم" [الآية: ٢٠].

"الزاهدين" [الآية: ٢٠].

"غلقت" [الآية: ٢٣].

"هيت" [الآية: ٢٣].

"شغفها" [الآية: ٣٠].

"حاش" [الآيتان: ٣١، ٥١].

"خبزا" [الآية: ٣٦].

"عجاف" [الآية: ٤٣].

"حصحص" [الآية: ٥١].

مادة "جهز" كلها وردت في [الآيتين: ٥٩ و٧٠] "جهزهم بجهازهم".

"نمير" [الآية: ٦٥].

"بعير" [الآية: ٦٥].

"العير" [الآيات: ٧٠ و٨٢ و٩٤].

"صواع" [الآية: ٧٢].

"تفتؤ" [الآية: ٨٥].

"تثريب" [الآية: ٩٢].

"تفندون" [الآية: ٩٤].

تركيبات لغوية خاصة:

تنفرد سورة يوسف بمفردات خاصة، فمثلا: التعبير بـ"العزيز"، و"الملك"، وليس "فرعون" لمن يحكم مصر، وكذلك كلمة "السيد"، وليس "الزوج"، أو"البعل"، عند ذكر زوج امرأة العزيز.

"في غيابت الجب" في موضعين: [الآيتان: ١٠ و١٥].

"لقد كان في..." في موضعين: [الآيتان: ٧ و١١١].

". ..ونحن عصبة" في موضعين: [الآيتان: ٨ و١٤].

"وكذلك مكنا ليوسف في الأرض..." في موضعين: [الآيتان: ٢١ و٥٦].

"وقال الملك" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٤٣ و٥٠ و٥٤]، منها"وقال الملك ائتوني به" في موضعين: [الآيتان: ٥٠ و٥٤].

معنى تعليم يوسف – عليه السلام – "من تأويل الأحاديث" في ثلاثة مواضع:[الآيات: ٦ و٢١ و١٠١].

"وهوأرحم الراحمين" في موضعين: [الآيتان: ٦٤ و٩٢].

"مَوثِقاً من الله" في موضعين: [الآيتان: ٦٦ و٨٠].

"إلا قليلاً مما" في موضعين: [الآيتان: ٤٧ و٤٨].

"ثم يأتي من بعد ذلك....." في موضعين: [الآيتان: ٤٨ و٤٩].

"قالوا يا أبانا..." في خمسة مواضع: [الآيات: ١١ و١٧ و٦٣ و٦٥ و٩٧].

"قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل..." في موضعين:[الآيتان: ١٨ و٨٢].

"قالوا تالله.." في أربعة مواضع: [الآيات: ٧٣ و٨٥ و٩١ و٩٥].

"ولما جهزهم بجهازهم..." و"فلما جهزهم بجهازهم" في موضعين:[الآيات: ٥٩ و٧٠].

" ...إنا نراك من المحسنين" في موضعين: [الآيتان: ٣٦ و٧٨] في السجن أولًا، ثم بعد أن صار إلى العز والتمكين، فهو محسن في كل أحواله – عليه السلام –.

"و" إن كان قميصه قُدّ من...." في موضعين: [الآيتان: ٢٦ و٢٧].

تأمل: لم ترد الصيغة: "إنه هوالعليم الحكيم" إلا في سورة يوسف؛ في موضعين: [الآيتان: ٨٣ و١٠٠] رغم كثرة "عليم حكيم" و"العليم الحكيم".

"آوى إليه..." في موضعين:[الآيتان: ٦٩ و٩٩].

" ...راودته عن نفسه" في موضعين: [الآيتان: ٣٢ و٥١]، ومعنى المراودة عن النفس لم يرد إلا في سورة يوسف حيث ورد كذلك في الآيات: [٢٣ و٢٦ و٣٠ و٥١]، ومراودة الأب عن ولده في [الآية: ٦١]، بينما في سورة القمر [الآية: ٣٧] وردت المراودة عن ضيفه.

"و" قلن حاش لله..." في موضعين: [الآيتان: ٣١ و٥١].

"قال معاذ الله" في موضعين: [الآيتان: ٢٣ و٧٩].

"سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات" وردت بالنص مع اختلاف التشكيل في موضعين: [الآيتان: ٤٣ و٤٦].

"يا صاحبي السجن" في موضعين: [الآيتان: ٣٩ و٤١].

"علمتم ما.." في موضعين: [الآيتان: ٧٣ و٨٩] "جوالسورة واهتمام بأدق التفاصيل"!!!

"عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون" [الآية: ٦٧]، بينما في إبراهيم [الآية: ١٢] "وعلى الله فليتوكل المتوكلون".

في [الزمر: ٣٨] "عليه يتوكل المتوكلون".

تأمل: صيغة "ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين"[الآية: ٢٢]، بينما في القصص والكلام عن سيدنا موسى – عليه السلام – "ولما بلغ أشده واستوى..." [الآية: ١٤]

أكثر سورة ورد فيها مادة "ي أ س" هي سورة يوسف في أربعة مواضع من مجموع ثلاث عشرة مرة في القرآن كله، فوردت في [الآية: ٨٠] "فلما استيأسوا منه خلصوا نجيًّا"، وكذلك في الآية ٨٧ مرتين "يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح

الله إلا القوم الكافرون" و[الآية: ١١٠] "حتى إذا استيأس الرسل.."، وقصة يوسف كلها دعوة للأمل، وعدم اليأس أبدًا، مهما حدث، ولم يرد معنى"الاستيئاس" إلا في السورة في الآيتين: [الآيتان: ٨٠ و ١١٠].

- تنفرد السورة بذكر "تأويل الأحاديث والرؤى والأحلام" كثيرًا كما في [الآيات: ٤ و٥ و٦ و٢١ و٤٣ إلى ٤٩ و١٠٠ و١٠١] "رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطرَ السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين" وانظر إلى خشوعه وتأدبه مع ربه في دعائه وهومن أكرم أنبيائه قال "وألحقني بالصالحين" وكأن مواكب الصالحين سبقته وهو يريد اللحاق بهم!

تأمل المعنى: عندما كلم يوسف عن إخوته نسب العداوة للشيطان "إن الشيطان للإنسان عدو مبين" [الآية: ٥]، فلم ينسب العداوة لإخوته؛ كي لا يوغر صدره عليهم، بينما عندما كلمهم هم عن خطئهم في حق أخيهم نسب المسألة لأنفسهم مرتين "قال بل سولت لكم أنفسكم أمرًا..." [الآيتان: ١٨ و٨٢].

تأمل سياق الآية [٣٢]، في التوكيد "قالت فذلكن الذي لُمْتُنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليُسجننَّ وليكوناً من الصاغرين" أكدت "ليسجننَّ" بالنون المشددة وأكدت "وليكونا" بنون غير مشددة، وهي أضعف في التوكيد، قالوا: لأنها علمت أنها تستطيع أن تسجنه بمكرها، ولكنه بأخلاقه لن يكون من الصاغرين! والله أعلم.

تأمل الفارق بين قولهم لأبيهم "وما أنت بمؤمن لنا "ولو" كنا صادقين"[الآية: ١٧] بصيغة التمريض وبين قولهم "واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها "وإنّا" لصادقون" [الآية: ٨٣] بالتوكيد بالنون واللام؛ يكاد المريب يقول خذوني!

نلاحظ كثرة مادة "س ج ن" حيث وردت في سورة يوسف في الآيات [٢٥ و٣٢ و٣٣ و٣٥ و٣٦ و٣٩ و٤١ و٤٢ و١٠٠] أي تسعة مواضع من بين ١٢ موضعًا في القرآن كله.

العقيدة: السورة مكية، تدور حول اليقين بنصر الله، وتمكينه لعباده المؤمنين، وعدم اليأس أبدًا من رحمة الله.

القصص:

قال تعالى: "نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين" [الآية: ٣]، والسورة كلها مثال للقصص القرآني الرفيع في أسلوبه وإحكامه وأهدافه.

الأمثال:

المقابلات والمقارنات: مثلما في الآيتان [٢٦ و٢٧] "قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهومن الكاذبين.. وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين".

آيات محورية: ومنها:

"لقد كان في يوسف وإخوته آياتٌ للسائلين" [الآية: ٧]، وكم في السورة من دروس وعبر " ...والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون" [الآية: ٢١] فتيقن بنصره لعباده المؤمنين. [الآية: ٨٧] "يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله "إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون""، والمعنى من أهم محاور السورة كما ذكرنا قاعدتان "وما أكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين" [الآية: ١٠٣]، و"وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون" [الآية: ١٠٦] فاحذر الشرك ظاهرًا وخفيًّا.

سورة الرعد

التسمية : سُمِّيَت السورة باسم "الرعد" لانفراد السورة بذكر تسبيح الرعد لله تعالى "ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المِحال" [الآية: ١٣].

المحاور الرئيسة: الحق قوي غالب، حتى وإن ضعف بعض الوقت وتوارى، والمؤمنون لهم عقبى الدار، وأما الباطل فضعيف مهزوم كالزّبَد، حتى وإن طفا وظهر على السطح، والمكذبون لهم سوء الحساب، في إطار رائع مبهر، يجمع الوصف فيه بين التفكر في كتاب الله المقروء، وكتابه الكوني المنظور ".. فأما الزَّبَدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال" [الآية: ١٧]، والطمأنينة والأمن القلبي ثمرة ذكر الله "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" [الآية: ٢٨].

واستخدام أسلوب المقابلات سمة واضحة في السورة: "وبضدها تتميز الأشياء" بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين ما تغيض الأرحام وما تزداد، وبين من أسرَّ القول ومن جهر به، وبين من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، وبين السجود طوعًا وكرهًا بالغدوأوالآصال، وبين النفع والضر، وبين الأعمى والبصير، وبين الظلمات والنور، وبين الزبد وما ينفع الناس، وبين من له "سوء الحساب" ومن له "عقبى الدار"، وغير ذلك من المقابلات التي تحفل بها السورة بشكل ملحوظ، يعطي للسورة شخصيتها المستقلة المميزة، وكأنها مشتقة من لغة أخرى!

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة الباب:

"صِنوان" وردت مرتين في [الآية: ٤].

"المِحال" [الآية: ١٣].

"جُفاءً" [الآية: ١٧].

مادة "ز ب د" وردت ثلاث مرات في القرآن كله وجميعها في آية واحدة ١٧ من سورة الرعد "أنزل

من السماء ماءً فسالت أوديةٌ بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حليةٍ أومتاعٍ زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال"، ومعنى الآية هو أحد محاور السورة الرئيسية، كما ذكرنا، والله أعلم.

تركيبات لغوية خاصة:

تركيبة "وإنّ ربك لشديد العقاب"[الآية: ٦] هي الوحيدة في القرآن كله بالتوكيد بإنَّ واللام، وبذكر كلمة "ربك"، رغم تكرار المعنى في القرآن بصيغ أخرى، وورد في الأعراف: "إن ربك لسريع العقاب.." [الآية: ١٦٧].

– وأيضًا في [الآية: ٦] "وإن ربك لذومغفرةٍ للناس على ظلمهم.." بينما في سورة فصلت [الآية: ٤٣] "إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم".

"من ربك الحق" في موضعين:[الآيتان: ١ و١٩].

تركيبة "سوء الحساب" لم ترد إلا في سورة الرعد في موضعين:[الآيتان: ١٨ و٢١].

"ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه.." في موضعين: [الآيتان: ٧ و٢٧].

تركيبة "عُقبى الدار" لم ترد إلا في سورة الرعد في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٢٢ و٢٤ و٤٢]، ونلاحظ أن كلمة "عُقبى" لم ترد إلا في سورة الرعد، ووردت خمس مرات في الآيات: [٢٢ و٢٤ و٣٥] "مرتين" و٤٢ وكذلك كلمة "معقبات" لم ترد إلا في سورة الرعد [الآية: ١١]، وكذلك "معقب" [الآية: ٤١].

تركيبة [الآية: ٣٦] "قل إنما أمرت أن..." هي الوحيدة بينما في [الزمر: ١١]، و[الأنعام: ١٤] "قل إني أمرت أن.." بينما في [النمل: ٩١] "إنما أمرت" بدون "قل".

"حكماً عربياً" [الآية: ٣٧] لم ترد إلا في سورة الرعد بينما وردت "قرآناً عربياً" في [يوسف: ٢]، و[طه: ١١٣] و[الزمر: ٢٨]، و[فصلت: ٣]، و[الشورى: ٧]، و[الزخرف: ٣].

وردت كلمة "ميثاق" في القرآن كله ١٠ مرات بدون ألف ولام، ولكن "الميثاق" بنصها وردت فقط في سورة الرعد ٢٠ "الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق" وهي آخر المواضع ذكرًا اسم الله تبارك وتعالى "المُتعال" لم يرد إلا في [سورة الرعد: ٩].

العقيدة: السورة كلها في إطار تثبيت العقيدة، وإثبات الوحدانية لله تعالى، وحقيقة الوحي والرسالة، وقدرة الله تعالى، ونصره للحق، وإزالته للباطل، ولوبعد حين، وتأمل:

[الآيات: من ٢ إلى ٤] "قدرة الله في الكون".

[الآية: ٩] "عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال".

[الآية: ٣٠]. .."قل هو ربي لا إله إلا هوعليه توكلت وإليه متاب".

و[الآية: ٣١] عن القرآن "ولوأن قرآناً سُيّرت به الجبال أوقُطِّعت به الأرضُ أوكُلِّم به الموتى" أي لكان هذا القرآن العظيم "بل لله الأمر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لويشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةٌ أوتحُلُّ قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد" وأرجو قراءة تفسير هذه الآية؛ فكم فيها من دروس وعبر لمن يتفكر.

[الآية: ٣٦] ".. قل إنما أُمِرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب".

[الآية: ٤١]. .."والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب".

الأمثال: تأمل ذلك المثل المبهر الفذ في [الآية: ١٧].

المقابلات والمقارنات: سمة بارزة في السورة، ومن ذلك:

[الآية: ٣] ".. يغشي الليل النهار..".

[الآية: ٤] "... ونخيلٌ صِنوانٌ وغير صنوان..".

[الآية: ٦] "ويستعجلونك "بالسيئة" قبل "الحسنة" وقد خلت من قبلهم المَثُلات وإن ربك "لذومغفرةٍ" للناس على ظلمهم وإن ربك "لشديد العقاب"".

[الآية: ٨] "... وما تغيض الأرحام وما تزداد ...".

[الآية: ٩] "عالم الغيب والشهادة..".

[الآية: ١٠] "سواءٌ منكم من "أسر" القول ومن "جهر" به ومن هو"مستخف بالليل" و"سارب بالنهار"".

وهكذا تكاد كل آية تحمل مقابلة بين ضدين! وتأمل سياق [الآية: ١٦] "قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم "نفعاً" ولا "ضراً" قل هل يستوي "الأعمى" و"البصير" أم هل تستوي "الظلمات" و"النور" أم جعلوا لله شركاء "خلقوا كخلقه" فتشابه الخلق عليهم قل الله "خالق كل شيءٍ" وهوالواحد القهار" وقارن بين الآيات [من ١٩ – ٢٤] في مقابل [الآية: ٢٥]!

آيات محورية: ومنها:

[الآية: ١١] ".. إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم..".

[الآية: ١٧] "أنزل من السماء ماءً فسالت أوديةٌ بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حليةٍ أومتاعٍ زبدٌ مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبدُ فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال"، ومعنى الآية، هو أحد محاور السورة الرئيسية، كما أسلفنا، كمثال للحق والباطل، فكما يحمل الغيث معه شوائب تغطي ماءه العذب النقي، أثناء سيره في الأودية والأنهار، وكما يحمل الذهب أثناء تنقيته بالنار شوائب تطفو فوق السطح حينًا، لكن سرعان ما يُنقَّى الماء فيصير عذبًا، ويُصفَّى الذهب فيصبح نقيًّا، وينتفع الناس بهما، فكذلك الحق قد يختفي تحت ركام مغشوش زائف من الباطل، ولكن تذهب شوائب الباطل، التي لا فائدة منها، ويبقى الحق، ويعلو، وينتصر في النهاية، فكن على ثقة من ذلك.

و[الآية: ٢٨] "الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"".

و[الآية: ٣٥] "مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار".

سورة إبراهيم

التسمية: سُمِّيَت باسم نبي كريم، من أولي العزم من الرسل، هو أبوالأنبياء "إبراهيم" - عليه السلام - لورود ذكره فيها، وكأنه أصلٌ لشجرة الأنبياء الطيبة، ودعائه الخاشع مثالًا للكلمة الطيبة.

المحاور الرئيسية: السورة مكية تركز على قضايا العقيدة، وخاصة حقيقة الوحي والرسالة، و"إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم"، وتعدد نعم الله في الكون، وبإرسال الرسل، ولها جو خاص، فهي من أكثر السور تأثيرًا في النفوس، خاصةً لو استمعت إليها بروح صافية من صوت خاشع، وكثير من آياتها تدور حول المقارنة بين فريقين "فريق الكلمة الطيبة، في مواجهة فريق الكلمة الخبيثة!" وتذكير المؤمنين بنعم الله عليهم، وتحذير المكذبين من العذاب الأليم، وفيها مثلان تنفرد بهما:

- الأول: مشهد يجمع الرسل كأنهم فريق واحد أمام فريق المكذبين المعاندين وحوار الفريقين [الآيات: من ٩ إلى ١٢]، ثم إهلاك الظالمين في الآخرة، ومشهد الآخرة، وخطبة الشيطان في أتباعه فوق منبره الناري شامتًا؛ لتزيدهم عذابًا فوق العذاب.

- والثاني: مثل فريد يضربه الله تعالى للكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة، وللكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة [الآيات: من ٢٤ إلى ٢٧].

ثم يعرض مشهدًا من قصة إبراهيم - عليه السلام - أبي الأنبياء مثالًا لأصحاب، وأتباع الكلمة الطيبة، ودعائه الخاشع، ثم يختم بحملة عنيفة على الظالمين، أصحاب وأتباع الكلمة الخبيثة.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها:

"يتجرعه" [الآية: ١٧].

"كرماد" [الآية: ١٨].

"فرعها" [الآية: ٢٤].

"اجتثت" [الآية: ٢٦].

تركيبات لغوية خاصة:

تركيبة "يسومونكم سوء العذاب "و"يُذبِّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم" [الآية: ٦].هي الوحيدة في القرآن كله بالواو"يعدد ألوان العذاب وكأنه يذكرهم بنعمة الله عليهم بتنجيتهم" بينما في [البقرة ٤٩] "يسومونكم سوء العذاب يذبحون..." الآية بدون "واو" وفي [القصص: ٤] "يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم..." بدون "واو".

"وأُدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها "بإذن ربهم".." [الآية: ٢٣] هي الآية الوحيدة بزيادة "بإذن ربهم" والمعنى متكرر في السورة، كما في [الآية: ١] "آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد".

ونلاحظ أيضًا تكرار معنى "الإخراج من الظلمات إلى النور"، كما رأينا في [الآية: ١]، و[الآية: ٥] "ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور..".

"فأوحى إليهم ربهم "لنهلكنَّ" الظالمين" [الآية: ١٣] هي الوحيدة في القرآن بكل هذا التوكيد "اللام والنون المشددة الثقيلة"، وكذلك "ولنسكننّكم الأرض من بعدهم" [الآية: ١٤] بنفس التوكيد "وعد مؤكد من الله بإهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين الأرض"، وهي أيضًا الوحيدة في القرآن كله، ونلاحظ ورود الكلمات الآتية بالتوكيد، مثل: "لأزيدنّكم" [الآية: ٧]، و"ولنصبرنّ"[الآية: ١٢]، و"لنخرجنّكم"، و"لا تحسبنّ"[الآية: ٤٢، ٤٧]، وجميعها لم ترد إلا في سورة إبراهيم – عليه السلام – .

"و"من ورائه..." في موضعين: [الآيتان: ١٦ و١٧].

تأمل كلمة "ثابت" في سياق الآيتين: [الآية: ٢٤] "أصلها ثابت" و[الآية: ٢٧] "بالقول الثابت"، وهما الوحيدتان في القرآن كله.

"وبرزوا لله..." في موضعين: [الآيتان: ٢١ و٤٨].

تنفرد السورة بمعنى ضرب المثل للكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة، والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة، في الآيات: [٢٤ و٢٥ و٢٦].

"يوم يقوم الحساب" [الآية: ٤١] بينما في [النبأ: ٣٨] "يوم يقوم الروح والملائكة..."، وفي [المطففين: ٦] "يوم يقوم الناس لرب العالمين".

"إنّ الله عزيزٌ ذوانتقام" [الآية: ٤٧] بالتوكيد بـ"إنّ" بينما في [آل عمران: ٤]، و[المائدة: ٩٥] "والله عزيز ذو انتقام" وفي [الزمر: ٣٧] "أليس الله بعزيزٍ ذي انتقام".

"وإن تعدوا نعمةَ الله لا تحصوها إن الإنسان لظلومٌ كفار" [الآية: ٣٤]، بينما في [النحل: ١٨] "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفورٌ رحيم".

سياق الآيتين [٣٢ و٣٣] في تعداد بعض نعم الله، وتأمل تكرار ""و" سَخَّر لكم" أربع مرات، وسورة إبراهيم – عليه السلام – هي أكثر سورة ورد بها هذا اللفظ "سَخَّر"!

العقيدة: السورة مكية، تدور كلها حول إثبات وحدانية الله تعالى، وحقيقة الوحي والرسالة، واليوم الآخر ... تأمل الآيات: [٢ و٨ و١٠] ".. أفي الله شك.." و[الآيات: ١١ و١٢ و١٩ و٢٠ و٢٢ و٣٠ و٣٢ و٣٣ و٣٤ ٣٥ و٣٦]، وهكذا حتى الختام ٥٢[الآية: ٥٢] "هذا بلاغٌ للناس وليُنذروا به وليعلموا أنما "هوإلهٌ واحدٌ" وليذّكَّر أولوالألباب".

القصص:

"ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآياتٍ لكل صبّارٍ شكور" [الآية: ٥]، وما بعدها، حتى [الآية: ٩] تعرض طرفًا من قصة موسى – عليه السلام – مع قومه، وتركز على محاور السورة الرئيسية (إخراجهم بالإيمان من الظلمات إلى النور وتذكيرهم بنعم الله عليهم واستنقاذهم من عذاب فرعون).

– [الآيات: من ٣٥ إلى ٤١] طرفًا من قصة أصل من أصول شجرة النبوة الطيبة أبي الأنبياء إبراهيم

– عليه السلام – مثالًا لأصحاب الكلمة الطيبة، ودعائه الضارع.

الأمثال:

[الآية: ١٨] "مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يومٍ عاصفٍ لا يقدرون مما كسبوا على شيءٍ ذلك هوالضلال البعيد" فتأمل المثل، أعمالهم من الأساس رماد لا قيمة له ثم تأتي الرياح الشديدة في يوم عاصف فتذهب ببقايا الرماد! فهل لأعمالهم من قيمة أووزن بعد ذلك؟!

٢٤-٢٦ [الآيات: من ٢٤ إلى ٢٦] "ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء ... تؤتي أُكُلها كل حينٍ بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.. ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثت من فوق الأرض ما لها من قرار" وتأمل السورة كلها كأنها ترجمة لتلك المعاني!

مقابلات ومقارنات:

[الآية: ١] ..." من الظلمات إلى النور..".

[الآية: ٤] "فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء..".

[الآية: ٧] "وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد".

[الآية: ٢٢] تنفرد السورة بخطبة الشيطان يوم القيامة حين ينصب له منبر من النار "وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتُكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذابٌ أليم" فتأمل الكلمة الطيبة "وعد الحق" والكلمة الخبيثة "ووعدتكم فأخلفتكم" وتأمل شماتته في أتباعه وسخريته بهم واختر طريقًا.

المقارنة والمثل الرائع [الآيات من ٢٤ إلى ٢٦] "ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء.. تؤتي أُكُلها كل حينٍ بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم

يتذكرون.. ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثت من فوق الأرض ما لها من قرار".

[الآية: ٣١].." سرًّا وجهرا".

[الآية: ٣٨] "ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيءٍ في الأرض ولا في السماء".

آيات محورية:

[الآية: ٧] قاعدة عامة وسنة كونية "وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد".

[الآيتان: ٢١، ٢٢] "وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاءُ للذين استكبروا إنّا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيءٍ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص.. وقال الشيطان لما قُضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتُكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إني كفرت بما أشركتمونِ من قبل إن الظالمين لهم عذابٌ أليم".

[الآيتان: ٢٤ إلى ٢٦] انظر المقابلات.

[الآية: ٢٧] "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء".

[الآية: ٣٤] ." وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلومٌ كفار".

[الآيات: من ٤٢-٥٢] "ولا تحسبنَّ الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليومٍ تشخص فيه الأبصار...." حتى نهاية السورة.

سورة الحِجر

التسمية: سُمِّيَت باسم "الحِجر"، وهو موقع ديار ثمود "بين المدينة والشام" قوم صالح – عليه السلام – حيث ورد ذكر ما حدث لهم بعدما كانوا ينحتون الجبال بيوتًا ولكنهم كذبوا نبيهم فأخذهم العذاب.

المحاور الرئيسة: الله يتولى حفظ الدين "إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون" [الآية: ٩] وفي السورة كلها ارتباط وثيق بمعنى "الحفظ" لشريعته ولمن أطاعه، و"الإهلاك" للباطل ولمن عصاه؛ فمثلاً:

-"وما أهلكنا من قريةٍ إلا ولها كتابٌ معلوم" [الآية: ٤].

-"ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين" [الآية: ٨] بمعنى الإهلاك للمكذبين.

– حفظ دينه وكتابه "إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" [الآية: ٩] فلم يستحفظ عليه أحدًا من خلقه، كما في آية [المائدة: ٤٤] ".. بما استُحفِظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء" فأضاعوه وبدلوه وحرفوه، ولكنه تعالى تولى حفظ القرآن بنفسه، فلا يصل إليه تغيير، ولا تبديل، ولا زيادة، ولا نقص إلى يوم الدين!

-حفظ السماء "ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّنّاها للناظرين و"حفظناها" من كل شيطانٍ رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهابٌ مبين"[الآيات: من ١٦ إلى ١٨].

– وحفظ الكنوز والأرزاق "وإن من شيءٍ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم"[الآية: ٢١] سبحانه، ينزل ويظهر كل شيءٍ في وقته بحكمته.

– حفظ الماء "وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه "وما أنتم له بخازنين"" [الآية: ٢٢]، كما في سورة الملك [الآية: ٣٠] "قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماءٍ معين".

– حفظ المؤمنين من الشياطين "إن عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ إلا من اتبعك من الغاوين" [الآية: ٤٢].

– وإهلاكه للمكذبين [الآيات: من ٤٣إلى ٤٤].

– وحفظه للمؤمنين في الجنة "لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين" [الآية: ٤٨].

– ثم الآيتين الجامعتين [٤٩ ، ٥٠] "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم.. وأن عذابي هو العذاب الأليم".

– ثم الانتقال إلى طرف من قصة إبراهيم – عليه السلام – مع ضيفه من الملائكة، في لمحة تناسب محورها الرئيسي، وهو طمأنة إبراهيم – عليه السلام – بحفظ الله له "إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون.. قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلامٍ عليم" [الآيتان: ٥٢ و٥٣]، وهي المقطع الوحيد في القرآن الذي يقول فيه الملائكة "سلاماً" لإبراهيم – عليه السلام – فلا يرد عليهم بقوله "سلامٌ"، وانظر هود [الآية: ٦٩]، والذاريات [الآية: ٢٥].

– ثم قولهم عن قوم لوط "قالوا إنا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين.. إلا آل لوطٍ إنا لمنجوهم أجمعين.. إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين" [الآيات: من ٥٨ إلى ٦٠]، وأمرهم "فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحدٌ وامضوا حيث تؤمرون" [الآية: ٦٥] منعوهم من الالتفات لبشاعة العذاب؛ فمن الذي حفظهم فنجاهم وأهلك المكذبين "وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوعٌ مُصبحين" [الآية: ٦٦] أي سيُبادون عن آخرهم! "فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارةً من سجيل" [الآية: ٧٤].

– ثم طرفاً من قصة صالح – عليه السلام – مع قومه "ثمود" وثيق الصلة بمحور السورة "وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين" [الآية: ٨١] أي لطول أعمارهم وقوة أجسادهم، كانوا ينحتون البيوت في قلب الجبال يظنون أنها تحميهم من عذاب الله! "فأخذتهم الصيحة مُصبحين ... فما أغنى

عنهم ما كانوا يكسبون" [الآيتان: ٨٣، ٨٤] فالذي يحفظ عباده المؤمنين هو الله، والمهلك للكافرين مهما بلغت قوتهم هو الله!

ولو ترك الظالمين فلم يعذبهم لحكمته في الدنيا؛ فسينالون جزاءهم يوم القيامة ".. وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل" [الآية: ٨٥] واطمئن؛ فالله يحفظك ويكفيك "فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين.. إنا كفيناك المستهزئين"[الآيتان: ٩٤ و٩٥]، ولذلك تأتي نهاية السورة "فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين.. واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" [الآيتان: ٩٨ و٩٩]، أي: حتى الموت!

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها:

"لواقح" [الآية: ٢٣] قيل: أي تلقح السحاب، فيدر الماء، أوتلقح الشجر، والله أعلم.

"تفضحون" [الآية: ٦٨].

"عضين" [الآية: ٩١] أي: أجزاء متفرقة.

تركيبات لغوية خاصة:

"من صلصالٍ من حمأٍ مسنون" عن خلق آدم، في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٢٦ و٢٨ و٣٣].

وصف خلق آدم بأوصاف مختلفة: من ماء، أوتراب، أوطين، أوطين لازب، أوصلصال كالفخار، أوكما هنا "صلصال من حمأ مسنون"، وليس في الأمر تناقض، بل هي مراحل من الخلق، اختلط الماء بالتراب فصار طينًا، ثم تيبس الطين صلصالًا كالفخار، ثم تغير صلصالًا من حمأ مسنون، ثم نفخت فيه الروح، والله أعلم.

ومعنى "صلصال من حمأ مسنون" الصلصال هو: الطين اليابس تُسمع له صلصلة إذا نُقِر، وحمأ مسنون، أي: طين أسود متغير، أو كريه الرائحة، فانظر أصل خلقته، وكيف كرَّمه الله، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، بينما خلق الجان "من نار السَّموم"، أي: الشديدة، تنفذ من المسام، فتقتل بحرِّها، لكن الله تعالى حفظ آدم – عليه السلام – وعباده المؤمنين.

"كذلك نسلكه في قلوب المجرمين" [الآية: ١٢]، بينما في [الشعراء: ٢٠٠] "كذلك سلكناه في قلوب المجرمين".

"ولقد علِمنا..." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٢٤].

"وقل إني أنا "النذير المبين"" [الآية: ٨٩] هي الوحيدة في القرآن كله معرفة بـ"ال" بينما في بقية القرآن تأتي صيغة "نذير مبين" في أحد عشر موضعًا، كما في [الأعراف: ١٨٤]، و[هود: ٢٥]، و[الحج: ٤٩]، و[الشعراء: ١١٥]، و[العنكبوت: ٥٠]، و[ص: ٧٠]، و[الأحقاف: ٩]، و[الذاريات: ٥٠ و٥١]، و[الملك: ٢٦]، و[نوح: ٢].

سياق الاستثناء بـ "إلّا" مميز في السورة، كما في [الآيات: ٤ و٨ و١١ و١٨ و٢١] "مرتين" و[الآيات: ٣١ و٤٠ و٤٢ و٥٦ و٥٩ و٦٠ و٨٥].

أكثر سورة في القرآن ورد فيها لفظ "الساجدين"، وانظر [الآيات: ٢٩ و٣١ و٣٢ و٩٨]، وتأمل المعنى رفض إبليس السجود، فكان جزاؤه اللعنة والطرد من رحمة الله، بينما لمّا أُمِر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نفذ الأمر فغُفر له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر.

العقيدة: السورة مكية، تدور كلها حول معنى حفظ الله لدينه، وإهلاكه للمكذبين.

القصص: حول محور السورة:

[الآيات: من ٢٦ إلى ٤٤] طرف من قصة آدم – عليه السلام – مع إبليس.

[الآيات: من ٥١ إلى ٦٠] قصة إبراهيم – عليه السلام –.

[الآيات: من ٦٠ إلى ٧٧] قصة لوط – عليه السلام –.

[الآية: ٧٧] أصحاب الأيكة.

[الآيات: من ٨٠ إلى ٨٤] أصحاب الحجر.

الأمثال:

"كما أنزلنا على المقتسمين.. الذين جعلوا القرآن عضين" [الآيتان: ٩٠ و٩١] أي: أنزلنا عليك

القرآن كما أنزلنا الكتب على الأقوام السابقة، فانقسموا، وآمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض، فكذلك فعل المكذبين، فجعلوا القرآن أجزاء ينفِّذون بعضها، ويتركون بعضها، تبعًا لأهوائهم، فتأمل.

المقابلات والمقارنات: كثيرة ومنها:

[الآية: ٢] "ربما يود الذين كفروا لوكانوا مسلمين".

[الآية: ٥] "ما تسبق من أمةٍ أجلها وما يستأخرون".

[الآية: ٢٣، ٢٤]، و"وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون.. ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين".

[الآية: ٧٤] "فجعلنا عاليها سافلها..".

آيات محورية:

[الآية: ٩] "إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون".

[الآيتان: ٤٩، ٥٠] "نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم.. وأن عذابي هوالعذاب الأليم".

[الآية: ٨٧] "ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم"، والسبع المثاني، هي: سورة الفاتحة على الراجح من أقوال المفسرين.

قال تعالى في الآية:[٧٢] ""لَعَمرُك" إنهم لفي سكرتهم يعمهون" يقسم أي: "وحياتِك يا محمد" تكريمًا وتشريفًا، قال ابن عباس – رضي الله عنه –: "ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسًا أكرم على الله من محمد – صلى الله عليه وسلم – وما سمعتُ الله أقسم بحياة أحد من الخلق غيره!

سورة النحل

التسمية: سُمِّيَت سورة "النحل" لما انفردت به من ذكر ذلك المخلوق العجيب "النحل" وقدرة الله الباهرة أن يُخرج من بطونها شرابًا فيه شفاء للناس.

المحاور الرئيسة: سورة النعم.

سورة مكية، تعالج أمر العقيدة من منطلق رائع، فتعرض في كثير من آياتها صورًا من نعم الله تعالى على خلقه فهي بحق "سورة النعم"! فلنؤدِ حق الشكر له - سبحانه - ومن يكفر بنعمته ساءت عاقبته، فهي أكثر سورة يتكرر فيها لفظ "نعمة"، كما في الآيات: [١٨ و٥٣ و٧١ و٧٢ و٨٣ و١١٤]، وتنفرد بألفاظ من نفس الجذر، كما في [الآية: ١١٢] "..فكفرت "بأنعُم" الله.." وكذلك وصف إبراهيم – عليه السلام - "شاكرًا "لأنعُمه"..." [الآية: ١٢١].

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها، تأمل كثرتها، وكأنها مشتقة من لغة أخرى (ولم يرد الصوف والأوبار، ولا الغزل ولا الدفء، إلا في هذه السورة، فتأمل كيف تتناسق الكلمات":

"دفء" [الآية: ٥].

"البغال" [الآية: ٨].

"يدسه" [الآية: ٥٩].

"فرث" [الآية: ٦٦].

"حفدة" [الآية: ٧٢].

"جو" [الآية: ٧٩].

"ظعنكم" [الآية: ٨٠]، وهوالسفر.

"أصوافها" [الآية: ٨٠].

"أوبارها" [الآية: ٨٠].

"توكيدها" [الآية: ٩١].

"غزلها" [الآية: ٩٢].

تركيبات لغوية خاصة:

"يأمر بالعدل" في موضعين: [الآيتان: ٧٦ و٩٠]، وتحقيق العدل من أجلِّ نعم الله.

"ف" إن ربكم لرؤوفٌ رحيم" في موضعين: [الآيتان: ٧ و٤٧] بالتوكيد باللام، وهذا من باب تعداد النعم.

" ....أيمانكم دخلاً بينكم..." في موضعين: [الآيتان: ٩٢ و٩٤].

"...بأحسن ما كانوا يعملون" في موضعين: [الآيتان: ٩٦ و٩٧].

"ويوم نبعث..." في موضعين: [الآيتان: ٨٤ و٨٩]، وتأمل معنى الشهادة على الأمم.

"كذلك فعل الذين من قبلهم..." في موضعين: [الآيتان: ٣٣ و٣٥].

"وإذا رأى الذين..." في موضعين: [الآيتان: ٨٥ و٨٦].

" ..ماذا أنزل ربكم قالوا..." في موضعين: [الآيتان: ٢٤ و٣٠]، وسيأتي الفرق في الرد، ثم الجزاء بين الفريقين.

""و" لتُسئلن عما كنتم..." في موضعين: [الآيتان: ٥٦ و٩٣].

""و" سرابيل تقيكم..." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٨١].

" ...العذاب من حيث لا يشعرون" في موضعين: [الآية: ٢٦ و٤٥].

"لا يقدر على شيء..." في موضعين: [الآيتان: ٧٥ و٧٦] توكيدًا على أن ما يُعبد من دون الله لا يقدر على شيء.

" ..الذين لا يؤمنون بآيات الله.." في موضعين: [الآيتان: ١٠٤ و١٠٥].

"الذين تتوفاهم الملائكة..." في موضعين: [الآيتان: ٢٨ و٣٢]، بينما في [النساء: ٩٧] "الذين توفاهم الملائكة".

"وبشرى للمسلمين...." في موضعين: [الآيتان: ٨٩ و١٠٢] تعداد للنعم.

معنى تبيين المختلف فيه: في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٣٩ و٦٤]، وكذلك [الآية: ٩٢] حيث وردت بالتوكيد.

""وليبيننّ" لكم..." وهي الوحيدة في القرآن كله.

"وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة "لعلّكم" تشكرون" [الآية: ٧٨] "أقل لوماً للخلق وكأنها من باب تعداد النعم كذلك" بينما في بقية القرآن ترد بصيغة "قليلاً ما تشكرون" فتأمل: [المؤمنون: ٧٨] ، [السجدة: ٩]، و[الملك: ٢٣].

تركيبة "فلبئس مثوى المتكبرين" الآية: ٢٩] لم ترد إلا في النحل بينما في [الزمر: ٧٢]، و[غافر: ٧٦] "فبئس مثوى المتكبرين".

تركيبة "واشكروا "نعمة" الله..." [الآية: ١١٤] الوحيدة في القرآن، بينما في بقية القرآن "واشكروا لله " أو"واشكروا لي" أو"واشكروا له"، وهذا كذلك من باب التذكير بالنعم.

تركيبة "فهل على "الرسل" إلا البلاغ المبين" [الآية: ٣٥] هي الوحيدة في القرآن كله، بينما في أشباهها "وما على الرسول إلا البلاغ المبين"، كما في [النور: ٥٤]، و[العنكبوت: ١٨].

تركيبة ""إنَّ" الله يعلم وأنتم لا تعلمون" بالتوكيد بـ"إنَّ" هي الوحيدة في القرآن كله، بينما وردت في بقية القرآن بدون "إنَّ"، كما في [البقرة: ٢١٦ و٢٣٢]، و[آل عمران: ٦٦]، و[النور: ١٩] جاءت جميعها "والله يعلم وأنتم لا تعلمون".

معنى وصف الألسن للكذب: تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٦٢] "... وتصف ألسنتهم الكذب..." و[الآية: ١١٦].

...تصف ألسنتكم الكذب.."

تركيبة "إنّ الله لغفورٌ رحيم" [الآية: ١٨] "بالتوكيد ب"إنّ" واللام" هي الوحيدة في القرآن كله، رغم كثرة "والله غفور رحيم"، وهذا أيضًا من باب ذكر وتعداد النعم.

التركيبات الآتية لم ترد إلا في سورة النحل:

"إن في ذلك "لآيةً" لقومٍ يذَّكَّرون" [الآية: ١٣].

و"إن في ذلك "لآيةً" لقومٍ يسمعون" [الآية: ٦٥].

و"إن في ذلك "لآيةً" لقومٍ يعقلون" [الآية: ٦٧].

و"إن في ذلك "لآيةً" لقومٍ يتفكرون" في الآيتين [١١ و٦٩].

بينما الآيات الشبيهة بهذه الآيات تأتي بلفظ "لآيات"، وورد في سورة [النمل: ٥٢] "إن في ذلك لآيةً لقومٍ يعلمون".

تركيبة "حنيفاً ولم "يك" من المشركين" [الآية: ١٢٠] لم ترد إلا في هذا الموضع وصفًا لإبراهيم – عليه السلام – بينما في بقية القرآن "حنيفاً وما كان من المشركين"، كما في [البقرة: ١٣٥]، و[آل عمران: ٩٥]، و[الأنعام: ٧٩ و١٦١]، و[النحل: ١٢٣].

العقيدة: السورة كلها تعرض حقائق الإيمان من خلال ذكر نعم الله تعالى على عباده.

القصص:[الآيات: من ١٢٠ إلى ١٢٣]، وتأمل كيف ركزت الآيات على محور السورة الرئيسي في تلك اللقطة من قصة إبراهيم – عليه السلام – فمدحته "شاكراً "لأنعمه"" [الآية: ١٢١] فكان الجزاء الفوز في الدنيا والآخرة "وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين" [الآية: ١٢٢].

الأمثال: كثيرة ومنها:

[الآية: ٧٥و٧٦] "ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيءٍ ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً فهوينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون.. وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيءٍ وهوكَلٌ على مولاه أينما يوجهه لا يأتِ بخير هل يستوي هومن يأمر بالعدل وهوعلى صراطٍ مستقيم" يضرب الله المثل لنفسه، ولما يعبد المشركون من دونه من آلهة، ففي الآية الأولى: كيف يستوي عبد مملوك، لا يقدر على شيء مع مالك حُر، يتصرف في ملكه كيف يشاء، ويفيض عليهم من فضله وكرمه "محور السورة"؟، وفي الآية الثانية يضرب المثل للأوثان

برجل أبكم، لا ينطق بخير، ولا يقدر على شيء، وهو عالة على مولاه، بليد، لا ينجح في شيء، حيثما أرسلتَه خاب مسعاه؟ فهل يستوي مع حكيم مدبر، يأمر بالعدل والحق؟ فتأمل كيف ألزمهم بالحجة القاطعة، فإذا كان العاقل لا يستوي عنده الرجلان، فكيف بمن يتخذ آلهة من دون الله لا تضر ولا تنفع؟.

و[الآية: ٧٧] ".. وما أمرُ الساعة إلا كلمح البصر أوهوأقرب إن الله على كل شيءٍ قدير" أي: في سرعة مجيئها؛ لأن الله تعالى يقول للشيء كن فيكون.

و[الآية: ٩٢] "ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمةٌ هي أربى من أمةٍ إنما يبلوكم الله به وليبيننَّ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون". تحذير أن يكونوا مثلها في الحمق حين ينقضون عهودهم.

و[الآية: ١١٢ و١١٣] "وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رغداً من كل مكانٍ فكفرت "بأنعُم" الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.. ولقد جاءهم رسولٌ منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون" فهذا مثل لقوم كفروا بنعم الله، وكذبوا الرسل فكان جزاؤهم الجوع، والخوف، والعذاب.

مقابلات ومقارنات: ومنها:

[الآية: ١١] "وسخَّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر.." تعداد للنعم.

و[الآية: ١٧] "أفمن يخلُق كمن لا يخلُق أفلا تذكرون".

و[الآية: ٢٣] "لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون..".

و[الآيات: من ٢٤ إلى ٣٢]، ففي [الآية: ٢٤] "وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين"، مقابل [الآية: ٣٠].

وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً..." وكذلك قارن جزاء الفريقين؛ الكافرين: [٢٨و٢٩] "الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله

عليمٌ بما كنتم تعملون.. فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين" مع المؤمنين [٣١ و٣٢] "جنات عدنٍ يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين.. الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلامٌ عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون".

آيات محورية:

[الآية: ١٨] "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفورٌ رحيم" ففي النعمة الواحدة نعم ونعم! والآية وثيقة الصلة بمحور السورة.

[الآيتان: ٥٣، ٥٤] "وما بكم من نعمةٍ فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون.. ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقٌ منكم بربهم يشركون" وثيقة الصلة بمحور السورة، فتأمل عظيم نعمته على عباده وسوء أدبهم مع خالقهم المتفضل عليهم في كل حال!

[الآية: ٧٣] "ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون" وثيقة الصلة بمحور السورة.

[الآية: ٩٠] "إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القُربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" قال عنها ابن مسعود - رضي الله عنه -: هذه أجمع آية في القرآن لخير يُمتثل ولشر يُجتنب.

[الآية: ٩٤] تأملها جيداً "ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدمٌ بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذابٌ عظيم" كررها بعد ٩٢ توكيداً للتحذير، والمعنى: لا تنقضوا عهودكم مكرًا وخديعة، فتزل أقدامكم عن طريق الحق بعد رسوخها فيه - تأمل اللفظ "بعد ثبوتها" فقد ثبتت ولم تكتف فقط بمعرفة الحق! عافانا الله وإياكم- لأنكم تصدون بذلك عن سبيل الله، فمن عاهد المؤمنين ثم وجدهم ينقضون العهد فسيقول عنهم "بئس القوم" ويكون ذلك سببًا في عدم دخوله الإسلام.

سورة الإسراء

التسمية: سُمِّيَت سورة "الإسراء" حيث تنفرد بذكر تلك المعجزة الباهرة، التي أيد الله بها نبيه – صلى الله عليه وسلم – "بينما ذُكر المعراج في سورة النجم" وتسمى كذلك سورة "سبحان" وسورة "بني إسرائيل".

المحاور الرئيسية:

سورة مكية، تعالج أمور العقيدة، وتدور في أغلب آياتها حول ثلاث محاور رئيسية "التسبيح، القرآن، وبني إسرائيل".

– تسمى "سورة سبحان"؛ لافتتاحها المتفرد "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هوالسميع البصير"، ومعنى "سبحان": تنزيه الله تعالى عن كل نقص، وهي أكثر سورة ذكر فيها التسبيح " وانظر الآيات [١ و٤٣ و٤٤ و٤٤ و٤٤ و٩٣ و١٠٨] " مما يطبع السورة كلها بجو تسبيح الله تعالى، وتنزيهه.

– وهي كذلك أكثر سورة ذكر فيها "القرآن" " إحدى عشرة مرة، من أصل ثمانية وخمسين مرة في القرآن كله، وانظر الآيات [٩ و٤١ و٤٥ و٤٦ و٦٠ و٧٨ و٧٨ و٨٢ و٨٨ و٨٩ و١٠٦] فمحور رئيسي فيها بيان قدر وعظمة القرآن، وجاءت فيها آية التحدي المعجز "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعضٍ ظهيراً" [الآية: ٨٨].

– وتذكر في أولى آياتها معجزة الإسراء للنبي – صلى الله عليه وسلم – من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ تكريمًا له حيث صلَّى إمامًا بالأنبياء؛ إيذانًا بانتقال قيادة البشرية من أمة فرَّطت في حمل الرسالة "بني إسرائيل" إلى أمة الإسلام التي ستحمل رسالة السماء الأخيرة، إلى الناس كافة حتى قيام الساعة، لذا فأحد محاورها الرئيسة الحديث عن بني إسرائيل "وتسمى كذلك سورة بني إسرائيل"، وإفسادهم في الأرض مرتين، وعلوِّهم علوًّا كبيرًا، ثم هزيمتهم في النهاية "فإذا جاء

وعد الآخرة ليسوؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبِّروا ما علوا تتبيراً" [الآية: ٧].

وفي أواخر السورة تذكر تجمعهم بعد انتشارهم، وتشتتهم في الأرض "وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً" [الآية: ١٠٤].

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"فجاسوا" [الآية: ٥].

مادة "ب ذ ر" كلها لم ترد إلا في سورة الإسراء: "تبذِّر تبذيراً" [الآية: ٢٦]، و"المبذِّرين" [الآية: ٢٧].

"رُفاتاً" [الآيتان: ٤٩ و٩٨].

"فسيُنغِضون" [الآية: ٥١].

"لأحتنكنّ" [الآية: ٦٢].

"موفوراً" [الآية: ٦٣].

مادة "ف ز ز" وردت كلها في سورة الإسراء "استفزز" [الآية: ٦٤]، و"ليستفزونك" [الآية: ٧٦].

و"يستفزّهم"[الآية: ١٠٣]، ونلاحظ أن الاستفزاز يتكرر في سورة "بني إسرائيل" فهو منهجهم وطريقتهم، وكأنه تعليم لأمة الإسلام!

"لدلوك" [الآية: ٧٨].

"فتهجد" [الآية: ٧٩].

"خبت" من مادة "خ ب و" [الآية: ٩٧].

تركيبات لغوية خاصة:

" ..في القرآن.." في موضعين:[الآية: ٤٦ و٦٠].

" ...وقالوا أءذا كنا عظاماً ورفاتاً أءنا لمبعوثون خلقاً جديداً" بالنص في موضعين:[الآيتان: ٤٩ و٩٨].

"لا تجعل مع الله إلهاً آخر..." في موضعين:[الآيتان: ٢٢ و٣٩].

" ...علواً كبيراً" في موضعين: [الآيتان: ٤ و٤٣].

"خبيراً بصيراً" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١٧ و٣٠ و٩٦] منها "... إنه كان بعباده خبيراً بصيراً" في موضعين: [الآيتان: ٣٠ و٩٦].

"و"إني لأظنك يا...." في موضعين: [الآيتان: ١٠١ و١٠٢].

"و"يخرون للأذقان..." في موضعين: [الآيتان: ١٠٧ و١٠٩].

" ..وما يزيدهم إلا..." و".. فما يزيدهم إلا..." في موضعين: [الآيتان: ٤١ و٦٠].

"بشراً رسولاً" في موضعين: [الآيتان: ٩٣ و٩٤].

"ثم لا تجد لك..." في موضعين: [الآيتان: ٧٥ و٨٦].

"ثم لا تجدوا لكم...." في موضعين: [الآيتان: ٦٨ و٦٩].

"فإذا جاء وعد الآخرة" في موضعين: [الآيتان: ٧ و١٠٤].

"وإن كادوا..." في موضعين: [الآيتان: ٧٣ و٧٦].

"...نرسل بالآيات إلّا..." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٥٩].

"...عطاء ربك.." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٢٠].

تركيبة "قال أرأيتك..." [الآية: ٦٢] هي الوحيدة في القرآن كله، بينما في [الأنعام: ٤٠ و٤٧] "قل أرأيتكم".

تأمل كلمة "إنسان" في الآية "وكلَّ "إنسانٍ" ألزمناه طائره في عنقه..."[الآية: ١٣]، وهي الوحيدة

بدون ألف ولام في القرآن كله، رغم ورود كلمة "الإنسان" في القرآن ٦٥ مرة!

العقيدة: السورة أولى المسبحات السبع في ترتيب المصحف (الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى)، ومعناه: تنزيه الله – عز وجل – عن كل نقص "محور رئيسي في السورة"... وانظر [الآية: ٤٢] "قل لوكان معه آلهةٌ كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً" و[الآية: ٤٣] "سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً".

و[الآية: ١١١] "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذل وكبره تكبيراً".

وعن قدر وعظمة القرآن الوحي المنزل:

"إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً كبيراً" [الآية: ٩].

[الآية: ٧٨] ..."وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً".

و[الآية: ٧٩] "ومن الليل فتهجد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً".

و[الآية: ٨٢] "وننزل من القرآن ما هوشفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً".

و[الآية: ٨٨] "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعضٍ ظهيراً".

و[الآية: ١٠٥] "وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً".

القصص:

كما في الآيات [٢-٩] حول بني إسرائيل.

و[الآيات: من ٦١إلى ٦٥]، وتعرض طرفاً من معركة إبليس اللعين مع بني آدم، واستخدامه كل الحيل لإغوائهم.

و[الآيات: ١٠١-١٠٤] طرفًا من قصة فرعون مع موسى – عليه السلام – وبني إسرائيل.

الأمثال: كما في [الآية: ٨٩].

المقابلات والمقارنات: مثل:

[الآيتان: ٩و١٠] "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً.. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً".

[الآية: ١١] "ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً".

[الآية: ١١] "من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنَّما يضل عليها..".

[الآية: ٥٤] "ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أوإن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً".

[الآية: ٥٧] ..."ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً".

[الآية: ٦٧] "وإذا مسّكم الضرُّ في البحر ضلّ من تدعون إلّا إياه فلما نجّاكم إلى البرِّ أعرضتُم وكان الإنسان كفوراً" وتأمل التعبير الفريد "ضل من تدعون"!

[الآية: ٥٧] "إذاً لأذقناك ضِعف الحياة وضِعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيراً".

[الآية: ٨٠] "وقل رب أدخلني مُدخل صدقٍ وأخرجني مُخرج صدقٍ واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً".

[الآية: ٨١] "وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً".

[الآية: ٨٣] "وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه وإذا مسّه الشر كان يئوساً" وتكتب خارج المصحف "ونأى".

[الآية: ٩٧] "ومن يهدِ الله فهو المهتد ومن يُضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه..".

آيات محورية: كثيرة ومنها: [الآيات: ٩ و١٠ و١١] "إن هذا القرآن يهدي للتي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً.. وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً.. ويدعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً".

و[الآية: ١٣] "وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائرهُ في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً".
و[الآيتان: ١٥ و١٦] "من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليه ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً.. وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميراً" وفي الآية حذفٌ دلَّ عليه السياق، فالمعنى: بعثنا إليهم من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر من الرسل أو الدعاة والمصلحين، فعصوا أوامر الله، وتكبروا، وفسدوا، وأفسدوا، فالله تعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر، والله أعلم.
و[الآية: ٢٣] "في بر الوالدين" "وقضى ربُّك ألّا تعبدوا إلا إيّاهُ وبالوالدين إحساناً إمّا يبلُغنَّ عندك الكبَرَ أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً" وما بعدها حتى [الآية: ٣٩] تعرض توجيهات القرآن التي تسمو بالإنسان.
و[الآية: ٨٥] "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً".
و[الآية: ٨٨] "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعضٍ ظهيراً".
و[الآية: ١٠٥] "وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً".

سورة الكهف

التسمية: سُمِّيَت سورة "الكهف"؛ لأنها انفردت بذكر قصة أصحاب الكهف الذين فروا بدينهم، فاختبأوا من بطش قومهم الكافرين في كهف، والتجأوا إلى الله تعالى، فضرب على آذانهم سنين عددًا، ثم قاموا بمعجزة باهرة، إثباتًا لقدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم، والسورة محببة إلى النفوس، قريبة إلى القلوب، يحفظها أكثر المسلمين؛ لأن أغلبهم يقرؤونها يوم الجمعة بانتظام.

ومن فضائلها: ورد في صحيح مسلم مرفوعًا: "من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من الدَّجال"، وروى الحاكم في المستدرك: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين"، واختلف العلماء في صحة ألفاظ الحديث ورفعه"، وصححه الألباني، والله تعالى أعلم.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِى صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ رضى الله عنه، أَنَّ النَّبِى ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفِظَ عَشرَ آياتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ».

وَأَخْرَجَ النَّسَائِى فِى الكُبْرَى وَفِى عَمَلِ اليومِ وَاللَّيلَةِ، وَالحَاكِمُ فِى مُستَدرَكِهِ وَصَحَّحَهُ، وَصَحَّحَهُ الأَلبَانِى فِى التَّرْغِيبِ وَالتَّرهِيبِ عَن أَبِى سَعِيدٍ الخُدْرِى رضى الله عنه، أَن نَبِى الله ﷺ قَالَ: «من قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْف كَمَا أنزلت كَانَت لَهُ نورا من مقَامه إِلَى مَكَّة، وَمن قَرَأَ بِعَشْرِ آياتٍ مِنْ آخِرِهَا فَخرج الدَّجَّال **لم يسَلط عَلَيهِ».**

وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِى فِى الأَوْسَطِ أَيضًا بِلَفْظِ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يوْمَ الْقِيامَةِ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَنْ قَرَأَ بِعَشْرِ آياتٍ مِنْ آخِرِهَا، ثُمَّ خَرَجَ الدَّجَّالُ **لمْ يضُرَّهُ».**

قلت: فإذا قرأ عشر آيات من سورة الكهف – من أولها أو من آخرها – نجى من تسلط الدَّجال، والمقصُودُ بِالقِرَاءَةِ القِرَاءِةُ عنْ ظهرِ قَلبٍ لِرِوَايةِ مُسلِمٍ، وَاللهُ أعلَمُ.

المحاور الرئيسة: السورة مكية، تعالج أمر العقيدة، وقدرة الله تعالى على البعث والنشور، وأهمية الإيمان "بالقَدَر"، من خلال القَصص الذي يُظهر حقيقة أن ما نراه ظاهرًا قد يخفي وراءه أشياء، لا تظهر لأعيننا وعلمنا القاصر، أو كما في تفسير الشيخ الشعراوي – رحمه الله –: "الكهف لا ترى منه ظاهريًّا إلا فجوته، ولكنه قد يخفي داخله كثيرًا من الأسرار، وكم من كهوف معنوية "يخالف ظاهرها باطنها" في السورة!". وكأنها مصداق وشرح للآية [٨٥] في سورة الإسراء، قبل سورة الكهف "... وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" وتظهر علمه تعالى الشامل الذي قد يهب بعضًا منه لمن يشاء من عباده "كالعبد الصالح الذي صحبه موسى – عليه السلام –" ومن محاورها أيضًا أنها تتناول بعض الفتن التي يتعرض الناس لها، مثل الفتنة في الدين "كأصحاب الكهف"، وفتنة المال "كصاحب الجنتين"، وفتنة العلم "كعلم العبد الصالح"، وفتنة الملك والسلطان "ذي القرنين"، فلنحذر الفتن، ونتيقن خفي لطف الله بعباده، وقدرته تعالى على مخالفة السنن التي ألفها الناس، ويتجلى هذا المعنى في قصص السورة، بداية من قصة أصحاب الكهف، الفتية الذين هربوا بدينهم وأووا إلى الكهف، فلبثوا فيه بقدرة الله تعالى "ثلاثمائةٍ سنين وازدادوا تسعا" ثم قصة صاحب الجنتين الذي اغتر بجاهه وماله، حتى كفر بنعمة الله، فأزال الله جاهه، وندم أشد الندم، وقال "ياليتني لم أشرك بربي أحداً" ثم قصة موسى – عليه السلام – مع العبد الصالح، والتي جرت فيها ثلاثة أمور عجيبة، هي من حيث ظاهرها شرٌّ محض، مثل: خرق السفينة، وقتل الغلام، أو ليست مبررة، مثل: إقامة جدار في قرية أهلها من البخلاء دون أجر، ثم يتضح لنا بعد تأويل ما حدث أنه كان خيرًا كله، بحكمة الله تعالى وأمره "وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرًا" [الآية: ٨٢]، ثم قصة ذي القرنين الذي مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء سببًا، فأطاع الله تعالى، ولم يغتر بقوته كأغلب الملوك، بل استعملها للإصلاح، وتعمير الأرض، وإقامة الدين.

انفردت السورة:

- بذكر قصة أصحاب الكهف.

- وبذكر قصة موسى – عليه السلام – مع العبد الصالح، ورحلته طلبًا للعلم.

- وانفردت كذلك بذكر قصة ذي القرنين.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"الكهف" [الآية: ١٠] وردت في السورة أيضًا [الآيتان: ١١ و١٦]، و"كهفهم" [الآية: ١٧] وهو اسم السورة وموضوعها.

"فجوة" [الآية: ١٧].

"أيقاظاً" [الآية: ١٨].

"سُرادقها" [الآية: ٢٩].

"تبيد" [الآية: ٣٥].

"نغادِر" [الآية: ٤٧] و"يغادر" [الآية: ٤٩].

"موئلاً" [الآية: ٥٨].

"ينقضّ" [الآية: ٧٧].

"أعيبها" [الآية: ٧٩].

"غصباً" [الآية: ٧٩].

"ردماً" [الآية: ٩٥].

تركيبات لغوية خاصة:

". ...إنك لن تستطيع معي صبراً" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٦٧ و٧٢ و٧٥].

"واتخذوا آياتي..." في موضعين: [الآيتان: ٥٦ و١٠٦].

"إذاً أبداً" في موضعين: [الآيتان: ٢٠ و٥٧].

"يا ذا القرنين" في موضعين: [الآيتان: ٨٦ و٩٤].

"فانطلقا حتى إذا...." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٧١ و٧٤ و٧٧].

"ذات اليمين" مرتين، وأيضًا "ذات الشمال" مرتين في مواضع: [الآيتان: ١٧ و١٨].

"فأتبع سبباً"، و"ثم أتبع سبباً" في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٨٥ و٨٩ و٩٢].

"حتى إذا بلغ..." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٨٦ و٩٠ و٩٣].

". ..الشمس وجدها..." في موضعين: [الآيتان: ٨٦ و٩٠].

سياق الآيتين: [الآيتان: ٧٨ و٨٢] ""ب"تأويل ما لم... عليه صبراً" في [الآية: ٧٨] "تستطع" و[الآية: ٨٢] "تسطع".

"وهويحاوره..." في موضعين: [الآيتان: ٣٤ و٣٧].

"منه ذِكراً" في موضعين: [الآيتان: ٧٠ و٨٣].

"منك مالاً" في موضعين: [الآيتان: ٣٤ و٣٩].

"منهم أحداً" في موضعين: [الآيتان: ٢٢ و٤٧].

تركيبة "وكان الله على كل شيء "مقتدراً"" [الآية: ٤٥] هي الوحيدة في القرآن كله حيث وردت في بقية القرآن بلفظ "قديراً".

تركيبة "وعد ربي" مرتين في آية واحدة [الآية: ٩٨].

العقيدة:

١-٥ "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً..." الآيات، وقصة أصحاب الكهف لإثبات البعث [الآية: ٢١]، وقصة موسى مع العبد الصالح – عليهما السلام – لإثبات القدَر، وأن حكمة الله لا تأتي إلا بخير [الآيتان: ٦٠-٨٢].

القصص: السورة كلها في إثبات العقيدة الصحيحة من خلال القصص وتأمل [الآيتان: ٩-٢٦] "أصحاب الكهف "أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً" الآيات.

و[الآيتان: ٣٢-٤٤] قصة الرجلين "واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين..." الآيات.

و[الآية: ٥٠] طرف من قصة آدم مع إبليس "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...".

و[الآيتان: ٦٠-٨٢] قصة موسى مع العبد الصالح – عليهما السلام - "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أوأمضي حقباً.." الآيات.

و[الآيتان: ٨٣-٩٩] قصة الملك الصالح (ذي القرنين) "ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوعليكم منه ذكراً..." الآيات.

الأمثال: ومنها:

[الآيتان: ٣٢-٤٢] قصة الرجلين ""واضرب لهم مثلاً" رجلين جعلنا لأحدهما جنتين..." الآيات.

و[الآية: ٤٥] ""واضرب لهم مثل" الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيءٍ مقتدراً"، وتأمل قدر هذه الدنيا الحقيقي عند الله تعالى.

مقارنات ومقابلات: كثيرة ومنها:

[الآيتان: ٢-٤] "قيماً "لينذر" بأساً شديداً من لدنه "ويبشر" المؤمنين الذين يعملون الصالحات إنّ لهم أجراً حسناً.. ماكثين فيه أبداً.. "وينذر" الذين قالوا اتخذ الله ولداً".

و[الآية:] "وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم "ذات اليمين" وإذا غربت تقرضهم "ذات الشمال" وهم في فجوةٍ منه ذلك من آيات الله من "يهدِ الله فهوالمهتدِ" ومن "يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً"".

و[الآية: ١٨] "وتحسبهم "أيقاظاً" وهم "رقود" ونقلبهم "ذات اليمين" و"ذات الشمال" وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد لواطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولمُلِئت منهم رعباً".

تأمل سياق المقارنة في الآيتين: [الآية: ٢٩] "وقل الحق من ربكم فمن شاء "فليؤمن" ومن شاء "فليكفر" إنا أعتدنا للظالمين "ناراً" أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه "بئس الشرابُ وساءت مرتفقاً"" مع الآيتين [٣٠ و٣١] "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً.. أولئك لهم "جنات عدنٍ" تجري من تحتهم "الأنهار" يحلون فيها من أساور من ذهبٍ ويلبسون ثياباً خضراً من سندسٍ وإستبرق متكئين فيها على الأرائك "نعم الثوابُ وحسنت مرتفقاً"" وكلمة "مرتفقاً" لم ترد إلا في سورة الكهف!

و[الآية: ٤٩] ".... لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً..".

و[الآية: ٥٦] "وما نرسل المرسلين إلا "مبشرين" و"منذرين" ويجادل الذين كفروا "بالباطل" ليدحضوا به "الحق"....".

آيات محورية: ومنها:

[الآية: ٧] "إنا جعلنا ما على الأرض زينةً لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً" فتأمل قدر الدنيا.

[الآيتان: ٢٣، ٢٤] قاعدة للحياة "ولا تقولنّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاء الله..".

[الآية: ٢٨] وتأمل قوة الأمر بمجالسة الصالحين المتقين "واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه "ولا تعدُ عيناك عنهم" تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً".

و[الآية: ٤٦] "المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً".

و[الآية: ٥٠] "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوبئس للظالمين بدلاً".

و[الآية: ٥٤] ".. وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً".

و[الآيتان: ١٠٣ و١٠٤] "قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً.. الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً" فاللهم لا تجعلنا منهم واهدنا سواء السبيل.

[الآية: ١٠٧] "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً".

و[الآيتان: ١٠٩ و١١٠] ختام السورة، فتأمل "قل لوكان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولوجئنا بمثله مدداً.. قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ أنما إلهُكم إلهٌ واحد فمن كان يرجولقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً" فشروط قبول العمل أن يكون صالحاً باتباع هدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، فاللهم اجعلنا ممن يخلصون أعمالهم الصالحة لوجهك الكريم، وتقبل منا، يا أكرم الأكرمين.

سورة مريم

التسمية: سُمِّيَت سورة "مريم" باسم العذراء البتول، مريم ابنة عمران، سيدة نساء العالمين التي اصطفاها الله تعالى بمعجزة باهرة، فحملت وولدت نبي الله عيسى – عليه السلام – من غير أب، وهي المرأة الوحيدة التي ذُكرت باسمها الصريح في القرآن الكريم؛ أربعاً وثلاثين مرةً؛ تكريمًا وتشريفًا لها، وهذا وحده كافٍ للرد على من اتهم القرآن بالتعصب أو ادعى أن القرآن هو من عند النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أو من نتاج بيئته أو تمجيدًا لقومه وأهله، فأين في القرآن اسم خديجة؟ وأين اسم فاطمة الزهراء؟ وأين اسم عائشة؟ رضي الله عنهن.

المحاور الرئيسة: السورة مكية، ذات وقع جميل محبب قريب إلى القلوب، وكأنها تحلق بقارئها في أجواء رائعة، بين الطهارة والنقاء، ورحمة الله تعالى.

تعالج السورة أمور العقيدة، ويغلب عليها طابع القصص، وخاصةً:

– تنزيه الله تعالى عن الولد، بينما يحتاج البشر إلى الولد والذرية، وأهمية توريث دعوة الحق من الآباء للأبناء "كما في قصة زكريا" وكذلك تبليغها من الأبناء إلى الآباء "كما في قصة إبراهيم" ثم تختم ببيان أنه – سبحانه – ما ينبغي له أن يتخذ ولداً "وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً" [الآية: ٩٢] فهو لا يحتاج لذلك، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

–"رحمة الله" بعباده حيث إنها أكثر سورة ورد فيها اسم "الرحمن"، من أسمائه الحسنى – سبحانه وتعالى – "ست عشرة مرة، من أصل سبع وخمسين مرة في القرآن كله" وتبدأ "ذكر "رحمة" ربك عبده زكريا" [الآية: ٢].

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: جميعها وحيدة في بابها:

"اشتعل" [الآية: ٤]، وأرجومراجعة أقوال المفسرين في بلاغة هذه الكلمة في موضعها "واشتعل الرأس شيباً".

"المخاض" [الآية: ٢٣].

"حتماً" [الآية: ٧١].

"ضداً" [الآية: ٨٢].

مادة "أزز" في "تؤزُّهم أزّاً" [الآية: ٨٣].

"وفداً" [الآية: ٨٥].

"إدّاً" [الآية: ٨٩].

"هَدّاً" [الآية: ٩٠].

"رِكزاً" [الآية: ٩٨].

تركيبات لغوية خاصة:

"واذكر في الكتاب..." في خمسة مواضع: [الآيات: ١٦ و٤١ و٥١ و٥٤ و٥٦].

" ...اتخذ عند الرحمن عهداً" في موضعين: [الآيتان: ٧٨ و٨٧].

"إنه كان صِدّيقاً نبياً" في موضعين: [الآيتان: ٤١ و٥٦].

"وكان رسولاً نبياً" في موضعين: [الآيتان: ٥١، ٥٤].

"بكرةً وعشياً" في موضعين: [الآيتان: ١١ و٦٢]، بينما في كثير من آيات القرآن "بكرةً وأصيلاً" كما في [الفرقان: ٥]، و[الأحزاب: ٤٢]، و[الفتح: ٩]، و[الإنسان: ٥].

"...بـ" جذع النخلة"، في موضعين: [الآيتان: ٢٣ و٢٥].

"..بالصلاة والزكاة.." في موضعين: [الآيتان: ٣١ و٥٥].

"وكانت امرأتي عاقراً" في موضعين: [الآيتان: ٥ و٨].

"ما يقول" في موضعين: [الآيتان: ٧٩ و٨٠].

"...من كان في..." في موضعين: [الآيتان: ٢٩ و٧٥].

"قال كذلك قال ربك هوعليَّ هين..." في موضعين: [الآية: ٩] "بفتح الكاف" و[الآية: ٢١] "بكسر الكاف".

تأمل تشابه سياق الآيتين: [الآية: ١٥] "وسلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً" و[الآية: ٣٣] "والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً" قال بعض المفسرين: "زاد الألف واللام في [الآية: ٣٣]؛ لأن عيسى – عليه السلام – أرفع قدراً من يحيى – عليه السلام - ".

تأمل تشابه سياق الآيتين: [الآية: ٩] "وقد خلقتك من قبلُ ولم تك شيئا" و[الآية: ٦٧] "أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبلُ ولم يك شيئا".

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٢١] ..."وكان أمراً مقضياً" و[الآية: ٧١] "كان على ربك حتماً مقضياً"، وكلمة "مقضياً" لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٤] "... ولم أكن بدعائك رب شقياً" و[الآية: ٤٨] "عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً".

وكلمة "شقياً" بنصها لم ترد إلا في سورة مريم في الآيات [٤ و٣٢ و٤٨].

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ١٤] "ولم يكن جباراً عصياً" و[الآية: ٤٤] "إن الشيطان كان للرحمن عصياً"، وكلمة "عصياً" بنصها لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ١٦] "إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً" و[الآية: ٢٢] "فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً".

وكلمة ""ف"انتبذت" لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٨٤] "...إنما نَعدُّ لهم عدّاً" و[الآية: ٩٤] "لقد أحصاهم وعدَّهم عدّاً"، وكلمة "عدّاً" بنصها لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٨] "وقد بلغت من الكبر عتياً" و[الآية: ٦٩] "...أيُّهم أشد على الرحمن عتياً"، وكلمة "عتياً" بنصها لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل كثرة المصدر"ورث" - وثيق الصلة بمحور السورة - كما في الآيات: [الآية: ٦] ""يرثني" و"يرث" من آل يعقوب..." و[الآية: ٤٠] "إنا نحن "نرث" الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون" و[الآية: ٦٣] "تلك الجنة التي "نورث" من عبادنا من كان تقيا" و[الآية: ٨٠] ""ونرثه" ما يقول ويأتينا فرداً"، وجميع الكلمات بين القوسين لم ترد إلا في سورة مريم، وهي أكثر سورة وردت فيها مشتقات الجذر "ور ث".

تأمل سياق الآيات [١٣] "..وكان تقياً" و[الآية: ١٨] "...إن كنت تقياً" و[الآية: ٦٣] "... من كان تقياً" وكلمة "تقياً" بنصها لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ١٢] "... وآتيناه الحكم صبياً" و[الآية: ٢٩] "...من كان في المهد صبياً"، وكلمة "صبياً" بنصها لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل لام التوكيد، ونون التوكيد المشددة في الآيات: [الآية: ٦٨] "لنحشُرنَّهم"، و"لنُحضِرنَّهم" و[الآية: ٦٩] "لننزعنَّ"، ولام التوكيد في [الآية: ٧٠] "..لّنحنُ أعلم.." الوحيدة في القرآن مقارنة بـ"نحن أعلم" في: [الإسراء: ٤٧]، و[طه: ١٠٤]، و[المؤمنون: ٩٦]، و[ق: ٤٥]، و[العنكبوت: ٣٢].

تأمل "ولم أكُ بغيّاً" [الآية: ٢٠] رغم كثرة المصدر"ك ون" في القرآن، وهذا مزيد مدح لمريم، فلم تقل: "ولم أكُن بغيّاً" أي أنها بلغت غاية الطهارة، فلم تقترب من الفعل، ولم يخطر ببالها تبرئةً لها من قول اليهود الشنيع فيها، قال تعالى: "وبكفرهم وقولهم على مريم بُهتاناً عظيماً" [النساء: ١٥٦]

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٧] "...لم نجعل له من قبل سمياً" و[الآية: ٦٥] "... هل تعلم له سمياً"، وكلمة "سَمياً" لم ترد إلا في سورة مريم.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٦٨] ".. ثم لنُحضرنَّهم حول جهنم "جثياً"" و[الآية: ٧٢] " ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها "جثياً""، ولم ترد كلمة "جثياً" إلا في سورة مريم.

العقيدة: السورة كلها تدور حول إثبات العقيدة الصحيحة، وتنزيه الله تعالى عن الولد والشريك، وإثبات حقيقة المعجزة التي ولدت بها مريم العذراء ولدها المسيح – عليه السلام –.

القصص: وانظر الآيات:

[الآيات: ٢–١٥] "ذكر رحمة ربك عبده زكريا..." في قصة زكريا ويحيى – عليهما السلام .

[الآيات من ١٦–٣٧] "واذكر في الكتاب مريم..." في قصة مريم ومعجزة حملها وولادتها للمسيح بغير أب.[الآيات: من ٤١: ٥٠]

قصة إبراهيم – عليه السلام – ومحاولته دعوة أبيه إلى دين الحق، واعتزاله لقومه الكافرين، فوهبه الله إسحاق ويعقوب – عليهما السلام –.

[الآيات: من ٥١–٥٨] قصص موسى وهارون وإسماعيل وإدريس – عليهم السلام –.

مقارنات ومقابلات: ومنها:

[الآيتان: ١١، ٦٢] ".. بُكرةً وعشياً" مرتين.

[الآية: ٦٤] ..." له ما بين أيدينا وما خلفنا..".

[الآية: ٦٧] "فإنما يسَّرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدّاً".

آيات محورية: تكاد كل آية في هذه السورة تؤثر على النفس بوقعها المميز، وطابعها الخاص، ومن ذلك:

البداية: "ذكر رحمة ربك عبده زكريا" [الآية: ٢]، والرحمة أحد أهم محاور السورة

كل آيات قصة مريم [الآيات: ١٦–٣٧]:

فتأمل حالها وحياءها حين فاجأها الملك "قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً" [الآية: ١٨].

وكيف كادت تذوب خجلاً "يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً" [الآية: ٢٣].

وكيف يؤمر المؤمن بضرورة الأخذ بالأسباب في كل أحواله "وهُزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطباً جنياً" [الآية: ٢٥] نخلة لا يستطيع هزّها أقوى الرجال، وهي في حال المخاض

أضعف ما تكون!

ثم درس للمؤمنين أن يثقوا بربهم، ويطمئنوا لتأييده مهما كان حالهم، ومهما ظن الناس بهم ما داموا طائعين لله – سبحانه – "فكُلي واشربي وقري عيناً" [الآية: ٢٦].

ثم معجزة كلام المسيح – عليه السلام – في المهد "قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً.. وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً.. وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً.. والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أُبعث حياً" [الآيات: ٣٠-٣٣].

ثم الآية المحورية القاطعة "ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون" [الآية: ٣٥].

ثم الوعيد الشديد "فاختلف الأحزاب من بينهم فويلٌ للذين كفروا من مشهد يومٍ عظيم.. أسمِع بهم وأبصِر يوم يأتوننا لكنِ الظالمون اليوم في ضلالٍ مبين.. وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِيَ الأمر وهم في غفلةٍ وهم لا يؤمنون" [الآيات: ٣٧-٣٩].

وتأمل تلطف إبراهيم – عليه السلام – في دعوة أبيه [٤٢-٤٨]، وتكرار كلمة "يا أبتِ" [الآية: ٥٨] شديدة التعلق بمحور السورة، حول الذرية، وتوريث دعوة الحق "أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من "ذرية" آدم وممَّن حملنا مع نوح ومن "ذرية" إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تُتلى عليهم آياتُ "الرحمن" خروا سُجداً وبُكياً".

ثم تأمل وعد الله الحق لعباده المتقين "إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يُظلمون شيئاً.. جنات عدنٍ التي وعد الرحمنُ عباده بالغيب إنه كان وعده مأتياً.. لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً.. تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً" [الآيات: ٦٠- ٦٣].

ثم تأمل الوعيد الشديد "فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً.. ثم لننزعن من كل شيعةٍ أيهم أشد على الرحمن عتياً.. ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً.. وإن

منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً.. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً" [الآيات: ٦٨- ٧٢] فاللهم نجنا واجعلنا من المتقين.

ثم تأمل "ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزًّا..فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً.. يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً.. ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً" [٨٣- ٨٦] ثم الآيات المحورية التي تقطِّع القلوب، وتبكي العيون "وقالوا اتخذ الرحمن ولداً.. لقد جئتم شيئاً إداً.. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً.. أن دعوا للرحمن ولداً.. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً.. إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً.. لقد أحصاهم وعدهم عداً.. وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً" [الآيات: ٨٨-٩٥].

وتأمل هذه الآية [٩٦] "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً" جعلنا الله وإياكم منهم.

سورة طه

التسمية: سُمِّيَت "طه" حيث بدأت بحرفين من الحروف المقطعة، التي اختلفت فيها أقوال العلماء، وجاءت إشارة إلى قدرة الله تعالى في هذا القرآن، حيث جاء من حروف اللغة العربية التي يعرفها العرب، ويصوغون كلامهم منها، ولكنهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن المعجز، "وقيل: "طه" هو اسم من أسماء النبي – صلى الله عليه وسلم – " والله أعلم.

المحاور الرئيسة: هدف الدين سعادة الخلق، والشقاء كل الشقاء في الابتعاد عن منهج الله، والسعادة كل السعادة في اتباع منهجه – سبحانه وتعالى – والأنبياء والمرسلون والدعاة إلى الله ليس عليهم إلا البلاغ والتذكرة "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى.. إلا تذكرة لمن يخشى" [الآيتان: ٢ – ٣]، وليس عليهم هداية الناس، ولا ينبغي أن يحزنوا إذا لم يهتد الناس وظلوا في ضلالهم، أما المعرضون المكذبون فالشقاء نصيبهم في الدنيا والآخرة "ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشرهُ يوم القيامة أعمى" [الآية: ١٢٤]، وتعرض السورة جزءًا من قصة موسى – عليه السلام – وهي أكثر قصة تكرر ذكرها في القرآن الكريم، حتى قال بعض المفسرين "يكاد القرآن يكون لموسى – عليه السلام – " حيث ورد الاسم "موسى" في القرآن ١٣٦ مرة، وهوأكثر الأنبياء ذكرًا في القرآن.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"فاخلع" [الآية: ١٢].

"نعليك" [الآية: ١٢].

"أهشُّ" [الآية: ١٨].

"بالساحل" [الآية: ٣٩].

"تنيا" [الآية: ٤٢].

"بلحيتي" [الآية: ٩٤].

"زُرقاً" [الآية: ١٠٢].

"صفصفاً" [الآية: ١٠٦].

"أمتا" [الآية: ١٠٧].

"همساً" [الآية: ١٠٨].

"عنت" [الآية: ١١١].

"ضنكاً" [الآية: ١٢٤].

"زهرة" ١٣١

تركيبات لغوية خاصة:

"إن في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهى" في موضعين: [الآيتان: ٥٤ و١٢٨].

تأمل سياق الآية [١٣٢] "... والعاقبة للتقوى" بينما في بقية القرآن "والعاقبة للمتقين"، كما في [الأعراف: ١٢٨]، و[القصص: ٨٣]، و[هود: ٤٩].

[الآية: ١٢٣] "قال اهبطا..." في قصة آدم – عليه السلام - هي الوحيدة في القرآن، بينما وردت "اهبطوا" في [البقرة: ٣٦]، و[الأعراف: ٢٤].

تأمل سياق الآيات: [الآية: ١٥] "...لتُجزى كل نفس بما تسعى" و[الآية: ٢٠] "فألقاها فإذا هي حيةٌ تسعى" و[الآية: ٦٦] "... يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" وكلمة "تسعى" لم ترد إلا في سورة طه.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٩٧] ".. لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفاً" و[الآية: ١٠٥] "ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً"، وكلمة "نسفاً" لم ترد إلا في سورة طه.

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٨٨] "...فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي" و[الآية: ١١٥] "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما"، وكلمة "فنسي" بهذا النص لم ترد إلا في سورة طه

تأمل سياق الآيتين: [الآية: ٤] "تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العُلى" و[الآية: ٧٥]

"فأولئك لهم الدرجات العُلى" وكلمة "العُلى" لم ترد إلا في سورة طه!!!

تنفرد السورة بذكر قصة السامري، وإغوائه لبني إسرائيل؛ ليعبدوا العجل الذي صنعه في الآيات [من ٨٥-٩٨] "قال فإنّا قد فتنّا قومَك من بعدِك وأضلَّهُم السامريّ..." الآيات.

ونصت السورة كذلك على تبرئة نبي الله هارون من افتراءات اليهود عليه، في توراتهم المحرفة، أنه هو من صنع العجل من الذهب، وأمرهم بعبادته، قال تعالى: "ولقد قال لهم هارونُ من قبلُ يا قومِ إنّما فُتنتم به وإنَّ ربكُم الرحمنُ فاتبعوني وأطيعوا أمري.. قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى.. قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ألا تتبعنِ أفعصيتَ أمري.. قال يا ابن أمَّ لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرَّقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي" [الآيات من ٩٠- ٩٤]، وهذا من خصائص القرآن العجيبة، أنه يرد الأذى عن أنبياء الله الذين أساء إليهم اليهود بالتحريف والكذب، فانظر كيف دافع عن هارون، وكذلك عن يعقوب، وعن داوود، وعن سليمان، (وهم جميعاً من أنبياء بني إسرائيل!)، وعن لوط - عليهم جميعاً السلام -وانظر كيف نسب اليهود عليهم لعنة الله لأولئك الأنبياء الأطهار فظائع الجرائم؛ كي لا يبقوا في نفوس الناس فضيلة ولا قيمة إلا هدموها، وتأمل كيف دافع عنهم القرآن ورفعهم الإسلام صدقًا إلى أعلى عليين، ولوكان القرآن من عند النبي محمد - صلى الله عليه وسلم – أو أخذه كما يدّعون عن بعض أهل الكتاب لأخذ نصوص التوراة عن قصص أولئك الأنبياء كما هي، ولم يصححها، ولكن الحق أن المسلمين أولى بالأنبياء والرسل من أولئك الكذابين؛ كما قال لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حديث عاشوراء "نحن أولى بموسى منكم".

العقيدة: السورة مكية، تثبت العقيدة الصحيحة، وانظر الآيات [من ٤- ٨] "تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى.. الرحمنُ على العرش استوى.. له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى.. الله لا إله إلا هوله الأسماء الحسنى".

[١٥، ١٤] "إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري.. إنَّ الساعة آتيةٌ أكاد أُخفيها لتُجزَى كلُّ نفسٍ بما تسعى".

[الآية: ٩٨] "إنما إلهكم اللهُ الذي لا إله إلا هووسِع كلَّ شيءٍ علماً".

القصص: انظر [الآيات: ٩- ٩٨] عن قصة موسى - عليه السلام - "وهل أتاك حديث موسى..." الآيات، تشمل أغلب السورة.

الآيات [من: ١١٥ - ١٢٣] "ولقد عهِدنا إلى آدمَ من قبلُ فنسي ولم نجِد لهُ عزماً..." الآيات، وهي متعلقة بمحور السورة كما أسلفنا، وفيها أيضًا "فلا يُخرجنَّكما من الجنة "فتشقى"" [الآية: ١١٧]، وكذلك "فمن اتَّبع هُداي فلا يضل ولا يشقى" [الآية: ١٢٣].

مقارنات ومقابلات: ومنها:

[الآية: ٦] "له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى".

[الآية: ٧] "وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرَّ وأخفى".

[الآيتان: ٧٤، ٧٥] "إنَّه من يأتِ ربَّهُ مجرِماً فإنَّ له جهنَّم لا يموت فيها ولا يحيى.. ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحاتِ فأولئك لهم الدرجاتُ العُلى".

[الآية: ١١٠] "يعلمُ ما بين أيديهم وما خَلفهم ولا يُحيطون به عِلماً".

[الآية: ١٢٥] "قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كُنت بصيراً".

[الآية: ١٣٠] "فاصبر على ما يقولون وسبِّح بِحمد ربك قبل طلوعِ الشمس وقبلَ غروبها ومن آناء الليلِ فسبِّح وأطرافَ النهار لعلك ترضى".

تأمل سياق الآيات الآتية:

انقلب السحرة حين أيقنوا بالحق فآمنوا، فقال لهم فرعون كاذباً ومهدداً "قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلافٍ ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمُنَّ أيُّنا "أشدُّ عذاباً وأبقى""[الآية: ٧١]، وهذا كذب الطغاة، وتعذيبهم

للمؤمنين في كل عصر ومصر، فكان ردهم الواثق المطمئن: "قالوا لن نؤثِركَ على ما جاءنا من البيناتِ والذي فطرنا فاقضِ ما أنت قاضٍ إنَّما تقضي هذه الحياةَ الدنيا.. إنا آمنّا بربنا ليغفرَ لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السِّحر والله "خيرٌ وأبقى"" [الآية: ٧٢ و٧٣]، ثم في أواخر السورة "، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة "أشد وأبقى"" [الآية: ١٢٧]، وأيضًا ".. ورزق ربك "خيرٌ وأبقى"" [الآية: ١٣١]، فتأكد أن "والعاقبة للتقوى" [الآية: ١٣٢]، وسل نفسك أي الوعيدين أصدق؟ وأي العذابين أشد وأبقى؟ وأي الفريقين هو المنتصر في النهاية؟!

آيات محورية: ومنها:

[الآية: ٢] "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"

[الآية: ٥٠] "قال ربُّنا الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقَهُ ثمّ هدى" سنة كونية ماضية.

[الآية: ٨٤]. ..."وعجِلتُ إليكَ ربِّ لترضى" فهلا عجلنا إليه - سبحانه - ليرضى؟.

تأمل الآيات [من ١٠٧-١١٢] عن يوم القيامة تهز القلب هزاً "يومئذٍ يتبعون الداعيَ لا عِوجَ له وخشعتِ الأصواتُ للرحمن فلا تسمعُ إلا همساً.. يومئذٍ لا تنفع الشفاعةُ إلا من أذِن له الرحمنُ ورضيَ له قولاً.. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به عِلماً.. وعنتِ الوجوهُ للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً.. ومن يعمل من الصالحات وهومؤمنٌ فلا يخاف ظلماً ولا هضماً".

[الآيات: من ١٢٣- ١٢٧] "قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعضٍ عدو فإما يأتينكم مني هدىً فمن اتَّبع هُداي فلا يضِلُّ ولا يشقى.. ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكاً ونحشرهُ يومَ القيامةِ أعمى.. قال ربِّ لمَ حشرتني أعمى وقد كُنتُ بصيراً.. قال كذلك أتتك آياتُنا فنسيتها وكذلك اليومَ تُنسى.. وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمِن بآيات ربِّه ولعذابُ الآخرة أشد وأبقى" وتأمل علاقتها الوثيقة بمحور السورة.

سورة الأنبياء

التسمية: سُمِّيَت سورة "الأنبياء" لأنها عرضت صورًا من قصص سبعة عشر نبيًّا كريمًا، هم: موسى، وهارون، وإبراهيم "ببعض التفصيل"، وإسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وداوود، وسليمان، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وذوالكفل، ويونس "ذوالنون"، وزكريا، ويحيى، وعيسى "بصفته لا باسمه" - عليهم السلام -.

المحاور الرئيسية: السورة مكية؛ عرضت صورًا من قصص الأنبياء، وخاصةً "استجابة الله لدعاء أنبيائه وعباده الصالحين"، وتنذر المكذبين اقتراب الحساب "اقترب للناس حسابهم وهم في غفلةٍ معرضون" [الآية: ١]، وعالجت موضوعات العقيدة: كالألوهية، والتوحيد، والبعث، والرسالة، مع تركيز على عرض الآيات الكونية "أولم ير الذين كفروا أن السماواتِ والأرضَ كانتا رتقاً ففتقناهُما وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيّ أفلا يؤمنون" [الآية: ٣٠]، و"يوم نطوي السماء كطي السِّجل للكُتب كما بدأنا أول خلقٍ نُعيده وعداً علينا إنّا كُنّا فاعلين" [الآية: ١٠٤]، وسنة الله الغالبة والتي لا تتخلف هي "انتصار الحق على الباطل في النهاية" "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هوزاهق..." [الآية: ١٨].

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها وجميعها وحيدة في بابها:

"قصمنا" [الآية: ١١] أي: أهلكنا، والقصم: الكسر.

"فيدمغه" [الآية: ١٨]: يصيبه في دماغه، فيرديه قتيلًا.

"رتقاً" [الآية: ٣٠]: ملتحمًا، ملتصقًا.

"ففتقناهما" [الآية: ٣٠]، والفتق الشق.

"نفحة" [الآية: ٤٦]، أي: شيئًا يسيرًا.

"ففهَّمناها" [الآية: ٧٩].

"النون" [الآية: ٨٧] وهوالحوت.

"حَدَب" [الآية: ٩٦]، أي: مكان مرتفع من الأرض.

تركيبات لغوية خاصة:

"فاستجبنا له..." في أربعة مواضع تطبع السورة بطابع "استجابة الله" لدعاء أنبيائه وعباده الصالحين: في الآيات: [٧٦ و٨٤ و٨٨ و٩٠].

وكذلك "..ونجيناه من.." في موضعين: [الآيتان: ٧٤ و٨٨].

"و" كنا فاعلين" بيانًا لقدرة الله تعالى، في ثلاثة مواضع: [الآيات: ١٧ و٧٩ و١٠٤].

"..هذا بآلهتنا.." في موضعين: [الآيتان: ٥٩ و٦٢].

"...إلى الأرض التي باركنا فيها..." في موضعين: [الآيتان: ٧١ و٨١].

"...إنهم كانوا قوم سوء..." في موضعين: [الآيتان: ٧٤ و٧٧].

"..أنتم لها..." في موضعين: [الآيتان: ٥٢ و٩٨].

" ...يا ويلنا إنا كنا ظالمين" في موضعين:[الآيتان: ١٤ و٤٦].

كلمة "الخالدون" في الآية [٣٤] "وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخُلد أفإن مِت فهم الخالدون" الوحيدة في القرآن كله بالألف واللام من ٢٥ مرة "خالدون".

كلمة "حي" في [الآية: ٣٠] "...وجعلنا من الماء كل شيءٍ حيّ" هي الوحيدة في القرآن كله بدون ألف ولام بينما وردت "الحي" ١٣ مرة بالألف واللام.

العقيدة: السورة مكية، تركز على حقائق الإيمان الكبرى: كالتوحيد، والبعث، والرسالة، ومن آياتها الواضحة:

[الآية: ٤] "قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهوالسميع العليم".

[الآية: ٢٢] "لوكان فيهما آلهة إلّا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمّا يصفون".

[الآية: ٢٥] "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون".

[الآية: ٥٦] "قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين".

[الآية: ٩٢] "إن هذه أمتكم أمةً واحدةً وأنا ربكم فاعبدون" فالرسالات كلها واحدة، جاءت بالتوحيد الخالص لله تعالى "لا إله إلا الله"، وإن اختلفت الشرائع.

[الآية: ١٠٨] "قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون".

القصص: أغلب السورة حول قصص الأنبياء، ومن ذلك:

موسى وهارون – عليهما السلام – "ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياءً وذكراً للمتقين" [الآية: ٤٨].

وإبراهيم – عليه السلام – [الآيات من: ٥١ – ٧٢] "ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين..." الآيات، ولوط – عليه السلام – [الآيات: ٧١ و٧٤ و٧٥].

وإسحاق ويعقوب عليهما السلام – [الآية: ٧٢] "ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلةً وكلاً جعلنا صالحين".

ونوح – عليه السلام – [الآيتان: ٧٦ و٧٧] "ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له..".

وداوود وسليمان – عليهما السلام – [الآيات: من ٧٨-٨٢] "وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث..".

وأيوب – عليه السلام – [الآيتان: ٨٣و٨٤] "وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر..".

[الآية: ٨٥] "وإسماعيل" و"إدريس" و"ذا الكفل" كلٌّ من الصابرين".

ويونس – عليه السلام – [الآيتان: ٨٧ و٨٨] "وذا النون إذ ذهب مغاضباً..".

وزكريا ويحيى – عليهما السلام – [الآيتان: ٨٩ و٩٠] "وزكريا إذ نادى ربه ربِّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين.. فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه..".

وعيسى – عليه السلام – لم يذكر اسمه، ولكن وردت صفته [الآية: ٩١] "والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آيةً للعالمين".

الأمثال: ومنها:

[الآية: ٤٧] "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين"، أي: ولوشيئًا هيِّنًا يسيرًا.

[الآية: ١٠٤] "يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين".

مقارنات ومقابلات: ومنها:

[الآية: ١٨] الآية المحورية "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هوزاهق..".

[الآية: ٢٠] "يسبحون الليل والنهار لا يفترون".

[الآية: ٢٣] "لا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون".

[الآية: ٢٤] .."هذا ذكر من معي وذكر من قبلي..".

[الآية: ٣٠] "أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما...".

[الآية: ٣٥] "كل نفسٍ ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون".

[الآية: ٦٦] "قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم".

[الآية: ٩٠] .."ويدعوننا رغباً ورهباً..".

[الآية: ١٠٩] ..."وإن أدري أقريبٌ أم بعيدٌ ما توعدون".

[الآية: ١١٠] "إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون".

آيات محورية: ومنها الآيات:

[الآية: ١٠] "لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكرُكم أفلا تعقلون" فالتمسك بالدين وكتاب الله، يرفع هذه الأمة، ويعلي ذكرها بين الأمم، فكيف تتركه وتتبع غيره؟!

"بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هوزاهق ولكم الويل مما تصفون" [الآية: ١٨] فتأمل كيف ضرب مثل الحق كقذيفة مدوية، تصيب الباطل في منتصف دماغه، فترديه على الفور، فتخير لك طريقاً!

وقال "ولقد كتبنا في الزَّبورِ من بعد الذِّكر أنَّ الأرض يرثُها عباديَ الصالحون" [الآية: ١٠٥] [الآية: ١٠٧] قوله تعالى عن رسوله - صلى الله عليه وسلم - "وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين" - عليه أفضل الصلاة والسلام -.

تنبيهات لطيفة:

- تأمل قوله تعالى: "ولئن مسَّتهُم نفحةٌ من عذاب ربك ليقولُنَّ يا ويلنا إنّا كُنّا ظالمين" [الآية: ٤٦] فانظر كيف قلل الأمر في الشطر الأول بـ"مستهم" أي: مجرد المس الخفيف، وبـ"نفحة" أي: شيئًا يسيرًا، وبـ"مِن"، وهي للتبعيض أي: شيء يسير من العذاب، وقال: "ربك"، ولم يقل: "الله"، وكلمة "ربك"، من الربوبية، وهي أخف، فالرب: هو من يربي العباد، ويتولى أمرهم، ثم انظر إلى شدة تلك النفحة البسيطة عليهم، حتى يقولوا في الشطر الثاني: "يا ويلنا إنا كنا ظالمين" فما بالك بالعذاب الشديد الأليم يوم القيامة؟! فاللهم نجنا من عذابك يوم تبعث عبادك!

- في الآية [٨٧] "وذا النون إذ ذهب مُغاضِباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" قال المفسرون: ذهب مغاضبًا لقومه لا لربه، فلم يتبرم من قضاء الله بل غضب من قومه حيث لم يستجيبوا لدعوته، وكلمة "نقدر" من "القَدْر"، ومعناها: نُضَيِّق، وليس بمعنى "القُدرة"، أي: أنه ظن أن الله لن يضيق عليه، فحاشاه أن يظن عجز الله عنه، قالوا: عجبنا لمن ابتُلي بالغم كيف لم يلجأ إلى قوله تعالى، فيردد "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فإن الله تعالى قال بعدها "فاستجبنا له ونجَّيناهُ من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين" [الآية: ٨٨] فتأمل!

سورة الحج

التسمية: سُمِّيَتْ سورة "الحج" باسم تلك الفريضة؛ الركن الخامس من أركان الإسلام، حيث جاءت آياتها [من ٢٥-٣٧] بتفصيل بعض شأنها.

-**المحاور الرئيسة**: اختلف المفسرون حول السورة: أغلب المفسرين على أنها مدنية، وإن جمعت بين المكي والمدني، وسياق السورة واضح في القوة، والإنذار، والوعيد المرعب، واستجاشة مشاعر الوجل، والتقوى، والخوف من بأس الله من أولها "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم.. يوم ترونها تذهل كلُّ مرضعةٍ عمَّا أرضعت وتضع كلُّ ذات حملٍ حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد" [الآيتان: ١، ٢] وتأمل كذلك "هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصَب من فوق رؤوسهم الحميم يُصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامعُ من حديد كلّما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق" [الآيات: من ١٩-٢٢] "وبشر المخبتين.. الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.." [الآيتان: ٣٤ و٣٥]، ولذلك نلاحظ كثرة وتنوع "أساليب "التوكيد"" وهي السمة المميزة فيها كما سنرى.

وهي السورة الوحيدة التي توجد بها سجدتان.

-**أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها**: وجميعها وحيدة في بابها:

"تذهل" [الآية: ٢] أي: تغفل عنه من الهول!

"هامدة" [الآية: ٥] أي: يابسة لا حياة لها.

"المجوس" [الآية: ١٧].

"مقامع" [الآية: ٢١]، وهي المطارق تقمع الكفار في النار.

"ضامر" [الآية: ٢٧] أي: هزيل.

"عميق" [الآية: ٢٧]، أي: بعيد.

"تفثهم" [الآية: ٢٩]، وهو: الوسخ، أو: القذَر.

"العتيق" وردت مرتين في [الآيتين: ٢٩ و٣٣]، أي: القديم؛ لأنه "أول بيت وضع للناس"

"وجبت" [الآية: ٣٦]، أي: سقطت بعد نحرها.

"صوامع" [الآية: ٤٠] جمع "صومعة": وهي بيوت الرهبان.

"بئر" [الآية: ٤٥].

"يسطون" [الآية: ٧٢]، أي: يبطشون.

"ذُباباً" و"الذُّباب" [الآية: ٧٣].

-تركيبات لغوية خاصة:

التعبير عن الكعبة ب "البيت العتيق" لم يرد إلا في سورة الحج في موضعين:[الآيات: من ٢٩ و٣٣].

"فكلوا منها وأطعموا..." في موضعين: [الآيات: من ٢٨ و٣٦].

"..ما يلقي الشيطان.." في موضعين: [الآيتان: ٥٢ و٥٣].

"وهُدوا إلى..." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٢٤].

"و"لكل أمةٍ جعلنا منسكاً" في موضعين: [الآيتان: ٣٤ و٦٧].

تركيبة الآية [٢٢] "كلما أرادوا أن يخرجوا منها "من غمٍ" أعيدوا فيها..." تميزت بزيادة "من غم".

بينما في السجدة [٢٠] "كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها".

انفردت السورة بالتعبير عن يوم القيامة [الآية: ٥٥] ".. أويأتيهم عذابُ يومٍ "عقيم"" قيل لأنه لا يوم بعده!

تركيبة [الآية: ٧٠] "ألم تعلم أن الله يعلم ما في "السماء" والأرض..." هي الوحيدة في القرآن بنصها، بينما في بقية القرآن "يعلم ما في السماوات..." كما في [آل عمران: ٢٩]، و[المائدة: ٩٧]، و[الحجرات: ١٦]، و[المجادلة: ٧].

"ذلك ومن..." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٣٠ و٣٢ و٦٠].

"...على ما رزقهم من بهيمة الأنعام..." في موضعين: [الآيتان: ٢٨ و٣٤].

– تأمل كثرة وتنوع أساليب "التوكيد" في السورة مقارنةً بغيرها:

"ولينصرنّ الله من ينصُرُه إنّ الله لقويٌ عزيز" ٤٠ وكذلك في الآية [٧٤] "إنَّ الله لقويٌ عزيز" بينما في بقية القرآن بدون لام التوكيد كما في [الحديد: الآية ٢٥]، و[المجادلة: ٢١] التكرار في "يدعومن دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه.." [الآية: ١٢].

استخدام لام التوكيد كما في "يدعو"لمن" ضره أقرب من نفعه "لبئس" المولى "ولبئس" العشير" [الآية: ١٣].

""إنّ" الله يُدخِل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار "إنّ" الله يفعل ما يريد" ١٤[الآية: ١٤].

" ..فلينظر هل "يذهبنَّ" كيده ما يغيظ" [الآية: ١٥].

""إنّ" الذين آمنوا والذين هادوا والصّابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا "إنّ" الله يفصل بينهم يوم القيامة "إنّ" الله على كل شيءٍ شهيد" [الآية: ١٧].

". .."إنّ" الله يفعل ما يشاء" [الآية: ١٨].

""إنّ" الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات.." [الآية: ٣٣].

""إنّ" الذين كفروا.." [الآية: ٢٥].

""إنّ" الله يدافعُ عن الذين آمنوا "إنّ" الله لا يُحب كُلَّ خوانٍ كفور" [الآية: ٣٨].

"بأنّهم ظُلِموا "وإنّ" الله على نصرهم لقدير" [الآية: ٣٩].

" .."فإنّها" لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" [الآية: ٤٦].

". .."وإنّ" الظالمين "لفي" شقاق بعيد" [الآية: ٥٣].

" .."وإنّ" الله "لهادِ" الذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيم" [الآية: ٥٤].

"والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتِلوا أوماتوا "ليرزُقنّهم" الله رزقاً حسناً "وإنّ" الله "لهو" خير الرازقين" [الآية: ٥٨].

""ليدخلنّهم" مُدخلاً يرضونه "وإنّ" الله "لعليمٌ" حليم" [الآية: ٥٩].

"ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغي عليه "لينصُرنّه" الله "إنَّ" الله "لعفوٌ" غفور" [الآية: ٦٠].

"ذلك "بأنّ" الله "هو" الحق "وأنّ" ما يدعون من دونه "هو" الباطل "وأنَّ" الله "هو" العلي الكبير" [الآية: ٦٢] قارن مع لقمان [الآية: ٣٠] "وأنَّ ما يدعون من دونه الباطل..".

"..."وإنّ" الله "لهو" الغني الحميد" [الآية: ٦٤].

"..."إنّ" الله بالناس "لرؤوفٌ" رحيم" [الآية: ٦٥].

""إنّ" الإنسان لكفور" [الآية: ٦٦].

"..."إنك" "لعلى" هدى مستقيم" [الآية: ٦٧].

وغير ذلك مما يطبع السورة بسمة "التوكيد" بأدواته المختلفة.

في بحثنا لاحظنا ارتباطًا واضحًا بين "الحج"، وبين "يوم القيامة"، والحشر! كأول آيتين، ومثل هذا نجده كذلك في آيات الحج في سورة البقرة [الآيات: من ٢٠٠-٢٠٣] ربما لأن زحام الحج ومشقته ولباسه تذكر بالآخرة، والله أعلم.

- **العقيدة:** الآيات تثبت العقيدة الصحيحة من أولها إلى آخرها ومن ذلك:

أول آيتين "يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيءٌ عظيم.. يوم ترونها تذهلُ كلُّ مّرضعةٍ عمّا أرضعَت وتضعُ كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد".

إثبات البعث في الآية [٥] "يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ...".

[الآيتان ٦ و٧] في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى والبعث "ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيءٍ قدير.. وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور" وهكذا تتكرر معاني الألوهية، والرسالة، والبعث، والقيامة، في السورة كلها، وتأمل كذلك الآيات الرائعة التي تورد بعض صفات الله تعالى [من ٦١-٦٦] "ذلك بأنَّ الله يولجُ الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميعٌ بصير.. ذلك بأن الله هو الحَقُّ وأنَّ ما يدعون من دونه هو الباطل وأنَّ الله هو العليُّ الكبير.. ألم تر أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فتُصبحُ الأرضُ مُخضرّة إنَّ الله لطيفٌ خبير.. له ما في السماوات وما في الأرض وإنَّ الله لهو الغنيُّ الحميد.. ألم ترَ أنَّ الله سخَّر لكم ما في الأرض والفُلك تجري في البحرِ بأمرِه ويُمسكُ السماءَ أن تقع على الأرضِ إلا بإذنه إنَّ الله بالناس لرؤوفٌ رحيم.. وهو الذي أحياكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم إنَّ الإنسان لكفور".

وهكذا حتى نصل إلى نهاية السورة [الآية: ٧٨] "... واعتصموا بالله هو مَولاكُم فنِعمَ المَولى ونِعم النَّصير".

- **القصص**: ومنه: [الآيتان: ٢٦، ٢٧] تعرض أذان إبراهيم بالحج "وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألَّا تُشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والرُّكَّعِ السُّجود.. وأذِّن في الناس بالحجِّ يأتوك رِجالاً وعلى كُلِّ ضامرٍ يأتين من كُلِّ فجٍّ عميق"، قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: "لما فرغ إبراهيم – عليه السلام – من بناء البيت قيل له: أذِّن في الناس بالحج، قال: يا رب، وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليَّ البلاغ، فصعد إبراهيم – عليه السلام – على جبل أبي قُبيس، وصاح: يا أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت؛ ليثيبكم به الجنة، ويجيركم من عذاب النار، فحجوا، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك".

وذكر طرفًا من قصص بعض الأمم السابقة، ومآلهم حين كذبوا أنبياءهم، في الآيات: [من ٤٢-٤٤] "وإن يُكذِّبوك فقد كَذَّبت قبلهم قومُ نوحٍ وعادٌ وثمود.. وقومُ إبراهيمَ وقومُ لوط.. وأصحابُ مدينَ وكُذِّب موسى فأمليتُ للكافرين ثم أخذتُهم فكيف كان نكير".

- **الأمثال**: ومنها:

تأمل المثل في الآية [١١] "ومن الناس من يعبد الله على حرفٍ فإن أصابه خيرٌ اطمأن به وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هوالخسران المبين" فهومذبذب، لا يعبد الله عن يقين ثابت، فينتظر النتيجة المباشرة؛ فإن أصابه الخير قال: هذا دين خير، وإن أصابه ابتلاء، قال: هذا دين سوء!

تأمل الآية [٣١] "حنفاء لله غيرَ مُشركين به ومن يُشرِك بالله فكأنَّما خَرَّ من السماء فتخطَفُهُ الطَّيرُ أوتَهوي به الرِّيحُ في مكانٍ سحيق" فكأن المؤمن عالٍ في السماء يُحلِّق في معية ربه، بينما المشرك يسقط من ذلك المكان الرفيع فيهلك؛ تخطفه الطيور، أو يتهاوى ويتردى، تمزقه الصخور، تأمل الآية [٧٣] "يا أيها الناس ضُرِبَ مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذُباباً ولواجتمعوا له وإن يسلُبهم الذُّبابُ شيئا لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطَّالِبُ والمطلوب" فلا المشركون، ولا آلهتهم التي يدعون، بل ولو اجتمع الإنس والجن، لما استطاعوا أن يخلقوا ذبابة، ولا أن يستعيدوا شيئًا أخذته ذبابة منهم، فتأمل.

قال القرطبي – رحمه الله –: وخص الذباب لأربعة أمور؛ لمهانته، وضعفه، ولاستقذاره، وكثرته، فإذا كان هذا الذي هوأضعف الحيوان وأحقره، لا يقدر من عبدوهم من دون الله على خلق مثله ودفع أذيته، فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأرباباً مُطاعين؟

- **مقارنات ومقابلات**: كثيرة، ومنها:

[الآية: ٢] .." وترى الناس سُكارى وماهم بسُكارى.." لبيان هول الموقف!

[الآية: ٤] .."فأنه "يضله " و"يهديه" إلى عذاب السعير" استهزاءً وتهكمًا بهم.

[الآية: ٥] .." مخلقة وغير مخلقة.. ومنكم من يُتوفَّى ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العُمُر..".

[الآية: ١١] .."فإن أصابه خيرٌ اطمأنَّ به وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه.."

[الآية: ١٢] .."ما لا يضره وما لا ينفعه..".

تأمل المقابلة بين الفريقين [الآيات: ١٩-٢٢] "هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم.. يُصهرُ به ما في بطونهم والجلود.. ولهم مقامعُ من حديد.. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍّ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق" في مقابل فريق المؤمنين [الآيتان: ٢٣ و٢٤] "إنَّ اللهَ يُدخِل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار يُحلَّون فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير.. وهُدوا إلى الطيب من القول وهُدوا إلى صراط الحميد".

[الآية: ٣٦] .."وأطعموا القانع والمُعترّ.." فالقانع: المتعفف، والمعترّ: الذي يسأل.

[الآية: ٦٢] "ذلك بأن الله هوالحق وأن ما يدعون من دونه هوالباطل..".

[الآية: ٦٦] "وهوالذي أحياكُم ثم يميتكم ثم يُحييكُم إن الإنسان لكفور".

آيات محورية: السورة حافلة بالآيات المؤثرة في النفس؛ وددت لو يتسع المقام لذكرها، ومن الأمثلة: أول آيتين "يا أَيُّها النَّاسُ اتَّقوا ربَّكُم إنَّ زلزلةَ الساعةِ شيءٌ عظيم.. يوم ترونها تذهلُ كلُّ مُرضعةٍ عمّا أرضعَت وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملها وترى الناسَ سُكارى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد" فتأمل زلزلة القيامة وأهوالها.

[الآيات: من ١٩- ٢٤] "هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نار يُصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم.. يُصهرُ به ما في بطونهم والجُلود.. ولهم مقامعُ من حديد.. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غَمٍّ أُعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق.. إنَّ اللهَ يُدخِل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الأنهار يُحلَّون فيها من أساور من ذهبٍ ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير.. وهُدوا إلى الطيب من القول وهُدوا إلى صراط الحميد".

[الآية: ٢٥] .." ومن يُرِد فيه بإلحادٍ بِظُلمٍ نذِقهُ من عذابٍ أليم" قيل: تُضاعف السيئات في الحرم، كما تضاعف الحسنات، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: "لو أن رجلًا بعدَن، همَّ بأن يعمل سيئة عند البيت، أذاقه الله عذابًا أليمًا.

[الآية: ٣٢] "ذلك ومن يُعظِّم شعائرَ الله فإنها من تقوى القلوب" فاحذر أن تنتقص شيئاً من شعائر الله.

[الآية: ٣٨] "إن الله يُدافِعُ عن الذين آمنوا.." فإذا تحقق الإيمان فاطمئن وثق بوعد الله.

[الآية: ٤٨] .."فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور" فالعمى الحقيقي هوعمى البصيرة.

[الآيتان: ٧٣، ٧٤] "يا أيها الناس ضُرِبَ مثلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذُباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلُبهم الذُّبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضَعُفَ الطَّالِبُ والمطلوب.. ما قدروا الله حق قدره إن الله لقويٌ عزيز" وهذا من أبلغ الرد على الملحدين: فليخلقوا ذبابة!

سورة المؤمنون

التسمية: سُمِّيَت سورة المؤمنون لافتتاحها الفريد "قد أفلح المؤمنون" تقريرًا وتأكيدًا، فقد أفلحوا، وفازوا، وقُضِيَ الأمر!

المحاور الرئيسة: السورة مكية، تعالج أمور العقيدة، وتركز - بشكل خاص - على المقارنة بين صفات ومصير المؤمنين، في مقابل صفات ومصير الكافرين، فتبدأ "قد أفلح المؤمنون" [الآية: ١]، وقبيل نهايتها "إنه لا يفلح الكافرون" [الآية: ١١٧] تكاد كل آياتها تدور حول هذين المعنيين!

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"هيهات" مرتين في آية واحدة [الآية: ٣٦]، ومعناها "بَعُدَ"، لما قال الكافرون "هيهات هيهات لما توعدون" مكذبين رسلهم كان جزاؤهم "فبُعداً للقوم الظالمين" [الآية: ٤١] و"فبُعداً لقومٍ لا يؤمنون" [الآية: ٤٤].

"تلفح" [الآية: ١٠٤]، ومعناها: شدة الإحراق.

"كالِحون" [الآية: ١٠٤]، وهوأشد قبح الوجوه.

تركيبات لغوية خاصة:

" ...آياتي تتلى عليكم فكنتم..." في موضعين:[الآيتان: ٦٦ و١٠٥].

"...وأنت خير الراحمين" تأكيدًا على رحمته تعالى بعباده المؤمنين في موضعين: [الآيتان: ١٠٩ و١١٨].

"..سيقولون لله قل..." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٨٥ و٨٧ و٨٩].

" ..قال رب انصرني بما كذبون" في موضعين: [الآيتان: ٢٦ و٣٩].

"..ما هذا إلا بشرٌ مثلكم..." في موضعين: [الآيتان: ٢٤ و٣٣].

"بل أتيناهم بـ.." في موضعين: [الآيتان: ٧١ و٩٠].

"إن هوإلا رجل..." في موضعين: [الآيتان: ٢٥ و٣٨].

"ثم أرسلنا.." في موضعين: [الآيتان: ٤٤ و٤٥].

تركيبة الآية [٩] "... على صلواتهم يحافظون" بينما في [الأنعام: ٩٢]، و[المعارج:[٢٣، و٣٤] "...على صلاتهم يحافظون".

قوله تعالى: "أيحسبون.." [الآية: ٥٥]، بينما وردت "يحسبون" بدون همزة في بقية القرآن، كما في [الأعراف: ٣٠].

و[الكهف: ١٠٤]، و[الأحزاب: ٢٠]، و[الزخرف: ٣٧ و٨٠]، و[المجادلة: ١٨]، و[المنافقون: ٤].

قوله تعالى: "أفحسبتم.." [الآية: ١١٥]، بينما وردت بلفظ "أم حسبتم.." في [البقرة: ٢١٤]، و[آل عمران: ١٤٢]، و[التوبة: ١٦].

تأمل قول الله تعالى: "فبُعداً للقوم الظالمين" [الآية: ٤١] وقوله تعالى "فبُعداً لقومٍ لا يؤمنون" [الآية: ٤٤] وثيقة الصلة بمحور سورة "المؤمنون" وكلمة "فبعداً" بنصها لم ترد إلا في سورة المؤمنون، وكأنها رد على قول الكافرين "هيهات هيهات لما توعدون" كما ذكرنا.

العقيدة: السورة مكية، تركز على جانب العقيدة، ومن ذلك:

[الآية: ١٤] .."فتبارك الله أحسن الخالقين".

[الآية: ٢٣] "ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره أفلا تتقون".

[الآية: ٣٢] "فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره أفلا تتقون".

٧٨-٨٠ [الآيتان: ٧٨، ٨٠] "وهوالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون.. وهوالذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون.. وهوالذي يُحيي ويُميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون".

تأمل تلك الآيات [٨٤-٩٢] "قل لمنِ الأرضُ ومن فيها إن كنتم تعلمون.. سيقولون لله قل أفلا تذكَّرون.. قل من ربُّ السمواتِ السبع وربُّ العرش العظيم.. سيقولون لله قل أفلا تتّقون.. قل

من بيده ملكوتُ كلِّ شيءٍ وهويُجير ولا يُجار عليه إن كنتم تعلمون.. سيقولون لله قل فأنى تُسحرون.. بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون.. ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذاً لذهب كلُّ إلهٍ بما خلق ولعلا بعضُهم على بعضٍ سبحان الله عما يصفون.. عالمِ الغيب والشهادة فتعالى عمَّا يُشرِكون".

و[الآيتان: ١١٥، ١١٦] "أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجعون.. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هوربُّ العرش الكريم".

القصص: ورد فيها قصص بعض الأنبياء، مثل:

- [الآيات: من ٢٣ - ٢٩] جزء من قصة نوح - عليه السلام -.

- [الآيات: من ٣٢- ٤١] قصة نبي آخر مع قومه (قيل: هو هود - عليه السلام - مع عاد، والله أعلم).

[الآيات: من ٤٥- ٤٩] جزء من قصة موسى، وهارون مع فرعون.

[الآية: ٥٠] جزء من قصة مريم وولدها "وجعلنا ابن مريم وأمه آيةً وآويناهُما إلى ربوةٍ ذاتِ قرارٍ ومعين" فما هي تلك الربوة العظيمة؟ للمفسرين فيها أقوال: الرِّملة بفلسطين، أو دمشق، أو بيت المقدس، أو في أرض "مصر" العظيمة الخصبة حيث تكثر الرُبا، ويجري النيل، والله أعلم.

الأمثال:

مقارنات ومقابلات: كثيرة ومنها:

"قد أفلح المؤمنون" [الآية: ١] مع "إنه لا يُفلح الكافرون" [الآية: ١١٧]، وتأمل تناسق البدء والختام!

[الآية: ٤٣] "ما تسبق من أمةٍ أجلها وما يستئخرون".

[الآية: ٨٠] "وهوالذي يُحيي ويُميت وله اختلاف الليل والنهار..".

[الآية: ٩٠] "بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون".

[الآية: ٩٦] "ادفع بالتي هي أحسن السيئة..".

قارن بين الآيتين [١٠٢] "فمن ثقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون" و[١٠٣] "ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون".

آيات محورية: السورة مليئة بالآيات التي تؤثر في النفس، ومن ذلك:

أول [١١] آية "قد أفلح المؤمنون.. الذين هم في صلاتهم خاشعون" الآيات، حتى "أولئك هم الوارثون.. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون" فلكل إنسان مكان في الجنة، يرث المؤمنون أماكن الكافرين! ويرى الكافر مكانه الذي كان أُعِدَّ له في الجنة؛ ليزداد حسرةً

الآيات [من ١٢-١٤] تعرض مراحل معجزة خلق الإنسان، والتفكر فيها من أقوى بواعث الإيمان "ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين.. ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين.. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين"، وفي هذه الآيات معجزات ضخمة لمن يتفكر، فكيف عرف النبي الأمي – صلى الله عليه وسلم – مراحل خلق الجنين، ووصفها بكل تلك الدقة، قبل أربعة عشر قرناً من الزمان! ويمكن مراجعة كلام أستاذ علم الأجنة الكندي (كيث مور) حول تلك الآيات المعجزات:

A SCIENTIST'S INTERPRETATION OF REFERENCES TO EMBRYOLOGY IN THE QUR'AN

تأمل المعنى في الآية [٤٤] ".. وجعلناهم أحاديث.." أي: تلك الأمم التي كذبت رسلها، جعلهم الله أحاديث تُروى، وقصصًا تُحكى، بعدما كانوا فرحين متجبرين!

[الآيات: من ٥٧-٦١] كأنها استكمال لصفات المؤمنين المذكورة في أول السورة "إن الذين هم من خشية ربهم مُشفقون.. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون.. والذين هم بربهم لا يُشرِكون.. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلةٌ أنهم إلى ربهم راجعون.. أولئك يُسارعون في الخيرات وهم لها سابقون" وقد ورد في الحديث الذي صححه الحاكم، أن السيدة عائشة – رضي الله عنها – سألت

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الآية "والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة.." أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله – عز وجل – ؟ فقال: لا يا بنت الصديق، ولكنه الذي يصلي، ويصوم، ويتصدق، وهو مع ذلك يخاف الله – عز وجل – " ولذا قال العلماء: "المؤمن يجمع بين حسن العمل، والإشفاق، والوجل، والمنافق يجمع بين سوء العمل، وأمن العقوبة!

تأمل الآيات [من ٩٦– ١٠٤] "ادفع بالتي هي أحسنُ السيئة نحن أعلم بما يصِفون.. وقل ربِّ أعوذ بك من همزات الشياطين.. وأعوذ بك ربِّ أن يحضُرون.. حتى إذا جاء أحدهم الموتُ قال رب ارجعون.. لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلّا إنها كلمةٌ هوقائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يُبعثون.. فإذا نُفِخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون.. فمن ثقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون.. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون.. تلفح وجوهَهُم النارُ وهم فيها كالحون" والآيات شديدة الوقع على النفس تثبت الحقيقة التي أثبتناها حول محور السورة "قد أفلح المؤمنون" و"إنه لا يفلح الكافرون".

سورة النور

التسمية: سميت سورة "النور" لما ورد في الآية [٣٥] "اللهُ نورُ السمواتِ والأرض مثل نوره كمشكاةٍ فيها مِصباحٌ المصباحُ في زُجاجةٍ الزُّجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّيٌّ يوقد من شجرةٍ مُباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتُها يُضيء ولولم تمسسه نار نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيءٍ عليم" وللسورة من أولها إلى آخرها شخصية مستقلة، ووحدة موضوعية واضحة، تشع بالنور المبين، والأدب الرفيع، والأخلاق الراقية.

– **المحاور الرئيسة**: السورة كلها تدور حول محور رئيسي: هو"النور" فتجد فيها:

– كيف تهتدي إلى "النور"، وكيف تنجو من الظلمات في الدنيا والآخرة!

– و"النور" من أسماء الله الحسنى "الله نور السموات والأرض"، وهو الهادي إلى النور "يهدي الله لنوره من يشاء".

– و"النور" نوعان؛ نور حسّي تبصر به العيون، ويكشف الأشياء، ويبدد سواد الظلام، ويمنع التخبط والخوف، ونور معنوي يكشف الحقائق لذوي البصائر، وينقذ من ظلمات الضلال والتيه، ويبدد سواد القلوب وأمراضها.

– السورة مدنية، تعنى بجانب التشريع، والآداب الاجتماعية، وخاصة: آداب "البيوت" والأسر، فتحدثت عن جريمة من أكبر الكبائر، وهي: الزنا، والحرص على عدم إشاعة الفاحشة، وحذرت أشد التحذير من قذف المحصنات بغير شهادة أربعة من الشهود، وعن آداب الاستئذان، وغض البصر، وحفظ الفروج، وستر العورات، وعن لباس المؤمنات، وعدم إبداء الزينة لغير المحارم، وعن تيسير الزواج، ومنع البغاء والدعارة؛ حفاظاً على الأسرة، والمجتمع، وغير ذلك من آداب عالية، والتي تقود من يتبعها إلى "النور" بل النور على النور! "نورٌ على نورٍ يهدي الله لنوره من يشاء" [الآية: ٣٥] وإلى الفوز والنجاة "ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون" [الآية: ٥٢] أما من كفر فهويتقلب في "ظلماتٌ بعضُها فوق بعضٍ إذا أخرج يده لم يكد

يراها ومن لم يجعل اللهُ له نوراً فما له من نور" [الآية: ٤٠]، ومن خالف أمره: "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أويصيبهم عذابٌ أليم" [الآية: ٦٣] فانظر إلى توازن هذا الدين وسطوع ذلك "النور" فكيف جمع تحريم الزنا مع منع قذف المحصنات، وبين الطريقة المثلى في التعامل مع الشائعات وانتهاك الأعراض، وكيف جمع الحث على الزواج، مع الأمر بغض البصر، وحفظ الفرج، والنهي عن إبداء الزينة، وكيف جمع الأمر بعدم دخول البيوت إلا بعد "الاستئناس" وهو أمر يحسه الضيف حين يستقبله أهل البيت بالبِشر والترحاب، وبين إزالة الحرج عن دخول بيوت غير مسكونة فيها منافع "كالفنادق والأندية مثلًا"، وجمع معها آداب استئذان الأطفال في أوقات محددة، ثم استئذانهم بعد البلوغ في جميع الأوقات، كل ذلك في أسلوب سلس يشع بالنور في كل حرف، وكلمة، وآية!

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"الأيامى" [الآية: ٣٢] جمع "أيم" أي من لا زوج له رجلاً أوامرأة

"زجاجة" و"الزجاجة" [الآية: ٣٦].

"سنا" [الآية: ٤٣]: وهولمعان الضوء.

"مذعنين" [الآية: ٤٩] أي طائعين خانعين.

"يحيف" [الآية: ٥٠] أي: يظلم.

"لِواذاً" [الآية: ٦٣] أي: متخفين، متسللين.

تركيبات لغوية خاصة:

أكثر سورة ورد فيها لفظ "بُيوت" هكذا دون ألف ولام، حيث وردت تسع مرات، في الآيتين [٣٦ و٦١] من أصل عشر مرات في القرآن كله (وردت المرة العاشرة في سورة الأحزاب، الآية [٣٥]) "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي..."، وواضح علاقتها بمحور هام من محاور السورة هو "آداب البيوت".

وكذلك كلمة "بُيُوتًا" حيث وردت في سورة النور ثلاث مرات، في الآيات [٢٧ و٢٩ و٦١] من أصل تسع مرات في القرآن كله.

"و" الذين يرمون.." في ثلاثة مواضع: [الآيات: ٤ و٦ و٢٣].

"أربع شهادات بالله إنه لمن..." في موضعين: [الآيتان: ٦ و٨].

"والخامسة أن.." في موضعين: [الآيتان: ٧ و٩].

" ..بأربعة شهداء..." في موضعين: [الآيتان: ٤ و١٣].

"...و" إذا دعوا إلى اللهِ ورسوله ليحكُم بينهم..." في موضعين:[الآيتان: ٤٨ و٥١].

"و" يبين اللهُ لكم الآيات والله عليم حكيم" في موضعين: [الآيتان: ١٨ و٥٨].

"..آيات مبيّنات.." في موضعين: [الآيتان: ٣٤ و٤٦] "الآيات في سورة النور "مُبيّنات"، وليست فقط "بيّنات"، فهي مثل النور بينات، أي: واضحات، ظاهرة، ومبينات، أي: موضحات، كاشفات للحق، فتأمل!

"..من فضله والله..." في موضعين: [الآيتان: ٣٢ و٣٨].

"و"لولا إذ سمعتموه..." في موضعين: [الآيتان: ١٢ و١٦].

مقطع "أو بُيُوت.." ورد ٨ مرات في آية واحدة: [الآية:٦١].

تأمل "منهم من يمشي على" في الآية ""فمنهم من يمشي على"بطنه"، ومنهم من يمشي على"رجلين"، ومنهم من يمشي على" أربع..." ورد ٣ مرات في آية واحدة [الآية:٤٥].

مقطع "..."موج من فوقه" "موج من فوقه" سحاب.." ورد مرتين في آية واحدة: [الآية: ٤٠].

مقطع "ولا يبدين زينتهن إلّا.." ورد مرتين في آية واحدة: [الآية: ٣١].

"أولئك هم الظالمون" [الآية: ٥٠] لم ترد بنصها إلا في سورة النور، بينما في بقية القرآن وردت "فأولئك هم الظالمون" بالفاء كما في: [البقرة: ٢٢٩]، و[آل عمران: ٩٤]، و[المائدة: ٤٥]، و[التوبة: ٢٣]، و[الحجرات: ١١]، و[الممتحنة: ٩].

تركيبة "...ولبئس المصير" [الآية: ٥٧] بلام التوكيد لم ترد إلا في سورة النور، بينما وردت في بقية القرآن "وبئس المصير" في [البقرة: ١٠٢]، و[آل عمران: ١٦٢]، و[الأنفال: ١٦]، و[التوبة: ٧٣]، و[الحج: ٧٢]، و[الحديد: ١٥]، و[التغابن: ١٠]، و[التحريم: ٩]، و[الملك: ٦]، ووردت "فبئس المصير" في [المجادلة: ٨].

"ولولا فضل الله عليكم ورحمته..." تكررت في أربعة مواضع: [الآيات: ١٠ و١٤ و٢٠ و٢١]، ولكنها جاءت كذلك في سورة النساء مرة واحدة، في الآية [٨٣].

انفردت السورة بذكر حد الزنا، واللعان، والقذف، وبالأمر بالغض من الأبصار للرجال والنساء، ونزلت ببراءة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وإثبات طهارتها، وعفتها من فوق سبع سماوات.

العقيدة: رغم أنها سورة مدنية لكنها حفلت بالآيات التي تثبت الإيمان والعقيدة الصحيحة في النفوس، ومن ذلك:

الآيات [٣٥-٤٠] "الله نور السموات والأرض.." وسيأتي بيانها.

الآيات [٤١-٤٦] قال تعالى: "ألم ترَ أنَّ الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافاتٍ كلٌ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون.. ولله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير.. ألم ترَ أنَّ الله يُزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله رُكاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزِّل من السماء من جبالٍ فيها من بردٍ فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار.. يُقلِّب اللهُ الليل والنهار إن في ذلك لعبرةً لأولي الأبصار.. والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيءٍ قدير.. لقد أنزلنا آياتٍ مبيناتٍ والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم".

القصص: الآيات [من ١١ إلى ٢٦] تدور حول حديث الإفك، والإفك: أشنع الكذب، "إن الذين جاؤوا بالإفك عصبةٌ منكم.." وهو ما أثاره ابن سلول، وتبعه بعض المؤمنين، مثل: حمنة ومسطح، ووضحت الآيات ما يجب أن يكون عليه حال المؤمنين في مواجهة الافتراءات والإشاعات الكاذبة، وأن عليهم أن يتبينوا الأمور ويتثبتوا قبل الخوض في الأعراض، ويحذرهم أشد تحذير أن يعودوا لمثل ذلك "يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين" [الآية: ١٧]، ثم "إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة "والله يعلم وأنتم لا تعلمون"" [الآية: ١٨] قال المفسرون: المعنى أنه – سبحانه – يعلم خفايا القلوب، فمن أحب إشاعة الفاحشة، وبالغ في إخفاء ذلك، لا يخفى أمره على الله تعالى، وإن خفي على الناس، فما بالك بمن ينشر الفاحشة علنًا، فيدعو إلى الإباحية، والتعري، والزنا، والشذوذ، وغير ذلك مما نرى ونسمع صباح مساء، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والقصة بتمامها مبسوطة في كتب التفسير والسيرة.

الأمثال: تأمل المثل المضروب في الآية المحورية الرئيسية [الآية: ٣٥] "اللهُ نورُ السمواتِ والأرض مثل نوره كمشكاةٍ فيها مِصباح المصباح في زُجاجة الزُّجاجة كأنها كوكبٌ دُرّيٌّ يوقد من شجرةٍ مُباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ يكاد زيتُها يُضيء ولولم تمسسه نار نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيءٍ عليم" وتأمل؛ فالكلمات لا تستطيع أن تصف الروعة والبهاء: فما أدراك ما النور؟! وما المشكاة؟! وما المصباح؟! وما الزجاجة؟! وما الشجرة؟! وما زيتها؟! وللمفسرين كلام نفيس في شرح الآية نختصره هنا؛ فالنور: نور الله، فهو – سبحانه – مصدر النور والحق المبين، والمشكاة: الفتحة، أوالكوّة في الحائط، تحفظ المصباح داخلها وتحميه، وتجمع النور، وتركزه، وتنشره، وكأن الحق ينتشر بوجود مشكاة، أو قوة، تحفظه، وتحيطه، وتحميه!، والمصباح: السراج، مثلًا لنور القرآن في قلب العبد المؤمن، ينير بصيرته، ويخلصه من ظلام الشرك، والزجاجة: في غاية الصفاء واللمعان، مثل كوكب دري (متلألئ) يشعل من شجرة الزيتون

المباركة، التي لا إلى الشرق، ولا إلى الغرب، قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: "هي شجرة بالصحراء، لا يظلها شجر، ولا جبل، ولا كهف، ولا يواريها شيء، وهو أجود لزيتها، والزيت أصفى زيت وأجوده؛ يكاد من صفائه يضيء وحده، قبل أن تمسه النار، فهو"نور على نور" نور المصباح ازداد نورًا بالمشكاة، وبالزجاجة الصافية، وبالزيت المبارك، وكأنه نور الله يقذفه في قلب العبد المؤمن الصادق، ويزداد نورًا بالقرآن، حين يتلوه، ويتعلمه، ويطبق أحكامه، ويزداد نورًا حين يتعلم سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – ويطبقها، ويؤكِّد هذا المعنى ما ورد في نهاية السورة "فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أويصيبهم عذابٌ أليم"" [الآية: ٦٣]، ولكن أين يكون ذلك النور المبين؟ ومن الذي يحمله وينشره بين العالمين؟ تجيبك الآيتان التاليتان [٣٦ و٣٧] "في بيوتٍ أذن اللهُ أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدووالآصال.. رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار" قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: "المساجد بيوت الله في الأرض، تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض".

وتأمل كلمة "رجال"، وما فيها من العزة، وتنكيرها الذي يفيد تعظيم شأنهم، فما جزاؤهم؟ "ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب" [الآية: ٣٨].

– وتأمل في المقابل المثل المضروب للكافرين في الآيتين [٣٩ و٤٠] "والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآنُ ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفَّاهُ حسابه والله سريعُ الحساب.. أو كظلماتٍ في بحرٍ لُجي يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور". فتأمل عمل الكافر الذي يظن أنه ينفعه، ظل يشقى به طوال حياته حتى وصل في النهاية إلى ما يحسبه خيرًا له، فإذا هو سراب خادع "وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً" [الفرقان: ٢٣]، بل ووجد الله عنده، زيادة في الحسرة والندم، أو يتقلب في ظلمات الشهوات، والشبهات، والضلالات، وآخر الآية مؤكِّد للحقيقة

الكبرى في هذا الكون "ومن لم يجعل الله له نوراً فما له نور".

مقارنات ومقابلات: تأمل المقارنة في الآيات السابقة [٣٥-٤٠] فالنور في مقابل الظلمات، و"نورٌ على نور" في مقابل "ظلمات بعضها فوق بعض"، والسراب في مقابل الماء.

[الآية: ٥٥] .." وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً..".

[الآية: ٦١] .." ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أوأشتاتاً.." أي: مجتمعين، أومتفرقين.

آيات محورية: ومنها:

[الآية: ١] "سورةٌ أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آياتٍ بيناتٍ لعلكم تذكَّرون" فهي السورة الوحيدة التي تبدأ بـ"سورة"، وهي مشتقة من الرفعة، والمكانة العالية، وأكد أهمية ما ورد فيها من آيات وأحكام.

[الآيات من ٣٥ -٤٠] "الله نور السماوات والأرض..." الآيات؛ إلى قوله تعالى: "ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور".

[الآيتان: ٥١، ٥٢] تأمل هذه القاعدة الكاشفة "إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون.. ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون" فهذا حال المؤمنين مع حكم الله ورسوله، فاللهم اجعلنا من المتقين الطائعين المفلحين الفائزين.

[الآية: ٥٥] كن واثقًا بوعد الله "وعدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهُم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ولَيُبَدِّلَنَّهُم من بعد خَوفهم أمناً يعبدونني لا يُشرِكون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون".

[الآية: ٦٣] "لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لِواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أويصيبهم عذابٌ أليم". وتأمل "عن" فلم يقل: "فليحذر الذين يخالفون أمره"، والمعنى التحذير الشديد: لا تخالفوا أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ولو في شيء يسير بسيط، فاللهم اجعلنا من أتباع سنته في الدنيا، ومن رفقته في الآخرة.

سورة الفرقان

التسمية: سُمِّيَت سورة "الفرقان" لما ورد في مطلعها: "تبارك الذي نزَّل الفُرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً".

المحاور الرئيسة: السورة مكية، تعالج قضايا العقيدة، ومحورها الرئيسي يبدو واضحًا من اسمها "الفرقان"، ومعناه هنا: القرآن؛ الذي يفرق بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وبين النور والظلمات، وبين الإيمان والكفر، فتجد فيها معاني تدور حول هذا "الفرقان" تتميز بها السورة، وتعطيها شخصيتها المستقلة الواضحة، وجوها الفريد، ووحدتها الموضوعية! فنجد فيها تكرار العبارة "حِجرًا محجورًا"، ونجد استعمالًا فريدًا لكلمة "الظِّلّ" الذي يظهر حين يقع النور على الأشياء، ولا يظهر في الظلام! ونجد مقارنات ومقابلات شديدة التأثير، توضح بجلاء معاني "الفرقان" بين المؤمنين والكافرين كما سنرى.

ونجد في آيات عديدة منها معاني مؤازرة وتثبيت النبي – صلى الله عليه وسلم – أمام ادعاءات، وشبهات المكذبين، وافتراءاتهم، فتعرض أكاذيب الكافرين، ثم ترد عليها الرد الصاعق، الذي لا يدع لهم حجة، ومن أمثلة ذلك:

"وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفكٌ افتراهُ وأعانه عليه قومٌ آخرون"٤ فيرد "فقد جاءوا ظلماً وزوراً" [الآية: ٤].

و"وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً وأصيلاً" [الآية: ٥]، فيرد "قل أنزله الذي يعلم السِّر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً" [الآية: ٦].

و"وقالوا ما لهذا الرسول يأكلُ الطعام ويمشي في الأسواق لولا أُنزِل إليه ملكٌ فيكون معه نذيراً.. أويلقى إليه كنزٌ أوتكون له جنةٌ يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً" [الآيتان: ٧، ٨] فيرد "انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلّوا فلا يستطيعون سبيلا" [الآية: ٩] و"وما أرسلنا قبلك من المرسَلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.." [الآية: ٢٠]

و"وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً.. إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها" [الآيتان: ٤١ و٤٢] فيأتي الرد "وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً" ثم يصعقهم فيجعلهم أحقر من الدواب! "أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أويعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً" [الآية: ٤٤].

وهكذا في آيات كثيرة يعرض شبهاتهم، ويرد عليها، وينذرهم سوء العاقبة المرعب "بل كذّبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذّب بالساعة سعيراً.. إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً".

[الآيتان: ١١، ١٢] "ويوم يعضُّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً.. يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً.. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً" [الآيتان: ٢٧-٢٩].

ثم تُختتم السورة بذكر صفات عباد الرحمن، وإنذار البشرية الضالة بأن الله تعالى لا يقيم لهم وزنًا، لولا دعاء الصالحين "قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً" [الآية: ٧٧].

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"فلاناً" [الآية: ٢٨].

"تفسيراً" [الآية: ٣٣]، وهو: البيان، والكشف.

"يعبؤ" [الآية: ٧٧] أي: يبالي، والله أعلم.

تركيبات لغوية خاصة:

- أكثر سورة ورد فيها المقطع "تبارك الذي.." حيث جاء فيها ثلاث مرات في الآيات [الآية: ١] "تبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً" و[الآية: ١٠] "تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ ويجعل لك قصوراً" و[الآية: ٦١] "تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً"، بينما وردت كلمة "تبارك" في القرآن

كله تسع مرات منها في بداية سورة الملك الآية [١] "تبارك الذي بيده الملك وهوعلى كل شيءٍ قدير" ومعنى "تبارك" أي: تكاثر خيره، وتعاظم.

" ..مستقراً ومقاماً" في موضعين: [الآيتان: ٦٦ و٧٦]، وقارن معنى الآيتين!

-التعبير "حِجراً محجوراً" تنفرد به السورة في آيتين:[الآيتان: ٢٢ و٥٣]، ولنتأمل المعنى فهو شديد الارتباط بمحور السورة الرئيسي؛ "الفرقان" فالآية [٢٢] "يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حِجراً محجوراً" أي، تقول لهم الملائكة عند الاحتضار، أو يوم القيامة: هنا حاجز، وحجاب، أو حرام محرم عليكم دخول الجنة، فهنا فُرِّق بين المؤمنين والكافرين "فرقان"، وفي الآية [٥٣] "وهو الذي مرج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملحٌ أجاجٌ وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً"، فكما فرق بين المؤمن والحق، والماء الفرات، وهو شديد العذوبة من جانب، وبين الكافر والباطل، والماء الأُجاج بالغ المرارة من الجانب المقابل بـ"حجراً محجوراً" أي: حاجز وحجاب، فالبون شاسع، والفرق كبير، وناسب أن يذكر هذا المعنى في سورة "الفرقان"، فسبحان من هذا كلامه!

-تأمل استعمال "الظل" في [الآيتين:٤٥ و٤٦] "ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظل ولوشاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً.. ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً" قال المفسرون: "الظل أطيب الأحوال، ولذلك وصف به الجنة" "وظلٍ ممدود"، وقالوا: "الظل: وسط بين الضوء الخالص، والظلمة الخالصة، ويكون ممدودًا، منبسطًا على وجه الأرض، بين وقت الفجر إلى طلوع الشمس، ثم تزيله الشمس شيئًا فشيئًا، فإذا اشتد لهيب الشمس بحث الناس عن ظل يلتجؤون إليه، ثم يزيد الظل شيئًا فشيئًا، حتى ينبسط قبيل الغروب، وتذهب الشمس، وكأن الظل "فرقان" بين ضياء الشمس الملتهبة المحرقة، وبين سكون الليل المظلم المخيف الكئيب، قال تعالى في الآية بعدها [الآية: ٤٧]: "وهوالذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سُباتاً وجعل النهار نشوراً" فكأن النوم "فرقان" قاطعٌ بين هدأة الليل وحركة النهار، فتأمل وعُد فتأمل، والله أعلى وأعلم!

"ولا يملكون..." مرتين في آية واحدة: [الآية: ٣].

مقطع "إلا من تاب وآمن وعمل "عملاً" صالحاً"[الآية: ٧٠]، بينما في مريم [الآية: ٦٠] "إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً".

العقيدة: السورة مكية كلها، تعالج أمور الإيمان، ومن ذلك:

[الآية: ٤٣] "أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً".

والآيات حول دلائل قدرته - سبحانه - في الكون [الآيتان: ٤٥-٥٥] "ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظِّل ولوشاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً.. ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً.. وهوالذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سُباتاً وجعل النهار نشوراً.. وهوالذي أرسل الرياح بُشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً.. لنحيي به بلدةً ميتاً ونُسقيَهُ مما خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً.. ولقد صرفناه بينهم ليذّكروا فأبى أكثرُ الناس إلا كُفوراً.. ولوشئنا لبعثنا في كُل قريةٍ نذيراً.. فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً.. وهو الذي مرج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ وهذا مِلحٌ أُجاجٌ وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً.. وهوالذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً.. ويعبدون من دون الله ما لا ينفعُهم ولا يضُرُّهم وكان الكافر على ربه ظهيراً".

[الآيات: ٥٨- ٦٠] "وتوكل على الحيّ الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً.. الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمنُ فاسأل به خبيراً.. وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً".

القصص: تثبيتاً وتسليةً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين ومن ذلك:

[الآيتان: ٣٥، ٣٦] "ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً.. فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً".

[الآية: ٣٧] "وقوم نوحٍ لما كذّبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً" فكأن تكذيبهم لرسولهم "نوح" تكذيب لجميع المرسلين لأنهم جاءوا جميعاً برسالة التوحيد

"اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره".

[الآية: ٣٨] "وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيراً".

[الآية: ٤٠] "ولقد أتوا على القرية التي أُمطِرت مطر السَّوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشوراً" وهم قوم لوط؛ كانت قريش تمر على مدائنهم في طريق التجارة إلى الشام، والله أعلم.

الأمثال: تأمل الآية [٤٤] "أم تحسب أن أكثرَهم يسمعون أويعقلون إنْ هُم إلا كالأنعام بل هُم أضلُّ سبيلاً" فجعل الكافرين أحطّ من الأنعام.

مقارنات ومقابلات: السورة "فرقان" من أولها إلى آخرها تظهر المقابلة الواضحة بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان، ومن تلك المقابلات:

[الآية: ٣] "واتخذوا من دونه آلهةً لا "يخلُقون" شيئاً وهم "يُخلقون" ولا يملكون لأنفسهم "ضرّاً" ولا "نفعاً" ولا يملكون "موتاً" ولا "حياةً" ولا نُشوراً".

[الآية: ٥] "وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه "بُكرةً" و"أصيلاً"".

المقابلة بين الوعيد المرعب [الآيات: ١١-١٤] "بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً.. إذا رأتهم من مكانٍ بعيدٍ سمعوا لها تغيظاً وزفيراً.. وإذا أُلقوا منها مكاناً ضيقاً مُقرَّنين دعوا هنالك ثبوراً.. لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثُبوراً كثيراً" وبين الوعد الحق [الآيتان: ١٥ و١٦] "قل أذلك خيرٌ أم جنة الخلد التي وُعِد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً.. لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسئولاُ" وهل هناك عاقل يفضل الفريق الأول على الثاني؟!

قارن بين الكافرين [الآية: ٢١] "وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أُنزل علينا الملائكةُ أونرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً" بين المؤمنين [الآية: ٦٣] "وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً" فشتان الفارق بين استكبار الكافرين وقولهم الإثم، وبين تواضع المؤمنين وقولهم "سلاما"!

[الآية: ٥٣] "وهو الذي مرج البحرين هذا "عذبٌ فراتٌ" وهذا "مِلحٌ أُجاجٌ" وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً".

[الآية: ٥٥] "ويعبدون من دون الله ما لا "ينفعهم" ولا "يضرهم" وكان الكافر على ربه ظهيراً"

[الآية: ٥٦] "وما أرسلناك إلا مُبشِّراً ونذيراً".

[الآية: ٦٢] "وهو الذي جعل "الليل" و"النهار" خِلفةً لمن أراد أن يذّكر أو أراد شُكوراً".

[الآية: ٦٤] "والذين يبيتون لربهم سُجّداً وقياماً".

قارن "مستقراً ومقاماً" في موضعين: [الآية: ٦٦] "إنها ساءت مُستقراً ومُقاماً" عن جهنم و[الآية: ٧٦] "حسُنت مُستقرّاً ومُقاماً" عن الجنة، ثم اختر لنفسك!

آيات محورية: ومنها:

[الآية: ٢٣] "وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً" فنعوذ بالله من الكفر وآثاره!

[الآية: ٣٤] "الذين يُحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً وأضلُّ سبيلاً" فالذي أمشاهم على أرجلهم في الدنيا قادر على أن يمشيهم على وجوههم في الآخرة!

[الآية: ٤٣] "أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً".

الآيات التي تصف عباد الرحمن [٦٣-٧٧] فاللهم اجعلنا منهم.

سورة الشعراء

التسمية: سُمِّيَت سورة "الشعراء" لما ورد في نهايتها [الآيات: ٢٢٤-٢٢٧] "والشعراء يتَّبِعُهم الغاوون.. ألم تر أنَّهم في كلِّ وادٍ يهيمون.. وأنَّهم يقولون ما لا يفعلون.. إلا الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلِموا وسيعلمُ الذين ظَلموا أي منقلبٍ ينقلبون".

المحاور الرئيسة: السورة مكية، تعالج أمور العقيدة، من خلال قصص بعض الأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم، ومحورها الرئيسي هو أهمية وخطورة الكلمة! أو ما يُعرف في عصرنا بـ"الإعلام"! فهوسلاح ذوحدّين؛ يستخدمه الطغاة والضالون لإفساد عقول الناس، وتزيين الباطل، ومحاربة الحق، ويجب أن يستخدمه أهل الحق لتوصيل الدعوة، والتأثير في قلوب الناس وعقولهم، بأفضل صورة، وأحسن وسيلة، وأفضل وسيلة في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم – كانت الشعر؛ لأن أمة العرب برعت في الكلام، حتى أقامت سوقًا للشعر والأدب (سوق عكاظ) وعلَّقت بعض الأشعار على أستار الكعبة (المعلقات)؛ اعترافًا بقوة أولئك الشعراء، وقدرتهم في فن القول!

والسورة بمثابة رسالة إلى الإعلاميين والفنانين – خاصة – أن يستعملوا قدراتهم في الوقوف بجانب الحق، وأن يواجهوا أكاذيب الباطل، وللمصلحين بشكل عام أن يبحثوا عن أفضل وسيلة مناسبة لعصرهم في دعوة الناس إلى الحق.

ركّزت السورة على حوار الأنبياء – عليهم السلام – مع أقوامهم فكلّ نبي يتميّز بأسلوب خاص به في حواره مع قومه – رغم التشابه الواضح بالنص، كما سنرى في الأسس التي تقوم عليها الدعوة – وهذا دليل أن لكل عصر أسلوب دعوي خاص به، يعتمد على طبيعة الناس أنفسهم، وعلى وسائط الدعوة المتوفرة، وعلى مؤهلات الداعية، وإمكانياته.

والسورة تتحدث عن الشعراء، الذين كانوا وسائل الإعلام، التي تنقل للناس أهم الأحداث في

عصرهم، كالقنوات الفضائية في عصرنا! كان شعراء الإسلام وسيلة تأثير هامّة قوية، لمقاومة المشركين آنذاك، وفي الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقول لحسان بن ثابت: "اهجهم، وجبريل معك" فالعرب كانوا أهل فصاحة، ينظِمون كل تفاصيل حياتهم شعرًا. أما في عصر موسى – عليه السلام – فجاءت معجزته بمواجهة السحر الذي يعرفه أهل ذلك العصر جيدًا، وهكذا على مرّ العصور والأزمان، فإن وسيلة الإعلام قد تستخدم للهداية (كمعجزة عصا موسى – عليه السلام – وشعراء الإسلام)، وقد تستخدم للغواية والإضلال (كسحرة فرعون، وشعراء قريش الكفّار".

ويغلب عليها طابع القصص، والذي يركز على جهاد المرسلين في دعوة أقوامهم، وتنوع خطابهم "لتوصيل رسالة الحق بأفضل وسيلة في عصرهم"، وسوء عاقبة التكذيب، فيتكرر مقطع مميز في نهاية قصصها "إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرُهم مؤمنين وإنَّ ربك لهوالعزيزُ الرحيم" كما سنرى، ثم يختم بإثبات ربانية المصدر لهذا القرآن - رسالة السماء الأخيرة للعالمين - "وإنه لتنزيل رب العالمين" [الآية: ١٩٢]، وإنذار المكذبين "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" [الآية: ٢٢٧]، وفواصل السورة قصيرة، متفردة، مميزة الإيقاع، حتى إنها ضمت - على قصر متنها – [٢٢٧ آية] فتكون بذلك ثاني سور القرآن كثرةً - بعد سورة البقرة - من حيث عدد الآيات.

أمثلة لألفاظ لم ترد في غيرها: وجميعها وحيدة في بابها:

"ضير" [الآية: ٥٠] وهو الضرر.

"لشِرذِمة" [الآية: ٥٤] أي: طائفة قليلة.

"كالطَّود" [الآية: ٦٣] أي: كالجبل.

"فكُبكِبوا" [الآية: ٩٤] أي: أُلقوا بعضهم فوق بعض في جهنم وهي مضاعفة من "كُبَّ" أي تكرير الكب؛ ينكبّون مرة بعد مرة على رؤوسهم في نار جهنم.

"ريع" [الآية: ١٢٨]، وهوالمكان المرتفع الظاهر.

تركيبات لغوية خاصة:

تتكرر مقاطع بعينها كثيرًا في السورة تعطيها طابعًا مميزًا، وشخصية مستقلة مثل: "إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين... وإن ربك لهو العزيز الرحيم" في ثمانية مواضع: [٨و٩] و[٦٧و٦٨]، و[١٠٣و١٠٤]، و[١٢١و١٢٢]، و[١٣٩و١٤٠]، و[١٥٨و١٥٩] و[١٧٤و١٧٥]، و[١٩٠و١٩١].

"قالوا لئن لم تنته يا.. لتكونن من..." في موضعين: ١١٦ و١٦٧

"إذ قال لهم... ألا تتقون" في خمسة مواضع: [الآيات: ١٠٥ و١٢٣ و١٤١ و١٦٠ و١٧٦] منها: أول أربعة مواضع "إذ قال لهم أخوهم...".

"وما أسئلكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا على رب العالمين" في خمسة مواضع: [الآيات: ١٠٩ و١٢٧ و١٤٥ و١٦٤ و١٨٠].

"قالوا إنما أنت من المسحرين" في موضعين: [الآيتان: ١٥٣ و١٨٥].

""و" ما أنت إلا بشر مثلنا..." في موضعين: [الآيتان: ١٥٤ و١٨٦].

معنى "الطمع في مغفرة الله" لم يرد إلا في الشعراء في آيتين: [الآية: ٥١] "إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين" على لسان السحرة بعد أن آمنوا، [الآية: ٨٢] "والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين" على لسان إبراهيم – عليه السلام –.

المقطع "إني لكم رسولٌ أمين" تكرر خمس مرات في السورة: [الآيات: ١٠٧ و١٢٥ و١٤٣ و١٦٢ و١٧٨]، ولكنه ورد كذلك مرة واحدة في سورة الدخان [الآية: ١٨].

– المقطع "فاتقوا الله وأطيعون" تكرر ثماني مرات في السورة: [الآيات: ١٠٨ و١١٠ و١٢٦ و١٣١ و١٤٤].

و[الآيات: ١٥٠ و١٦٣ و١٧٩] "ولكنه ورد كذلك في سورتي: [آل عمران: ٥٠]، و[الزخرف: ٦٣].

العقيدة: السورة مكية، تعالج قضايا العقيدة الكبرى، كحقيقة الألوهية، والرسالة، والوحي، والبعث، والقيامة، ومن ذلك:

تكرار "وإن ربك لهوالعزيز الرحيم" فلم يرحمهم لعدم قدرته على عقوبتهم، إنما هو العزيز: الذي لا يُغلب، ولكنه الرحيم بعباده.

تأمل كلام إبراهيم – عليه السلام – لقومه عن آلهتهم [الآيتان: ٧٧- ٨٩] "فإنهم عدو لي إلا ربَّ العالمين.. الذي خلقني فهو يهدين... " إلى قوله تعالى: "إلا من أتى الله بقلبٍ سليم".

وحول القرآن: ربانية مصدره [الآيتان: ١٩٢-١٩٦] "وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين.. نزل به الروح الأمين.. على قلبك لتكون من المنذرين.. بلسانٍ عربيٍ مبين.. وإنه لفي زبر الأولين" [الآيتان: ٢١٠ – ٢١٢] "وما تنزَّلت به الشياطين.. وما ينبغي لهم وما يستطيعون.. إنهم عن السمع لمعزولون".

القصص: تنتهج السورة طريقة فريدة في معالجة قضايا العقيدة، عن طريق القصص، ونلاحظ طريقة دعوة الأنبياء إلى الحق بأفضل الوسائل؛ كما نرى في الآيات:

[الآية: ١٠-٦٨] تعرض مشاهد من قصة موسى – عليه السلام – مع فرعون الطاغية، ونجد فيها ملحمةً كاملة من الصراع بين الحق (موسى، وهارون – عليهما السلام – والمؤمنين) وبين الباطل "فرعون الطاغية وأتباعه" فتأمل تلك المشاهد، ومنها:

قول موسى – عليه السلام – "قال رب إني أخاف أن يكذبون.. ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون" [الآية: ١٢ و١٣] كان يعاني حبسةً في لسانه؛ كما في سورة [طه: ٢٧و٢٨] "واحلل عقدةً من لساني.. يفقهوا قولي" فأراد أن تصلهم الدعوة بأفضل وسيلة؛ أخيه هارون – عليه السلام – الذي لم يقتل أحدًا، ولسانه أفصح! فما أعظم تواضع وزُهد أهل الحق! وما الذي يضير الأكفاء في عدم تصدر المشهد؟، بل يقرّون لإخوانهم بالفضل والتميز! وكم من عِبر في هذا الموقف، فتأمل.

رد فرعون الذي يخرج – كالطغاة ضعيفي الحجة – عن الموضوع، فرسالتهم إليه "أن أرسل معنا بني إسرائيل" [الآية: ١٧] أي: نريد أن تفك أسرهم، وتكف عن استعبادهم وظلمهم، فكان الرد "قال ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين.. وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين" [الآيتان: ١٨ و١٩]، والتعبير "وفعلت فعلتك التي فعلت"، بمعنى: التهويل؛ فعلتَ جريمتك البشعة الشنيعة، فرعون الذي قَتّل وذبّح آلاف الأطفال يلوم موسى – عليه السلام – من أجل رجل قتله بالخطأ! فرد النبي: "قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين" [الآية: ٢٠] أي: من المخطئين "ففررتُ منكم لما خِفتكم فوهب لي ربي حُكماً وجعلني من المرسلين.. وتلك نعمةٌ تمُنها عليَّ أن عبَّدت بني إسرائيل" [الآيتان: ٢١ و٢٢] أي: وهل تساوي بين إحسانك إلى رجل واحد "هو موسى – عليه السلام – " وبين استعبادك لقومه، وإذلالك لهم (بني إسرائيل)؟ وأنت بظلمك، وقتلك الأطفال، من تسبب في خوف أمي، فألقتني في التابوت، ثم في اليم؛ لتأخذوني! فخرج الطاغية عن الموضوع ثانيةً، حيث أعيته الحجة، "قال فرعون وما رب العالمين"[الآية: ٢٣] يستهزئ ويلوم على موسى – عليه السلام – أن يتخذ ربًّا غيره، وهو الذي قال متكبرًا: "أنا ربكم الأعلى"، وقال: "ما علمت لكم من إلهٍ غيري"، فرد نبي الله: "قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين" [الآية: ٢٤] فلا يستطيع فرعون أوغيره أن يدعي خلق السماوات والأرض، فبطلت حجته، فعدل إلى الاستهزاء "قال لمن حوله ألا تستمعون" [الآية: ٢٥]، لكن الرسول لم يلتفت لاستهزائه، ومضى يستكمل كلامه: "قال ربُّكم ورب آبائكم الأولين" [الآية: ٢٦]، فعدل عن العام "السماوات والأرض" إلى الخاص "هم وآبائهم" فمن الذي خلقهم وتولاهم بأنواع النعم؟ فغضب الطاغية، وألقى تهمته الفارغة، التي ما زال المجرمون يرمون بها المؤمنين في كل زمان ومكان: "قال إن رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون" [الآية: ٢٧] فمن المجنون ومن العاقل؟ ولكنه لم يبال بالسخرية، ومضى يكمل بثقة ويقين: "قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون" [الآية: ٢٨] فهل يدّعي فرعون أنه هو من يأمر الشمس

فتشرق أوتغرب؟ أعيته الحجة المنطقية، فلجأ إلى التهديد والوعيد "قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين" [الآية: ٢٩]، فلم يقل: "لأسجننك" لكنه عدل إلى الاسم، لا الفعل؛ دلالةً على الاستمرار أي: أنه سيسجنه حتى الموت، والعجيب أن المفسرين قالوا: "كان سجنه شديدًا في مكان تحت الأرض وحده، لا يسمع، ولا يرى فيه أحدًا حتى الموت، فأجاب موسى – عليه السلام – بتلطف: "قال أولوجئتك بشيءٍ مبين" [الآية: ٣٠] فقال متشككًا "قال فأتِ به إن كنت من الصادقين" [الآية: ٣١] فماذا حدث؟ "فألقى عصاهُ فإذا هي ثعبانٌ مبين.. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين" [الآيتان: ٣٢ و٣٣] تلك المعجزة الكبرى؛ تحولت العصا إلى ثعبان ضخم، وتلألأت اليد كأنها الشمس، فهل يهتدي؟ بل مضى يواصل تلفيق الاتهامات، وافتراء الكذب "قال للملأ حوله إن هذا لساحرٌ عليم.. يريد أن يُخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون" [الآيتان: ٣٤ و٣٥] تحول المستبد فجأةً، فصار يستشير الملأ! تلك المجالس الشكلية التي يصنعها على عينه، ويختار لها أتباعه المخلصين، الموافقين دومًا، فكان ردُّهم "قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين.. يأتوك بكل سحَّارٍ عليم" [الآيتان: ٣٦، ٣٧] الأمر خطير، فأخرهما الآن، وأرسل من يأتيك بأمهر السحرة في كل المدائن؛ يبتسم الخبيث في نفسه فقد توهم النصر؛ سحر! هذه لعبتنا التي نبرع فيها، ونتفوق على كل الدنيا، فلنأتِ بالسحرة، بل ونحشد الناس "فجُمِع السحرة لميقات يومٍ معلوم.. وقيل للناس هل أنتم مجتمعون.. لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين" [الآيات: ٣٨-٤٠] أما السحرة فهم ذراعه الإعلامية، التي يستخدمها لضرب الحق، فماذا يستفيدون؟ "فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين" [الآية: ٤١] فهم لا ينصرون فرعون لأنهم يعلمون أنه على حق، أو لاقتناعهم أنه إله أورب، بل طمعًا في الأجر والمال، فكم من تافه حقير يتقاضى الملايين؛ ليملأ الدنيا كذبًا وزورًا، ويزين الباطل، ويهاجم الحق! لكن فرعون يفهمهم، فيزيد "قال نعم وإنكم إذاً لمن المقربين" [الآية: ٤٢] فسيمنحهم كذلك المناصب، من أجل الوجاهة والرياسة! وكم في المناصب من منافع؛ الرشاوي والعمولات

والحصانة! اجتمع السحرة في مواجهة نبي الله وحُشد الناس ليشهدوا تلك المعركة مضمونة النتيجة! "قال لهم موسى ألقوا ما أنتم مُلقون" [الآية: ٤٣] فهو موقن بنصر الله، "فألقوا حبالهم وعصيَّهم وقالوا بِعزَّة فرعون إنا لنحن الغالبون" [الآية: ٤٤] بكل وسائل التوكيد! ما زال التطبيل مستمرًا، فهم سينتصرون، لا بفضل براعتهم، ولكن "بعزة فرعون"، الذي لا علاقة له بالأمر من الأساس، ولكن هذا موقف الذليل في كل موطن؛ ينسب الفضل لسيده، لا لاجتهاده! كمن ينسب النصر، لا إلى جهده، أو قدرات لاعبيه، ولكن لمباركة، ودعم الزعيم المُلهَم! لكن المفاجأة تذهل الألباب "فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون" [الآية: ٤٥] انقلبت العصا حية ضخمة حقيقية، تبتلع الحيات التي خيّلوا للناس بسحرهم أنها تسعى، والإفك: أشد الكذب "فأُلقي السحرة ساجدين.. قالوا آمنا برب العالمين.. رب موسى وهارون" [الآيات: ٤٦-٤٨] تبين لهم أن ما جاء به موسى – عليه السلام – حق وليس سحرًا، فآمنوا وسجدوا لله، وأعلنوا إيمانهم، لكن الأمر ليس فوضى، لا أحد في مصر يستطيع أن يفعل شيئًا بدون إذن أوتصريح "قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأُصلِّبَنَّكُم أجمعين" [الآية: ٤٩] هذه مؤامرة كبرى؛ لهدم الاستقرار والأمن الذي تنعم به البلاد، موسى هو من دربكم؛ لتلعبوا هذه اللعبة الخطيرة، لكن لا هوادة مع المتآمرين، وهكذا ينقلب الباطل حقًّا والحق باطلًا، يعرف الناس جميعًا، ويرون بأعينهم أن موسى – عليه السلام – لا علاقة له بالسحرة، لكنها دولة فرعون التي تكذب وتكذب، حتى تصدق نفسها، ويصدقها المغفلون! لابد من تهديدهم بأقصى العقوبات، وهو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف "اليمنى مع اليسرى"، والتصليب الشديد في الجذوع، فماذا كان ردهم "قالوا لا ضير إنَّا إلى ربنا منقلبون.. إنا نطمع أن يغفر لنا ربُّنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين" [الآيتان: ٥٠ و٥١] لا ضرر علينا من عذابك، فسنرجع إلى ربنا، ونرجو أن يغفر لنا؛ لأننا أول من آمن بالحق، وننتقل إلى مشهد جديد "وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم مُتَّبَعون" [الآية: ٥٢] سيروا ليلًا، فسيطاردونكم

"فأرسل فرعون في المدائن حاشرين.. إن هؤلاء لشِرذمةٌ قليلون.. وإنهم لنا لغائظون.. وإنا لجميعٌ حاذرون" [الآيات: ٥٣-٥٦] أمر أن يُطلب الجنود من كل المدن؛ ليطاردوا القلة المندسة، التي تعكِّر صفوالحياة، وتهدد الأمن، ونحن جميعًا على قلب رجل واحد، في مواجهتهم "فأخرجناهم من جناتٍ وعيون.. وكنوز ومقامٍ كريم.. كذلك وأورثناها بني إسرائيل.. فأتبعوهم مشرقين.. فلما تراءا الجمعان قال أصحابُ موسى إنا لُمدرَكون" [الآيات: ٥٧-٦١] تحرك موسى – عليه السلام – ومن معه إلى جهة الشرق، أو وقت شروق الشمس، وأتبعهم فرعون وجنوده، فلما تقاربت الجموع، حتى رأى بعضهم بعضًا، خشي أتباع موسى – عليه السلام – من بطش فرعون، وتيقنوا أنه لاحق بهم، لكن نبي الله "قال كلا إن معي ربي سيهدين" [الآية: ٦٢] تعلم موسى – عليه السلام – من دروس الماضي، فإنه عندما أمره ربه بإلقاء العصا أول مرة حين آنس من جانب الطور نارًا، خاف وانطلق يعدو "ولَّى مُدبِراً ولم يُعقِّب" [النمل: ١٠]، و[القصص: ٣١] فعلمه ربه "يا موسى لا تخف إني لا يخافُ لديَّ المرسلون" [النمل: ١٠]، و"يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين" [القصص: ٣١]، ولما وقف في مواجهة السحرة خاف في نفسه ولم يهرب "فأوجس في نفسه خيفةً موسى" [طه: ٦٧] فعلمه ربه "قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى" [الآية: ٦٨] أما هذه المرة، والبحر أمامهم وفرعون وجنوده خلفهم؛ فقال في ثبات: "كلّا إن معيَ ربي سيهدين"، وهذا من تثبيت الله لعباده الصالحين، ومن توفيقه لهم باتخاذ الخطوات الصحيحة وقت الأزمات والأخطار "فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فِرقٍ كالطود العظيم" [الآية: ٦٣] حدثت المعجزة الكبرى، بعد أن استنفد المؤمنون كل الوسائل، ينشق البحر ليعبر النبي – عليه السلام – ومن معه.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: "صار فيه اثنا عشر طريقًا لكل سِبطٍ منهم طريق" "وأزلفنا ثم الآخرين" [الآية: ٦٤] أي: وقربنا فرعون وجنوده، حتى دخلوا البحر "وأنجينا موسى ومن معه أجمعين.. ثم أغرقنا الآخرين" [الآيتان: ٦٥ و٦٦] أطبق البحر على الطاغية وجنوده، ورغم تلك

الآية الواضحة والمعجزة البينة، هل آمن الناس واتبع أكثرهم الحق؟ "إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين.. وإن ربك لهوالعزيز الرحيم" [الآيتان: ٦٧ و٦٨].

[الآيات: ٦٩-٨٩] تعرض طرفًا من حوار إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه وقومه، وما ينبغي أن يقوله داعية إلى الله في مواجهة الكافرين حين يجد – على العكس من موسى – عليه السلام – فرصةً للكلام؛ مثالًا لقوة المنطق، واستعمال الكلمة في الدعوة، بأفضل طريقة "واتل عليهم نبأ إبراهيم.. إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون.. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين"[الآيات: ٦٩-٧١]، وهو يعلم أنهم يعبدون الأصنام، ولكنه أراد أن يقيم عليهم الحجة باعترافهم! أما هم فلم يكتفوا بقولهم "نعبد أصناماً" لكنهم زادوا "فنظل لها عاكفين"، كأنهم يفتخرون بسفاهة عقولهم "قال هل يسمعونكم إذ تدعون.. أو ينفعونكم أو يضرُّون" [الآيتان: ٧٢ و٧٣] يستمر في طرح أسئلته المنطقية توبيخًا لهم "قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون" [الآية: ٧٤] فأقروا أنها لا تنفع ولا تضر، وأنهم عبدوها؛ تقليدًا لآبائهم، وهي الحجة التافهة، المتكررة في كل زمان "قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون.. أنتم وآباؤكم الأقدمون.. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين" [الآيات: ٧٥-٧٧] وهذا من التدرج في دعوتهم، أثبت أنهم لا ينفعون، ولا يضرون، ثم أثبت عداوته لهم "تخلية" ثم بدأ يشرح لهم صفات رب العالمين، الجدير بالعبادة "تحلية" فقال بأبلغ وصف: "الذي خلقني فهو يهدين.. والذي هو يطعمني ويسقين.. وإذا مرضت فهو يشفين.. والذي يُميتُني ثم يُحيين.. والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين" [الآيات: ٧٨-٨٢] هذه النقاط الرئيسية، التي لا تخلو منها قصة إنسان! خلقه الله تعالى، وهداه، ورزقه، ومرض فشفاه، وأماته ثم أحياه يوم القيامة ليحاسبه؛ فيغفر للمؤمنين! والدرس للدعاة في كل زمان ومكان أن يخاطبوا الناس بما تعيه عقولهم، ويدخل قلوبهم، ثم يدعوربه "رب هب لي حُكماً وألحقني بالصالحين.. واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين.. واجعلني من ورثة جنة النعيم.. واغفر لأبي إنه كان من الضالين.. ولا تُخزني يوم يُبعثون.. يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلبٍ سليم" [الآيات: ٨٣-٨٩]، وتأمل

تواضعه وتأدبه مع ربه، وهو أبوالأنبياء، الذي قال الله تعالى عنه: "إن إبراهيم كان أمة" [النحل: ١٢٠] قال هنا: "وألحقني بالصالحين"، وكأن الصالحين سبقوا، وهو يرجو أن يلحق بهم!

[الآيات: ١٠٥– ١٢٢] طرفًا من قصة نوح – عليه السلام – مع قومه "كذبت قوم نوحٍ المرسلين" [الآية: ١٠٥] فمن كذب رسولًا فقد كذب كل الرسل! فكلهم يدعون إلى نفس المبادئ "إذ قال لهم أخوهم نوحٌ إلا تتقون.. إني لكم رسولٌ أمين.. فاتقوا الله وأطيعون.. وما أسئلكم عليه من أجرٍ إن أجري إلا على رب العالمين.. فاتقوا الله وأطيعون" تلك العبارات التي تتكرر مع الأنبياء في بقية السورة؛ لأن أساس دعوتهم واحد؛ كلهم أمناء مخلصون، يدعون إلى عبادة الله وحده، ولا يطلبون لأنفسهم أجرًا – عكس أتباع الطاغوت، كما ذكرنا آنفاً.

– فرد العُتاة: "قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون" [الآية: ١٠٦] أضلهم الغرور، كالمترفين في كل زمان ومكان، فكيف يكونون في فريق واحد مع المؤمنين الفقراء الضعفاء؟ ولم تكن لهم حجة غير ذلك! لم يستمعوا إلى نداء الحق، ولكنهم نظروا إلى فقر أتباعه، فمن هم "الأرذلون"؟! فاستمر في دعوته ينذر المغرورين "إن أنا إلا نذيرٌ مبين" [الآية: ١١٥] فردوا "قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكوننَّ من المرجومين" [الآية: ١١٦] يهددونه بالقتل رجمًا بالحجارة، وعندما تيقن أنهم لن يؤمنوا دعا ربه أن ينجيه والمؤمنين "فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون.. ثم أغرقنا بعدُ الباقين" [١١٩ و١٢٠] فماذا حدث بعد إغراق الأرض كلها وتنجية المؤمنين؟ هل آمن الناس بعد تلك الآية المعجزة المبهرة؟ "إن في ذلك لآية وما كان أكثرُهُم مؤمنين.. وإن ربك لهوالعزيز الرحيم" [الآيتان: ١٢١ و١٢٢].

[الآيات: ١٢٣–١٤٠] تعرض طرفًا من قصة هود – عليه السلام – مع قومه "عاد" مع التركيز على مخاطبتهم باللغة التي يفهمونها، وتميزهم عن غيرهم، فكما قال تعالى عنهم في سورة فصلت [الآية: ١٥]: "فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هوأشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون" فقد كانوا يحبون التفاخر والاستعلاء،

ويستمتعون بملذات خُلُقية، كالكِبر والغرور "أتبنون بكل ريعٍ آيةً تعبثون.. وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون.. وإذا بطشتم بطشتم جبارين" فهم كالطغاة دوماً: يشيدون الصروح الضخمة عبثاً بغير سبب إلا التفاخر والتكبر، ويبنون القصور المحكمة والحصون المنيعة لعلهم يخلدون في الدنيا فلا يموتون، ويبطشون بأعدائهم دون شفقة أورحمة، وتأمل صفاتهم وأنزلها على واقع الحياة والتاريخ لتجد التطابق العجيب: فالإنفاق بالمليارات والإسراف فيها لا يفيد ولمصلحة السادة ووجاهتهم واتخاذ المباني والقصور والحراسات والمركبات المحصنة خشية الموت والقسوة البالغة على خصومهم أومن ينتقدهم بالقتل والاعتقال والتعذيب، أما عندما يتعلق الأمر بمصلحة الناس من مدارس وطرق ومستشفيات ومساكن فلا تجد إلا التقتير وادعاء الفقر! وهكذا ظل يدعوهم بأفضل طريقة فلم يستجيبوا، وهل آمن من بعدهم؟ "فكذبوه فأهلكناهم إنَّ في ذلك لآية وما كان أكثرُهم مؤمنين.. وإن ربك لهوالعزيز الرحيم" ١٣٩-١٤٠

١٤١-١٥٩طرفاً من قصة صالح عليه السلام مع قومه "ثمود" ونلحظ فيها تركيزه على دعوتهم بما يناسب صفاتهم؛ كانوا يستمتعون بالملذات الحسية من حدائق وأنهار وزروع وثمار نضيجة سهلة الهضم وبيوت ينحتونها في الجبال "أتُتركون في ما هاهنا آمنين.. في جناتٍ وعيون.. وزروعٍ ونخلٍ طلعُها هضيم.. وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين.. فاتقوا الله وأطيعون" ولكنهم كذبوه وطلبوا منه ناقة عُشراء "حامل" تخرج من الصخر وتلد أمامهم فدعا الله فأرسل إليهم ما طلبوا كما طلبوه تماماً كما في سورة الإسراء ٥٩ "وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها" فماذا حدث بعد أن رأوا الآية المعجزة؛ هل آمنوا؟ وهل آمن من جاء بعدهم؟ "فعقروها فأصبحوا نادمين.. فأخذهم العذاب إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرُهم مؤمنين.. وإن ربك لهوالعزيز الرحيم"

١٦٠-١٧٥طرفًا من قصة لوط - عليه السلام - مع قومه، يخاطبهم بالكف عن الكارثة الأخلاقية التي تغضب الله وتناقض الفطرة، والتي كانوا أول من فعلها "أتأتون الذُّكران من العالمين.. وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قومٌ عادون" لكنهم ارتكسوا في الفاحشة، حتى

صار الحق عندهم باطلًا والباطل حقًّا، فهم يريدون طرده "قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المُخرَجين" ويذمُّونه وأهله، لماذا؟ الجواب: "إنهم أناس يتطهرون"! كما ورد في سورة الأعراف [الآية: ٨٢] وسورة النمل [الآية: ٥٦] فالطهارة والعفة تُهمة، يُطرَد الناس من أوطانهم، ويذوقون الويلات بسببها! "فنجيّناه وأهله أجمعين.. إلا عجوزاً في الغابرين.. ثم دمَّرنا الآخرين.. وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطرُ المُنذَرين" أمطرهم بالحجارة فأهلكهم جميعًا، وهذا جزاء من استعلن بالفاحشة، ومن أعانه أووافق على فعله، وكأنه يتحدى ربه! "إن في ذلك لآية وما كان أكثرُهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم" [الآيتان: ١٧٤ و١٧٥].

[الآيات: ١٧١-١٩١] طرفًا من قصة شعيب - عليه السلام - مع أصحاب الأيكة، نصحهم "أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين.. وزِنوا بالقسطاس المُستقيم.. ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مُفسدين.. واتقوا الذي خلقكم والجِبلَّة الأولين" مثل التجار الجشعين المفسدين في كل وقت، لكنهم كذبوه واتهموه بأنه مسحور، وتحدوه أن يسقط عليهم كسَفاً - أي: قطعًا- من السماء إن كان من الصادقين، فلم يقولوا مثلًا: "اللهم اهدنا إلى الحق"، لكن "فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظُّلة إنه كان عذاب يومٍ عظيم" قيل: كانوا في يوم شديد الحر فبعث الله لهم سحابة تظلهم، فخرجوا يستظلون ببردها، فأرسل الله عليهم نارًا، فاحترقوا جميعًا! فهل تاب التجار ورجال الأعمال وأصحاب المليارات؟ "إن في ذلك لآية وما كان أكثرُهم مؤمنين.. وإن ربك لهو العزيز الرحيم".

فتأمل أسباب إهلاك الأمم السابقة، وادع الله أن يرحمنا برحمته الواسعة، ويهدينا سواء السبيل.

مقارنات ومقابلات: ومن ذلك:

[الآية: ٢٨] "قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون".

[الآية: ٨٠] "وإذا مرضت فهويشفين".

[الآية: ٨١] "والذي يميتني ثم يحيين".

[الآيتان: ٩٠،٩١] "وأُزلِفتِ الجنةُ للمتقين.. وبُرِّزَتِ الجحيمُ للغاوين".
[الآية: ٢٢٧] "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلِموا وسيعلم الذين ظَلموا أي مُنقلبٍ ينقلِبون".

آيات محورية:

[الآية: ٦٢] "قال كلا إن معي ربي سيهدين" فتأمل قوة الثبات واليقين.
تأمل وصف يوم القيامة [الآيتان: ٨٨، ١٠٤] "يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.. إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.
وأُزلِفت الجنةُ للمتقين.. وبُرِّزت الجحيمُ للغاوين.. وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون.. من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون.. فكُبكِبوا فيها هم والغاوون.. وجنود إبليس أجمعون.. قالوا وهم فيها يختصمون.. تالله إن كنا لفي ضلالٍ مبين.. إذ نُسويكم برب العالمين.. وما أضلنا إلا المجرمون.. فما لنا من شافعين.. ولا صديقٍ حميم.. فلوأن لنا كرةً فنكون من المؤمنين.. إنَّ في ذلك لآية وما كان أكثرُهم مؤمنين.. وإن ربك لهوالعزيز الرحيم".
[الآيات: ٢٠٥-٢٠٧] "أفرأيت إن متعناهم سنين.. ثم جاءهم ما كانوا يوعدون.. ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتَّعون" فماذا تغني كل أموال الدنيا، وقصورها، ومتاعها، إذا جاء عذاب الله؟
[الآيات: ٢١٧-٢٢٧] "وتوكل على العزيز الرحيم.. الذي يراك حين تقوم.. وتقلبك في الساجدين.. إنه هوالسميع العليم.. هل أنبئكم على من تنزَّلُ الشياطين.. تنزَّلُ على كل أفاكٍ أثيم.. يلقون السمع وأكثرهم كاذبون.. والشعراءُ يتبعهم الغاوون.. ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون.. وأنهم يقولون ما لا يفعلون.. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا من بعد ما ظُلِموا وسيعلم الذين ظَلموا أيَّ مُنقلَبٍ ينقلبون" وكأن الشعراء قديمًا مثل أهل الفن والإعلام حديثًا، تارةً يمدحون فلانًا، ثم يهجونه -إذا سقط- أشد الهجاء، يتحدثون عن القيم، والأخلاق، والأمانة، والشرف، ثم نكتشف أنهم غارقون في الفساد، والرذائل، ينصحون الناس بالتقشف، والزهد،

وهم يرتعون في الإسراف، والملذات، يدعون الناس إلى العدل، والحق، ويمجدون الظلمة، والمستبدين، والأمثلة واضحة، لا تحتاج أدلة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا قلة مستثناة آمنت بالله، وعملت الصالحات.

وتبقى رسالة السورة:

- لأهل الإعلام والفن: استعملوا مواهبكم لنصرة الحق وتوعية الناس، إياكم وتزيين الفساد، إياكم ونصرة الظالمين.

- وللمؤمنين وللدعاة المصلحين: ابحثوا عن أفضل وسائل عصركم لإقناع الناس بالحق.

فهرس المحتويات

الفؤاد
للنشر والتوزيع